
کتابخانهٔ
مجلس شورای
اسلامی



کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
کتاب مجموعهٔ تفسیر سوره حدید و اعلی و شرح قصیده
مؤلف ملاصدرا و محمد صالح خلخالی
موضوع
شمارهٔ اختصاصی (۶۸) از کتب اهدائی: کریم زاده

۲۱۰۴۵۲



بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي واعتمادي وتوكلي

الحمد لله الذي افاض على قلوب اوليائه من [illegible] القران ودلائل كنوزه واشرق على
[illegible] اسرار [illegible] ورموزه وانار ارواحهم بمعرفته و
[illegible] ملكوت [illegible] لما حجب الاجسام ليكونوا من الموقنين
وكشف عن [illegible] رحمته اغشية المتعلقات المانعة عن شهود
جلال رب العالمين [illegible] من يشاء لتقوية الدين ونصرة رجال المعرفة و اليقين
والصلوة على من [illegible] التنزيل بلسان جبرئيل المنعوت اسمه في التورية والانجيل
واهل بيته [illegible] العالمين بتاويل الاحاديث العارفين باسرار التاويل
المطهرين عن ارجاس المذاهب الجاهلية للاباطيل المقدسين عن ادناس
العقائد [illegible] عن التشبيه والتعطيل اما بعد فيقول افقر خلق الله
[illegible] بتاييد مولاه عما عداه والمكتفي بنور هداه عمن سواه محمد الموسوم
بصدر الدين [illegible] قومه الله بلطفه الاعتصامي اوصيكم ايها الاخوان
الباحثين عن دقايق معرفة الله وملكوته بقوة الفكر والانتقال المتحرين بقصدوا
[illegible] الملكوت ويطيروا اسمائه قدس اللاهوت بجناحي الوهم والخيال عليكم بحبل القران

ان

ان ارادتم ان ترتقوا في الاسباب فان من لم يعتصم بحبله فهو حيد عنها الله
[illegible] الاحزاب [illegible] عند اولي البصائر والالباب في جميع الطرق و
الابواب وان [illegible] قواعد ظواهر التنزيل و[illegible] لآياته وعلم [illegible]
بالعمل باحكامه [illegible] ابتغاء [illegible] القران والتنزيل فهو حري
بان لا يبلغ بها [illegible] عليه [illegible] الشريعة [illegible]
من لوامع انوار الطريقة شروطها [illegible] طريقة [illegible]
كيدع وجلائله ولا يبالي في اي واد يهلك [illegible]
اخرى من اخوان الايمان الذين [illegible] رحمهم الله [illegible]
العلم والعرفان اذا سلكوا طريق الصدق في [illegible] عن لسان
القران الذي هو شفاء ورحمة للقلوب والصدور الى [illegible]
فيه متاع لكم ولانعامكم واجسامكم التي هي الات [illegible]
المنقوش عن الرق المنشور وحتى تطوفون على سواحل [illegible]
عن غواص بواطن التاويل اما حان لكم ان تغيبطوا [illegible]
التنزيل لنيل جواهرها اودعها الله على لسان جبرئيل وظواهرها الم
للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وان يصرفوا هممهم في التقرب اليه والانقطاع
لوجهه دون من سواه فهذه اخلائي في الكشف واليقين نفعكم الله الى

مشتملة على مرفة لباب التفسير من قواعد اسرار القران المجيد وجملة
من لطايف نكات ودلائل معجزات لايات بينات من الكتاب العزيز
الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
متعلقة بتفسير سورة الحديد ذكرت فيه لب التفاسير المذكورة في بيانها
ولخصت كلام المفسرين الناظرين في مبانيها ثم اشفعته بزوايد لطيفة يقتضيها
كمال المقام واردفته بفوايد شريفة يفيضها المفضل المنعام ونستعين به في
ان يمهلني الى نهايته للاتمام ويساعدني في الدوران في الاختتام فاعلم ان
هذه السورة مشتملة على المقصد الاقصى واللباب الاصفى من كيفية ارتقاء العباد
من حضيض النقصان والخسران الى اوج الكمال والعرفان وبيان السفر الى الله
طلبا للقائه تعالى والارتحال من اسفل سافلين وحضيض البعد والحرمان
مع مجاورة الرحمن الى اوج على عليين وفوق السموات العلى من قرب
رب الانس والجان وخالق النيران والجنان فان خلاصة دعوة
العباد ونقاوة سياقتهم الى الملك الجبار منحصرة في اقسام ستة ثلثة منها
كالدعائم والاصول المهمة وهي تعريف الحق المسوق اليه المعبود له وبيان الصراط
الذي يجب سلوكه للوصول اليه وبيان الحال عند الوصول فالاول هو معرفة المبدأ
والآخر هو معرفة المعاد والاوسط هو معرفة الطريق واما الثلثة الاخيرة

فهي كالمعينة

فهي
كالمعينة المتممة التي هي كالنوافل والقرب الحاصل بها للعبد من الحق هو قرب النوافل
كما ان القرب الحاصل بالثلثة الاول هو قرب الفرائض المشار اليه في الحديث
المشهور فاحدها تعريف السالكين الى الحق تعالى المجيبين دعوة الحق واثارها
ولطائف تربية الرب لهم ودقايق صنعه فيهم لصفاء جواهرهم وطهارة
اعيانهم عن الخبث والدنس ونقاوة مرآتهم عن الطبع والرين وتمام
استعدادهم لقبول صورة الحق وتوصيف الناكبين عن الطريق الضالين وكيفية
حلول غضب الله عليهم وكيفية تنكيله بهم لسوء استعدادهم وخبث
نفوسهم وتراكم الرين والطبع على مرائيهم والمقصود فيه اما التشويق و
الترغيب كما في احوال المجيبين والاعتبار والترهيب كما في احوال المغضوب
عليهم وثانيها حكاية افتضاح حال الجاحدين وكشف عن اقبحهم وتسفيه عقولهم
وتجهيلهم في محاجتهم طريق الضلال والبطلان بالمجادلة والمحاجة على طريق
والمقصود فيه في جنب الباطل الافضاح للتحذير والتنفير وفي جنب الحق
الايضاح للتثبيت والتقرير وثالثها تعليم عمارة المراحل الى الله تعالى وكيفية
اخذ الزاد والاهبة والاستعداد والمقصود فيه ان معاملة الانسان
مع اعيان هذه الدنيا يجب ان يكون مثل معاملة المسافر مع ابيات مراحله من
مراحل سفره البعيد الذي يطلب به تجارة لن تبور فهذه هي المقاصد الستة المشتملة

عليها المنحصر فيها سور القرآن وآياته وهذه السورة الواحدة لغاية
فضلها وشرفها عقلا ونقلا حيث روي عن النبي صلعم ان هذه المسبحات آية
افضل من الف آية تشتمل على المقاصد الستة كما تشتمل عليها وتنحصر
فيها جميع القرآن ولنشرع في استنباط هذه النفائس الشريفة من هذا البحر
الخضم بقوة العزيز الحكيم ولنسم كل واحد من المعارف الثلثة القرآنية التي هي
الاصول باسم بناسبه كما فعله بعض اكابر العلماء وقد وجدناه في بعض مصطلحات
العرفاء وذلك للدلالة على ان هذه المعارف في درجات متفاوتة
من الشرف والفضيلة مع اشتراك الجميع في الخير والمنفعة فاين معرفة ذات الحق تعالى
وصفاته وافعاله على ان الدانية وسفينها في طريق السفر اليه فشرح المعارف
الالهية المشتملة على معرفة ذات الحق الاول ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله
هو المصطلح عليه بالكبريت الاحمر الحاصل من الخوض في لجة بحار القرآن والعاصم
والغوص في اعماقها وشرح طريق السلوك الى الله وتعريف التبتل الى الله والانقطاع
عن الدنيا هو المسمى بالعنبر الاشهب والعود الانفر الحاصلين من الشاطئ
في سواحل هذا البحر المحيط المتشعب عنه علوم الاواخر والاوائل كما يتشعب من البحر
الانهار والجداول وشرح احوال المسافرين عند الوصول الى المهيمن المتعال هو
الملقب بالترياق الاكبر والمسك الاذفر الحاصلين من الغافل الى

جزائره عند استمدادهما من حيوانات وانك ان تسمي الثلثة الروادف
واقسام كل قسم منها باسم يناسبه ولا يخفى على الذكي المتبصر مناسبة كل قسم
منها لما وقعت التسمية به عليه واياك وان تحمل هذه الاسامي على الاعتقادات الوهمية
والتكلفات المجازية فانها مفوضة عند ذوي البصائر من ابناء الحقيقة بل جعلناها موضع
اشارات الى معان خفية يعرفها من يعرف الموازنة والمماثلة بين عالمي الملك والملكوت
والشهادة والغيب ولو ذهبنا الى تحقيق الموازنة بين هذه الامثلة الحسية والحقائق
الغيبية لادى الى الانتهاض عنه الى الخوض في الكتاب فنستمد من العزيز الوهاب
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
لما لاح لك ان المعارف الالهية المشتملة عليها القسم الاول يتنوع الى معرفة
الذات ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال هي الكبريت الاحمر فاعلم ان هذه الثلثة
ليست على رتبة واحدة فكما ان اخص فوائد الكبريت هو الياقوت الاحمر لانه اجل
قدرا واعز وجودا لا يقع الا في خزائن الملوك والسلاطين وربما يظفر به
بالكسر هكذا معرفة الذات لكونها اجل رتبة واعظم قدرا لا يظفر بشيء منها الا الملوك
الاخرة وسلاطينها مثل الانبياء والاولياء عليهم الصلوة والسلام والله تعالى جل جنابه
الحق ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولكون
معرفة الذات اضيق المعارف الالهية مسلكا ومجالا واصعبها مع القصر اعتقادا

ومقالا واعصاها على الروية والفكر اذعانا وانفرها عن التحفظ والذكر ضبطا
فلذلك لم يشتمل القرآن منها الا على اشارات وتلويحات يرجع اكثرها الى الاسلوب
الفلاسفي كقوله بعد ما ختم سورة الواقعة بالامر بالتسبيح سبح لله اى نزهه
ونكس ... بشانه ما يوجب التكون او التغير وبرّاه من كل نقص ما في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم اضافه لكونهما على احكم ترتيب واتقن نظام وابدع صنعة
نبّه ههنا على ما اسند اليه الفعل ذلك هجيراه وديدنه ويؤكد ذلك مجيئه
على صيغة المضارع ايضا في بعض الفواتح وهذا الفعل يتعدى باللام تارة و
بنفسه اخرى واصله التنحي لانه منقول من سبح اذا ذهب وبعد فمعنى سبحته بعدته
عن السوء فاللام فيه اما ان يكون كاللام في نصحته ونصحت له او يكون معنى الكلام
احدث التسبيح ابتغاء لوجه الله خالصا ما فيهما قال مقاتل يعني كل شيء من ذي الروح
وغيره وكل خلق فيهما ولعل الغرض ان العقلاء يسبحونه قولا واعتقادا او ما ليس بعاقل
من سائر الحيوانات والجمادات فيسبحه بما فيه من الادلة الدالة على وحدانية
مبدعه وصفاته التي تختص به سبحانه عبّر عن هذه الدلالة بالتسبيح كانها اقوال منهم
بلسان الحال من جهة امكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته
ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور
منه والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوّز اطلاق اللفظ على معنييه وجوّز

في ذاته

بعضهم

بعضهم ان يكون ما ههنا بمعنى من ويؤيده ما حكي ابو زيد ان الحجازيين كانوا
اذا سمعوا الرعد قالوا سبحان ما سبحت له ... كل ما ...
هذا تمام كلام الاعلام في هذا المقام ولا يخفى عليك ... كل من ...
المستفاد من كلامهم لكثرة الايات القرآنية والاحاديث النبوية الدالة على
جميع الموجودات حتى المسمى بالجماد والنبات منها قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له
من في السموات والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه ومنها قوله تعالى الم تر ان
الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال و
الشجر والدواب وكثير من الناس وفي هاتين الايتين اشعار بان هذا
تسبيح فطري وسجود ذاتي ناشئ عن تجلي الحق لكلام من خلق الله وانطقه الذي انطق كل شيء
فاحتوه وتواضعوا له من غير تكليف بل اقتضاء ذاتي طباعي والذي يمنع من هذه
العبادة الذاتية الافكار الوهمية والتخيلات الشيطانية التي تكون لاكثر الناس
التي بها يستحق كثير منهم العقوبة والعذاب كقوله ... وكثير حق عليه العذاب
والنكتة في ان الم تر اتى بها بصيغة خطاب المفرد ان غير النبي صلى الله عليه وآله
لم يشهد ذلك فهو له عيان ولنا ايمان ومنها قوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله
من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين وعن الشمائل سجدا لله وهم داخرون وكذا
امثالها ونظائرها من الايات الدالة على وقوع التسبيح من جميع الموجودات حقيقة

عجل

على وجه يستلزم الشعور والادراك وكفاك في هذا التعميم والشمول قوله تعالى يسبح له السموات
والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم و حكاية
تسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وآله وسماعه واسماعه امر مشهور وفي السنة
الرواة مذكور وبالايمان والتصديق مقرون عند الجمهور ويعضدها هذا ما
روي عن ابن مسعود انه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة فخرجنا في
بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا شجر الا ويقول السلام عليك يا رسول الله وامثاله
كثيرة في الروايات فلا وجه للعدول عن الظاهر المنقول المتلقى بالقبول عند ارباب
الكشف والشهود واصحاب الايمان والتسليم فان قلت التسليم بالمعنى الاعم
منتف عن الجماد لعدم الادراك فيه قلنا لا نسلم ذلك لعدم ما يدل على نفي الشعور
فيه مطلقا بل الدليل قائم في بعض من العلوم العقلية على ان الطبائع النوعية لها غايات
طبيعية مترتبة على افاعيلها وفيها علل غائية واسباب مستدعية لوقوع الفعل
المخصوص منها الآن عند اهل الكشف وحال اذا لم يقتنعوا بمجرد التقليد
في العقائد والاقوال ... ثبت عقولهم على الايمان بهذا التسبيح وتصعب عن
دركه افكارهم الا ان يلاذ اسرارهم بالفتح او امر من عنده مكاشفة و علم ان اثبات
الادراك والشعور لجميع ما في العناصر والافلاك مما دلت عليه المباحث البرهانية
وشهدت به العلوم الذوقية وايدته المقامات الكشفية كما اشرنا اليه وهو مذهب

اثبات

جم

جم غفير من الراسخين في العلم والنفس ورأى طائفة عظيمة من المكاشفين منهم
الشيخ العارف والمحقق الكاشف محي الدين الاعرابي واتباعه وتلامذته
قال قدس سره ان المسمى بالجماد والنبات لهم ارواح بطنت عن ادراك
غير اهل الكشف اياها في العادة فلا يحس بها مثل ما يحس من الحيوان
فالكل عند اهل الكشف حيوان بل ناطق غير ان هذا المزاج الخاص يسمى انسانا
لا غير ونحن زدنا مع الايمان بالاخبار الكشف فقد سمعنا الاحجار تذكر
رؤية عين بلسان نسمعه اذاننا منها وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال
الله مما ليس يدركه كل انسان انتهى وتحقيق هذا التسبيح مستدعي بسطا
في الكلام لا يسعه هذا المقام وربما يؤدي ذلك الى تشنيع الجهال
واللئام عند سماعهم شيئا يخالف ما تلقفوه ممن اخذوا منه تعصبا و
تقليدا والذي يليق ذكره ههنا هو ان لكل نوع من الانواع الجسمانية ملكا موكلا
عليه مدبرا للاحاده ومعتنيا بتربية افراده كما ذهب اليه افلاطون وحكماء
المشرقيين طباقا للشريعة الحقة من تسمية بعض ملائكة الله المدبرين للانواع
الاجسام بالاضافة الى نوع ما يتعلق به تعلق التدبير والتأثير باذن الله
العليم الخبير كملك الجبال وملك البحار وملك الرياح وملك الامطار فهذه
ضرب من الملائكة موكلة بجنس الاجسام ونسبة كل منها الى افراد مظهره الى

تلقفوه

يقال له عرف بعض عرفاء الحكماء الطلسم انه فى باب المعرفة من نسبة النفوس
الى ابدانها بل نسبتها اليها نسبة حقيقة الشئ وذاته المطلقة عن العوارض الخاصة
الى ذلك الشئ وكما ان الافعال الصادرة عن الانسان بالاختيار انما تصدر
عن هويته وذاته الباطنة عن ادراك الحس فهو نفسه المقدرة له والبدن
فى ذاته من حيث هو بدن لا شعور له بل لا وجود له كما حققنا ذلك فى موضعه فكذلك
هذه الاجسام الطبيعية انما تصدر عنها ما ينسب اليها من الحركة والسكون والتغذية
والتنمية والتوليد وغيرها من ملكوتها وبواطنها التى هى صورة حقيقتها ومقوم
ذاتها لا من جسميتها ومادتها ثم انه قد ثبت فى المعارف الربوبية ان كل ما
عن المبادى الذاتية فهو انما تصدر عنها تضرعا ورجوعا الى بارئها العالى
لا التفاتا الى السافل وحقيقة التسبيح ليست الا ما يستلزم الخضوع والتمجيد
سواء كان باللسان او بالكتابة اخرى فاشخاص العالم باسرها فى هذه العبادة
الذاتية وهذا السجود الفطرى مكلفة بهذا التكليف الالهى الذى فطر
عليه الجميع الا كل مخلوق له قوة التفكر والروية ليس الا النفوس الناطقة الانسانية
والحيوانية خاصة من حيث اعيان نفوسهم لا من حيث هياكلهم فان هياكلهم
كساير العالم فى التسبيح والسجود له الا ترى انها تشهد على النفوس المسخرة لها
يوم القيمة من الجلود والايدى والارجل والالسنة والسمع والبصر وجميع

القوى

القوى فالحكم لله العلى الكبير فان قلت فما تقول فى الاستثناء الواقع فى قوله تعالى
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين فان السجدة
المامور بها لادم فى الحقيقة سجدة لله تعالى وطاعة لامره فابى ابليس من سجدة ادم
عين ابائه من سجدة ربه ولهذا كان من الكافرين فينافى ذلك بحسب الظاهر عموم
الايات المنقولة وكلمة الحكم بعبادة كل موجود من حيث هو موجود عبادة
جبلية قلنا ان اباء ابليس عن السجود واستكباره وعصيانه بحسب ظاهر
الامر عين سجوده وطاعته وخضوعه وتواضعه لربه باعتبار القضاء الالهى
فان العزيز الجليل اقامه فى حجاب العزة والجلال ذليلا محجوبا حتى يكون ابليس
مطرودا ملعونا محترقا بنار البعد والوصال فى الدنيا ومعذبا بنار الجحيم والنكال
فى الاخرى حسب ما جرى عليه القضاء فلم يكن له بد من موافقة علم الله تعالى
هو عين ارادته ولذلك اقسم بعزته تبارك وتعالى للاغواء لان الاغواء من
مقتضيات العزة والاحتجاب بحجب الجلال ولعل فى قوله وهو العزيز الحكيم فى هذه
الاية ايماء بان طاعة الموجودات وتسبيحها للحق تعالى على النهج الطبيعى الذى
جرى عليه القضاء الازلى ولا يمكن لاحد التقصى عنه والعدول الى غيره فعصيان
العصاة وتمردهم نحو من الطاعة والامتثال لحكم الاسماء فاهل الحجاب وعباد
الكثرات لا يجيبون دعوة التوحيد ومن كان فى مرتبة الجمع يطلع على اسرارهم

والضلال

ويعذر الكل بما هم عليه ويعلم ان انكارهم عين الاقرار وفرارهم عين الاجابة
لدعوة العزيز الجبار كما نقل عن سيد الاولياء امير المؤمنين علي عليه السلام انه
قال يشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود وقوله عز وجل له ملك السموات
والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير [illegible] المتصرف فيه باي نحو
اراد من التصرف وهذا بالحقيقة لا يكون الا لمن [illegible] ذات ذلك الشيء بحيث
يحييه ويميته اذا اراد [illegible] تصرفه [illegible] على تأثير سبب مباين
فلا يكون له التصرف باي وجه شاء بل [illegible] وجوه التصرف فالمالك بالحقيقة
من له ذات كل شيء فعبر عن الجميع بالاجسام العظام لانها الجلية المكشوفة الواقعة
في عالم الشهادة [illegible] على كل شيء قدير اشعار لطيف بما ذكر وبرهان
يشهد عليه لان الموجودات [illegible] بعض متوقفة بعضها على بعض كالاعضاء
بالنسبة [illegible] فلو لم يكن [illegible] لم يكن مالكا للبعض بالحقيقة كما
علمت ان الموجود قد يكون لا وجوده لنفسه وقد يكون لشيء اخر كالاعراض والصور
[illegible] وجودها في [illegible] اوصافا لغيرها لا لذاتها على خلاف الاعيان
الجوهرية [illegible] بنحو ما لغيرها والتحقيق ان وجود الموجودات
في انفسها [illegible] وجودها لله تعالى لان جميعها فعل الحق والفعل من حيث هو فعل
لا قوام له [illegible] الا بالفاعل وما في حيز الافعال والاثار مستقلة بحدودها ما فضلا

عنها

عنها فليست هي بالحقيقة اثار لها بل يتعلق بها على نوع اخر من التعلق ومن
يحيي وما يعطف عليه اما مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف او منصوب على انه
حال من الضمير المجرور [illegible] ويحتمل عدم تعلق هذه الجملة بشيء فلا يكون لها موضع
من الاعراب كقوله [illegible] السموات ومعناه يحيي النطف وهي البيض في الدنيا والموتى
يوم القيمة ويميت الاحياء [illegible] وعن امير المؤمنين عليه السلام يحيي بالطاعة ويميت
بالمعصية وعن ابي بكر الوراق يحيي بالعلم ويميت بالجهل وعن ابن عباس يحيي
عند البعث ويميت في الدنيا [illegible] الاول والثالثة [illegible]
العلم والطاعة من قبيل حيوة الارواح [illegible] والجهل والمعصية من قبيل
موت الاجسام في الدنيا مكاشفة [illegible] الاحيا [illegible]
في الاولى لله يحيي وفي الاخرة [illegible] على ذلك [illegible] عليه مع
كونه على كل شيء بنسبة واحدة من [illegible]
كما لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض [illegible] فان قلت ما وجه
الامامة منه تعم مع كونه محض الرحمة وينبوع [illegible]
مستلزمة للاحيا على وجه ابقى واشرف حسن [illegible]
على وجه اكثر واصلح حسن او نقول موة [illegible] من ضروريات قوام الروح [illegible]
موجودة بالفعل وان كانت من ارواح الاشقياء المردودين [illegible]

وان كان قبل وجودهم [illegible] فهو اول في الوجود واخر في المشاهدة ولله
عز اسمه حيث انبأنا عن غاية وجود العالم قال وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون اي ليعرفون وقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف
فخلقت الخلق لاعرف قد دلنا على ان الغاية القصوى لوجود العالم معرفة
الله الفاعل له موجود او دلنا ايضا على بعض الغايات المتوسطة الضرورية
بقوله لولاك لما خلقت الافلاك فالمبدأ والغاية لوجود العالم ولقاء
الاخرة هو الله سبحانه لذلك بني العالم ولاجله نظم النظام قال بعض الحكماء
ولو ان احدا من الخلق عرف الكمال الذي هو الخير الاقصى ثم كان ينظم الامور
التي صدرت منه على الوجه الذي صدرت هي عليه وعلى امثاله حتى كان
الامر على غاية من النظام والتمام لكان غرضه بالحقيقة هو ذات الباري
فهو الاول والاخر بهذا المعنى انتهى تتميم قد انكشف ان الموجودات
العالمية كلها بحسب فطرتها التي فطر الناس الله عليها متوجهة نحو
غايات حقة واغراض صحيحة بل الغاية في الجميع امر واحد هو الخير الا
الان ههنا غايات وهمية زينت لطوائف من المكلفين فهم
سالكون البهائم لبس وعماية من غير بصيرة ودراية فهؤلاء الطوائف
مع وثوق الوجود ومنبع الرحمة والجود في شقاق فهم ليسوا عباد الله
في الحقيقة ولا الله مولاهم الحق وحيث ما يتولونه فلهم لا محالة تولي

وهو

وهو شيطان من الطواغيت ولما كان فعل الشيطان الوسوسة والاغواء
ولا يطيعه الانسان الا بقوة الوهمية التي هي من جنود الشيطان ان شئت سميتهم
عبدة الهوى وان شئت سميتهم عبدة الطاغوت فقد نزل بكل ذلك القرآن قوله تعالى
الله فاحب لقائه ثم وجدوا على ما اجرى عليه النظام فهو قائمهم ومولاهم الحق وهو
الصالحون من كان لله كان الله له ومن كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات
ومن تعدى ذلك وطغى وتولى الطواغيت واتبع الهوى فلكل نفس من الهوى
طاغوت فنفس كل معبوده ومقصد اليه كما في قوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه
واعلم ان النظامات الوهمية والغايات الجزافية تضمحل ولا تبقى فكل
من كان الهه هواه ووليه الطاغوت والطاغوت من جوهر هذه النشأة
الدنياوية التي هي دار الغرور وموطن الزور فكلما امعنت هذه النشأة
في العدم ازداد الطاغوت اضمحلالا فيذهب به مع معتقله ومنقلبه الى العدم
بهذه الحركات حتى يحله دار البوار عصمنا الله واخوانا في اليقين من
متابعة الهوى والركون الى زخارف الدنيا وجعلنا من عباده الصالحين
الذين يتولاهم رحمة بهم الله واما كونه ظاهرا فلكونه نور السموات والارض
والنور حقيقة الظهور لان ما ليست حقيقته النور فانما يظهر بالنور والنور
بنفسه ظاهر وبذاته متجل واما كونه باطنا اي مختفيا فلشدة ظهوره
وغاية وضوحه محتجب على الضمائر والانظار ومحجوب عن العقول والابصار

من كل مكان وما هو بميت وما يؤيد ان الحيوة الآخرة نوع اقوى من الحيوة الدنيا
قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اذ حدة البصر والبصيرة
تدل على قوة الحيوة والوجود وقوله عز وجل هو الاول والآخر والظاهر والباطن
وهو بكل شيء عليم الواوات الثلثة للجمعية لكن الاولى الدالة على انه تعالى جامع
صفتي التقدم والتأخر والثالثة على انه جامع الظهور والبطون والوسطى على انه
الجامع بين ذينك المجموعين مجموع الاولية والاخرية ومجموع الجلاء والخفاء وعند
الجمهور ان الواوات كلها والمعنى هو الاول والآخر الظاهر الباطن لان من كان
منا اولا لا يكون آخرا ومن كان ظاهرا لا يكون باطنا وهذا يلائم القول بان
اوليته عين آخريته وظاهريته عين باطنيته وعن ابن عباس الاول قبل كل
شيء بلا ابتداء والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء فهو الكائن لم يزل والباقي
لا يزال والظاهر الغالب العالي على كل شيء فكل شيء دونه والباطن العالم بكل شيء
فلا احد اعلم منه وتوجيه هذا المنقول وان كان فيه عدول عن الظاهر المفهوم
انه مأخوذ من بطن الشيء بمعنى علم باطنه ولهذا اردفه بقوله وهو بكل شيء عليم
لان العالم بوجود الشيء عالم بما سواه وعن الضحاك هو الذي اول الاوائل
وآخر الاواخر واظهر الظاهر وابطن الباطن وقال السلمي هو كقول القائل
فلان اول هذا الامر وآخره وظاهره وباطنه اي عليه يدور الامر وبه يتم وقيل

المستمر

هو المستمر الوجود في جميع الازمنة الماضية والآتية والظاهر في الحجج الباهرة
والشواهد الباطن عن ادراك الحواس والمشاعر الجلية فيكون حجة على من
جوز رؤيته تعالى في الآخرة بحدة الحاسة وقيل الاول والآخر صفة الزمان
بالذات والظاهر والباطن صفة المكان كذلك والحق تعالى وسع المكان ظاهرا وباطنا
ووسع الزمان اولا وآخرا وهو منزه عن الاتصاف بالزمان والمكان فانه كان
ولا مكان ولا زمان ومن شفقة الاولية قد يكون بمعنى كون الشيء فاعلا والآخرية
بمعنى كونه غاية مترتبة على وجود الفعل وان كانت الغاية بحسب وجوده العقلي
متقدمة ايضا فانه سبحانه اول كل شيء بمعنى ان وجوده حصل منه وبمعنى انه
في حصول ذلك الشيء منه هو علمه بالمصلحة وكونه تاما في الجود والرحمة فائضا
على الاشياء بلا عوض وآخر كل شيء بمعنى انه الغاية التي تطلبه الاشياء وتقصده
طبعا وارادة والعرفاء المتألهون حكموا ابرهانا بنور المحبة له والشوق اليه في
جميع المخلوقات على تفاوت طبقاتهم فالكائنات السفلية كالمبدعات العلوية
على اعترافه بشوق من هذا البحر الخضم واعتراف شاهد بشهود وحدانية الحق
العليم فلكل وجهة هو موليها فهو الحق الاول الذي منه ابتداء ارواح العالم وهو الآخر
الذي اليه ينساق وجود الاشياء سيما بني آدم اذ منه صدر الوجود وبامره
وقع الكون وهو الآخر ايضا بالاضافة الى سير السالكين اليه فانهم لا يزالون
مترقين من رتبة الى رتبة حتى يقع الرجوع الى تلك الحضرة بفنائهم عن ذاتهم

فقد انه بذاته متجل للاشياء ولاجل قصور بعض الذوات عن قبول تجليه محتجب
فبالحقيقة لا حجاب الا في المحجوب والحجاب هو القصور والضعف والنقص
وليس تجليه الا حقيقة ذاته اذ لا معنى له بذاته الا صريح ذاته لان صفاته ليست
زائدة على ذاته [illegible] او لانه كالشمس التي هي اشد الانوار الحسية
واقوى الانوار البصرية كيف احتجب لفرط ظهورها على الحاسة البصرية
حتى لا يمكن البصر لاجل ضعف قوته ملاحظتها الا من وراء الحجاب كالمرآة والماء
او السحاب الرقيق كما قال الشاعر كالشمس يمنعك اجتلاؤك وجهها
فاذا اكتسبت برقيق غيم امكنا فكذلك الحق سبحانه فانه وان لم تحط بحقيقته
العقول والافكار ولم يدرك ذاته البصائر والابصار الا انه ليس لوجهه
نقاب الا النور ولا لذاته حجاب الا الظهور ولم يمنع القلوب من الاستنارة
والاجتلاء بعد تكشيفها عن كدورات الشهوات الا شدة الاشراق وضعف
الاحداق فسبحان من اختفى عن بصائر الخلق لنوره واحتجب عن عقولهم لفرط
الوضوح ظهوره وهو بكل شيء عليم لانه بنور ذاته يعلم جميع الاشياء على ذاته
والعلم بالشيء ليس الا ظهوره عنده لا بشيء آخر ومثوله بين يديه ولانه
خالق كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اذ بيده ملكوت
الاشياء ومنه ينشأ حقائق الانباء قوله عز وجل هو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش اصل الخلق التقدير والاستواء

الاعتدال

الاعتدال والاستقامة ونقيضه الاعوجاج والعرش السرير ومنه قوله تعالى ولها
عرش عظيم والعرش الملك يقال ثل عرشه والعرش السقف ومنه قوله تعالى
فهي خاوية على عروشها والمعنى انه لما ذكر ان جميع الموجودات بمجرده وعزه
يستجوبه ويظهره كل منها على قدر وعاء وجوده ظهوره وحوصلة ادراكه
وشعوره لعظمته ومجده وجماله وجلاله وبين ذلك [illegible] له التصرف في الجميع
بالمالكية والافادة والاحياء والامانة وانه اول كل شيء وآخره وظاهره
وباطنه والملوك لا محالة يكون خاضعا ساجدا لربه ومطيعا له اقر بذلك او اراد
ان يشعر بان كونه مجيب يخضعه ويسجد له الجميع ليس امرا جزافيا او اتفاقيا
او حكما اجباريا من غير استحقاق بل هو امر يليق بشأنه واقع في مقابلة
لطفه واحسانه وكرمه وامتنانه حيث نظم امور العالم على ابدع نظام
وافاد وجود كليات الجواهر وعظائم الاجرام على اشرف وضع واتم انتظام
اذ انشاء اعيان السموات وابدعها لا من شيء يقتضيه ولا على مثال احتذاه
ثم امسكها بلا عماد يدعمها وانشاء الارض واوجدها كل ذلك في ستة ايام
ولم يخلقها في لحظة واحدة وان كان مقدورا له تعالى لان خلقها في هذه المدة
اصلح واليق بحال الكائنات وانسب بنظم المخلوقات ورتبها على ايام
الاسبوع فابتدأ بالاحد وختم بالجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك
تسمى جمعة عن مجاهد وقيل ان ايجاد الحوادث على انشاء شيء بعد شيء على

امكسها ح

على التدريج والترتيب ادل على كونه فاعلا عالما مدبرا بعرفه على خفياته
كيف بناء جويا بان يعدل اى يستجيل ويطيع امره جميع عباده ومن كان في
ملكه وملكوته وقوله تعالى ثم استوى على العرش اى يستوى امره الى ملكه لان
الامور والقضايا يتنزل منه وعن الحسن يعنى استقر ملكه واستقام بعد خلق
السموات والارض وظهر ذلك للملائكة وانما اخرج هذا على المتعارف في
كلام العرب كقولهم استوى الملك على عرشه اذا انتظمت امور مملكته واذا
حصل امر مملكه قالوا ثل عرشه ولعل ذلك الملك لا يكون له سرير اصلا
ولا جلس عليه ابدا قال الشاعر اذا ما بنى المروان ثلت عروشهم
وأودت كما اودت اياد وحمير وقيل معناه ثم قصد الى خلق العرش
عن الفراء وجماعة واختاره القاضي ابو بكر ويلزم منه ان يكون خلق
العرش بعد خلق السموات والارض وليس بذلك مع بعده عن اللفظ
وروى عن مالك بن انس انه قال الاستواء غير مجهول وكيفيته غير معلوم
والسؤال عنه بدعة وعن ابي حنيفة انه قال اقر به كما جاء اى لا تفسره
مكاشفة اعلم انه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير محكم فابدع
الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضيهن سبع
سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا
للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية

متضاده

متضادة الاثار والافعال كما اشار اليه بقوله خلق الارض اى ما في جهة السفل
في يومين ثم انشاء انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما
قال بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام اى مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام لما تم له عالم الملك بامره عمد الى تدبيره كالملك
الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك
وتسيير الكواكب وتمزيج القوى والكيفيات مما يلج في الارض وما يخرج منها وما
بما ينزل من السماء وهدايتها بما يعرج فيها وهو اقرب الى كل شيء من حبل الوريد
لانه له التاثير والايجاد ومنها التهيئة والاعداد فهو مع كل شيء اينما كان وهو القائم
على كل شيء بما كسب مكاشفة اعلم ان المكشوف عند ذوى الابصار ان الحق
سبحانه وتعالى خلق السموات والارض في ستة ايام من الايام الالهية التي كل يوم منها الف سنة
مما تعدون وهي من زمان آدم الى زمان محمد صلى الله عليه وآله جميع ... ادوار الخفاء الذاتي
واحتجابها بالاسماء وظهور الاسماء في مظاهر الاشياء كل يوم منها ميلاد واحد من
الانبياء العظام من آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهم
اجمعين ثم استوى على عرش الذات وهو الروح الاعظم باسم الرحمن في يوم السابع وهو يوم
القيمة لحشر الخلائق فيه وجمعهم وحسابهم ومبدانهم لقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس
... فيما بين الناس في جميع الامصار ان مدة الدنيا سبعة الاف

سنة على عدد الكواكب السبعة فكل الف سنة يوم من ايام الله لقوله وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون فالستة منها هي التي خلق فيها السموات والارض وما فيهما
لان الخلق حجاب الحق في خلق اختفى بها فاظهرها في يوم السابع هو يوم الجمع وزمان الاستواء
على العرش والظهور بالاسماء وهذا الظهور يبتدى في السابع مع ظهور محمد صلى الله عليه وآله كما روى انه عليه السلام
قال بعثت انا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى وبعده الى تمام سبعة الاف
سنة من لدن آدم اول الانبياء الى زمان خاتم الاولياء المهدى صاحب الزمان عليه السلام
وتنقضى الخفاء بالظهور التام لقيام الساعة ووقوع القيمة الكبرى وعند ذلك تظهر فناء
الخلق والبعث والنشور والحساب والميزان وتميز اهل الجنة واهل النار ويرى
عرش الله بارزا كما حكى بعض العرفاء عن شهوده وتمام ظهور هذه الامور في الاخرة و
ان كان العارفون يشاهدونها في مرآة الدنيا فابتداء يوم القيمة الذي قد طلع فجره بمبعث
نبينا محمد صلى الله عليه وآله فالمهديون الكائنون خير امة اخرجت للناس اهل الجمعة ومحمد صلى الله عليه وآله صاحبها وخاتم
النبيين واتفق اهل الملل كلهم من اليهود وغيرهم ان الله فرغ من خلق السموات والارض
في اليوم السابع الآن اليهود جعلوا السبت وابتداء الخلق من الاحد وعلى ما ذكر
يكون يوم الجمعة وان جعلنا الاحد اول الايام ووقت ابتداء الخلق كان جميع دور النبوة
دور الخفاء وفي السادس ابتداء الظهور وازداد في الخواص كما ذكر انه يوم خلق آدم
الحقيقي ويوم ... ويوم المزيد حتى ينتهى الى تمام الظهور وارتفاع الخفاء في آخره عند
خروج المهدى عليه السلام ويتم الظهور في السابع الذي هو السبت ولزيادة توضيح هذا المقام

تمهيد

تمهيد مقدمة من الكلام فنقول ان ما اوجده الله تعالى بحكمته البالغة ونظمه بنظمه البديع لا
عن قسمين اما امور طبيعية جسمانية واما امور الهية روحانية اما الطبيعية الجسمانية
فحدوثها وانشاؤها لا يكون الا على سبيل التدريج ومر الدهور والازمان اذ
بالطبيعى ما يصدر عن الطبيعة لقدرة الله تعالى والطبيعة بما هي طبيعة ليست حقيقتها الا مبدأ
الحركة والسكون في الجسم الطبيعي وهما زمانيان كما حقق في مظانه فالطبيعي اذن تدريجي
لا محالة فوجود العالم الجسماني فلكيا كان او عنصريا تدريجي لان حقيقتها متقومة بالتغير
فكل عاقل لبيب اذا افكر في كيفية ايجاد الاجسام الطبيعية وعوارضها وصفاتها الطبيعية
يعلم ويحقق انها واقعة في مقدار من الزمان ويتيقن ان حصول الكل قد انقضى عليه ومضى
... الى ان تمحض وتميز اللطيف منها من الكثيف والعالى منها من السافل والفلكى
منها من العنصرى والنير من المظلم وتفصل الكرات الفلكية والانوار الكوكبية ويحيط بعضها
ببعض والى ان استعدت الاجسام الكلية والكرات الكوكبية ودكرت على مراكزها
والى ان تميزت الاركان الاربعة وترتبت مراتبها ومن حيث فنون ممتزجاتها
لينتظم الكل كانها شخص واحد متعاون بعضها ببعض ينتفع بعضها من بعض
كابعاض بدن واحد انسانى مدة من العمر والدليل على ذلك قوله سبحانه خلق السموات
والارض في ستة ايام وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون واما الامور
الربانية والاشعة الالهية فهي كانها مراتب علمه الازلى وعالم قضائه وامره
السرمدى وحجب ربوبيته وسرادقات عزته لا يبلغ عقول البشر كنههما

معناها

وقد يعبر عنها في لسان الشريعة بعبارات ورموز لا نفهم معناها الا من ايده بنور فيض
خاص وهي المشار اليها في قوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر تنبيها على تجددها
وتغيرها في زمان واحد عند عالم الزمان والتغير وقد وقع في بعض شرايع السابقين وظل
الاقدمين اسباب وعلل كثيرة حدوث الافلاك وما فيها من امر الله سبحانه على حسب
انه قد ابدع من ... النفس الكلي اي الملك الاعظم الحامل للعرش الرئيس على حملة
العرش المدبرات للسماوات قبل تعلقها بالجسم ذي الابعاد وكانت في عالمها الروحاني
ومحلها النوراني مقبلة على مفيضها ومكملها تقبل منه الفيض والفضائل الكثيرة
وكانت منعمة متلذذة مستريحة فرحانة من تلك الفضائل والخيرات فاخذها شبه المخاض
فاقبلت بطلب ما يفيض عليه من تلك الخيرات وكان الجسم بحسب هيولته فارغا عن
ذلك من الاشكال والصور والنقوش فاقبلت النفس على الهيولى لتميز الكثيف من اللطيف
فيفيض عليه تلك الفضائل والخيرات فلما راى الباري جل ذكره ذلك منهما ومن الجسم تمثلا
لها خلق من ذلك الجسم عالم الافلاك وطباق السموات من لدن العرش الى منتهى مركز الارضين
على احسن نظام وترتيب على ما هي عليه الان فمكن ان يفيض تلك الفضائل والخيرات من الصور
والكيفيات متجددة متعاقبة فان منها متطاولة ودهور كثيرة لا يسعها الجمع من الصور
في زمان واحد فيها استوفت فاضت الصور والكيفيات المقدرة في قضاء الله وحكمه
على المواد الفلكية والعنصرية سكنت الافلاك عن الدورات والكواكب عن المسير والاركان
عن الاختلاط والمزاج وكملت القوى الجسمانية الالات وبليت الجثث والمعادن والنبات وخلع

الارض
الجسم الصور والاشكال والنقوش وانفطرت السماء وانشقت وهدت الجبال ونسفت وتبعثر
فارغة كما كانت بديا ورجعت النفس المدبرة الكلية الى عالمها الروحاني ومحلها النوراني في نشاتها
الاولى واعرضت عن شغلها الذي كان واقبلت نحو ... المفيضة ولحقت به الا في
مثال النفس في اقبالها على الجسم وتبعا لها ابتداع واصلاحه بعد ما كانت بدعتها
مستفيدة منه الفيض كمثل الرجل الخير العاقل المقبل اولا على استاده المعلم ليكون
في تعليمه العلوم والحكم والمعارف المتخلق باخلاقه الجميلة واداب الصحيحة من شأنه
امتلا من الخيرات والفضائل والعلوم والحكم اخذه عند ذلك شبه المخاض وتمنى وتشهى
وطلب من يفيض عليه من تلك الخيرات والفضائل ويفيض اياها فاذا وجد تلميذا يعلم انه
يقبل منه ويفهم عنه علمه وحكمته اقبل عليه بالفيض والارشاد والافادة طمعا في اصلاحه
وحريصا على تعليمه وتاديبه تشبها باستاده الاول فاذا فرغ من تعليمه وتاديبه اقبل
عند ذلك على عبادة ربه وطلب الخلوات بمناجاة ربه وتمنى اللحوق باستاده فرحا فاذا
والتخلي عن الاملاك وكذا كانت سيرة الانبياء عليهم السلام وكذلك كانت سيرة الحكماء
المتقدمين الذين اخذوا الحكمة من مشكوة النبوة كل ذلك تشبها بالله في اظهار حكمته و
فيض فضائله على بريته واعطاء نعمه على خلقه كلام من الحكماء شبيه من ذكروا ان ملكا
عظيم الشان عزيز السلطان واسع المملكة كثير الجنود والعبيد وله من بعض حرمه ولد كان
اقرب الخلق به شبها والى والده طبعا وخلقا فلما ترعرع ونشا وكمل ولاه الاب بعض
مملكته وامر اجناده وعبيده بطاعته واوصاه بحسن سياستهم واباحه جميع النعم

آدم ٤

غير انه نهاه عن شجرة فمكث ذلك الابن زمانا طويلا قدر نصف يوم متنعما متلذذا
الا انه كان ساهيا فحسده بعض عبيد الملك ممن كان مقربا قبله فقال انك لست
تعرف نعمة ولا تجد لذة لانك ممنوع من افضل نعم منهي عن التذ شهوة فاغتر بقوله وطلب
ما ليس له ان يتناوله قبل حينه فسقطت مرتبته وانحطت درجته عند ابيه
وبدت له سوءته وخسته واستبانت خطيئته فهرب خوفا من ابيه ذاهلا في مملكته
شبه المستتر فاصابه العناء ولحقه البلاء والضراء وجهد والبلاء فتذكر يوما كان فيه
في نعمة ابيه فخر على ما فاته وبكى اسفا ثم نعس فنام فحمل الى ابيه فقال دعوه نائما الى
يوم الجمعة ثم انه تولد في اليوم الثاني ابن اخر اشبه الناس باخيه فترعرع ونشا وكمل ونما
وكان حكيما قويا شكورا صبورا فولاه ابوه بعض مملكته وامرهم بطاعته واوصاه
بسياستهم فدعاهم وامرهم ونهاهم فلم يسمعوا له ولم يطيعوا له امره لانه كان شبيه زحل
بل اذوه فصبر زمانا ثم شكى الى ابيه فغضب عليهم ودمر اكثرهم في الال فلما راى ما اصابهم
اغتم وحزن ونعس فنام وحمل الى ابيه فقال اتركوه نائما الى يوم الجمعة ثم انه ورزق في اليوم
الثالث ابن اخر وكان اشبه باخويه اللذين تقدم ذكرهما وكان حزنا فاضلا حجاجا
فولاه ابوه مكان اخويه وامرهم بطاعته واوصى اليه ما اوصى الى اخويه من قبل فدعاهم و
امرهم ونهاهم فلم يسمعوا ولم يطيعوا الا انه كان يشبه المشتري وقرعوه بالنار فذهب
الى ابيه وبنا له هيكلا وقرب له قربانا وعلم مناسكا ونادى في الناس تعالوا الى الرب
ما لم تروا وتسمعوا ما لم تسمعوا ثم نام وحمل الى ابيه فقيل اتركوه نائما الى يوم الجمعة و

نوح ٢

ابراهيم

كعبة

نداءه في مسامع النفوس فتوادر من غيرانه سمعوا ويذهبون الى هيكله فيرون طعامهم
ويرونه حالا يبصرون ويفعلون شبه مناسكه ولكن اكثرهم لا يفقهون لانهم صم بكم
لا يعقلون ثم انه رزق في اليوم الرابع ابن اخر فنشا وكمل ونما وكان جلدا قويا مقدما
فولاه ابوه مكان اخوته وامرهم بطاعته فدعاهم وامرهم ونهاهم فلم يسمعوا ولم يطيعوا
لانه كان يشبه المريخ فبادروه وبادرهم وناوشوه وناوشهم وكان يؤيد بقوة اتيح له
فغلبهم وبدد شملهم وفرق جمعهم وشتت الفهم ووزعهم في البر والبحر ثم بقي وحيدا كان
يدعو فلا يجاب ويامر فلا يهاب فاغتم وحزن ونعس فنام وحمل الى ابيه فقيل دعوه
نائما الى يوم الجمعة ثم رزق في اليوم الخامس ابن اخر اشبه الناس باخيه الاولين فنشا و
فكمل ونما وكان هاديا رشيدا طبيبا رفيعا فولاه ابوه مكانه اخوته فدعاهم وامرهم
ونهاهم فلم يسمعوا له الا قليلا ولم يطيعوا له الا يسيرا لانه كان يشبه الزهرة ثم وثبوا عليه
فاخذ واقبضه الذي البسه الله فذهب الى ابيه فاستغفر عليهم بجنوده واتاهم بروح منه
فسرى في نفوسهم وتحكم في لاهوتهم بلا قصاصا لما تحكم في ناسوته واذان بني الركائب
فقال ابوه اصبر الى يوم الجمعة ثم قال للملائك يوم السادس للنجم حشادا والابن الذي يشبه عطارد
يوم البين الى عالم الكون والفساد فيبشر اخوته النيام ويناديهم الى ربهم فقد ربت عليهم
ويامرهم بالاستعداد للصلوة فان غدا هو يوم العيد يوم الجمعة فبرز القضاء وحكم بينهم
فيما كانوا فيه يختلفون فاجتمعت سادة النجوم في سماء الكواكب في بيت المريخ ونشاوروا

موسى

عيسى

بينهم فضائل ونفيس الكواكب وملكهما انا اخشاد له من قوتي واذوده من فضائل العظمة
والجلال والكبرياء والسلطان والعزة والرفعة والبهجة والبهاء والجدوى والثناء والبذل
والعطاء وقال المشتري كبيرا انا اخشاد له من قوتي واذوده من فضائل الحلم والوقار والصبر
والثبات وبعد الغور وعلو الهمة والحفظ والامانة والفكر والروية وقال زحل القاضي
العادل انا اخشاد له من فضائل واذوده من قوتي الخير والصلاح والعدل والاحسان
والصدق والصيانة والمروة وقال بهرام صاحب الجيوش انا اخشاد له من فضائل العز
والصرامة والنجدة والشجاعة والهمة والنشاط والظفر والغلبة والبذل والسخاء
والتيقظ والانفة وقالت ناهيد اخت النجوم انا اخشاد له من قوتي واذوده من فضائل
الحسن والجمال والكمال والتمام والرافة والرحمة والزينة والنظافة والحب والمودة
والسرور واللذة وقال اخوهم الاصغر وهو اخفاهم منظرا واجلهم مخبرا الاصبغة
الطهر وعلومه الكثرة وعجايبه استمر انا اخشاد له من قوتي واذوده من فضائلي ما وعند
من مناقب النطق والفصاحة والتمييز والفطنة والقراءة والعلوم والحكمة قالت ام النجوم
انا ارضعه وادبره واخشاد له من قوتي واذوده من فضائلي النمو والنماء والزيادة والنقصان
والحركة في الاقطار والتنقل في الاكناف وطلوع الامال والسير والاخبار وعلم من
الاحبال ثم انه حادث الافلاك وتمحضت قوى الروحانيات اهل السموات فمن الى عالم
الكون والفساد في ليلة القدر قبل طلوع الفجر حب الشمس لينفخ في الصور فكن بذلك

الموكد

هذا المولود في الرحم اربعين يوما من ايام الشمس وعشرين يوما في الرضاع حتى ترعرع ونشا
وكمل ونما وكان اشد الناس شبها باخيه الثالث لانه كان يشبه العطارد الذي
هو اخو المشتري فصار هذا المولود من بين اخوته اتمهم بنية واحكمهم صورة وكان اديبا
عالما حكيما لمكان غرابة ادخالها اماما عادلا نبيا مرسلا فولاه ابوه مملكة اخوته كلها فظهر
من ضال الفرو ورفع واعز من واخفض وحكم في مملكته نحو ثلثين يوما من ايام الشمس ثم اصابته
العين فاعتل ونام على الفراش نحو يوم من ايام القمر مريض الجسم عليل النفس ثم
داء اخرى ونهض قليلا ومشا ونشط وانبسط ودخل الى كهف ابيه ونام مع
فتكوا زمانا فلما انقضى دور القرانات وتقارب الميعاد ناديهم الملك الم يان لكم ان
تنتبهوا من نومكم وتستيقظوا وتذكروا ما نسيتم من امر مبدئكم وترجوا معادكم من
اسفاركم وتاوون الى دار مقامكم عن غربتكم فقد تم خلق السموات السبع في ستة
ايام وعند الجمعة يستوي ربكم على العرش ويحمله يومئذ ثمانية فانتبهت لذلك الاخوة
الذين قيل انهم سبعة وثامنهم كلبهم بعد ما قد تم ثلثمائة واربعة وخمسين من ايام
الشمس بحساب القمر فتذاكروا كم لبثتم في كهفكم فقال ابوهم لاخيهم فلا تمار فيهم الا
ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا فاخفى امرهم وكتم اسرارهم لانه لا يكون من
تلك الامور اتمهم ولا اخفى الامور ادناهم الحكم هو علم انهما كانوا نيام ينبههم
يوم القيمة وهو يوم جمع الخلائق كلهم للجزاء وكما ان للملك مدينة فيها جنوده وملكه
ولاهل تلك المدينة صناع وعمال لهم اجرة وارزاق وفيها تجار وبياع

جواذبين ومكاييل ولهم مظالم وخصومات ولهم فيها قضاة وعدول ولهم فقر وحاجة
ووصول فات من سنة القضاة البروز والجلوس في كل سبعة ايام يوم واحد فكذا
يجري حكم النفس الكلية وملائكة الله تعالى العمالة باذنه في الانفس الجزئية في كل
سبعة ايام كل يوم الف سنة لعرض الخلائق لدى العزيز الجبار الواحد القهار لفصل
القضاء بينها باستخدام ملائكة العمالة باذنه فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال
حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن النبي صلعم انه قال عمر الدنيا سبعة الاف
بقيت في اخرها الف وقال صلعم لا تبقى على هذه الامة يوم وهو يوم العرض الثاني كما ان
العرض الاول ما اشار اليه بقوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا
غافلين وبين اليومين مدة سبعة الاف وكما ان في المدينة لاهلها جنان وميادين
وانهار وبساتين وفيها مجالس ومضايق ومساجن فالاولى لنزاهة النفوس
وبهجتها وسرورها ولذاتها ونعيمها والثانية لعقوبتها وعذابها على قدر جرمها
وذنوبها فهكذا في طبقات الوجود ومراتب الكون فسحة وسعة لاهلها جنة نعيم
وروح وريحان ونعمة ورضوان ومحابس ودركات لاهلها عذاب اليم وعقاب
شديد وغصة عظيمة كما ذكره الله تعالى في التورية والانجيل والفرقان في مواضع كثيرة من
نعت الجنان ولذاتها ووصف النيران وافاتها هذا ملخص ما وجدنا من كلام الاكابر
العظام فاوردناه توضيحا للمقام وليعذرني بعض اعلام الانام من اهل الدراية والافهام

في خروج

في خروج عن طورهم لبعد المرام والله ولي الهداية في البداية والنهاية قوله عز وجل
يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اين ما
كنتم والله بما تعملون بصير اه اي يعلم ما يدخل في جوف الارض وينتشر فيها من البذور
وغيرها وما يبرز من الارض ويتكون منها او يعلم ما يموت في الارض من العباد والنبات
والحيوان وما يخرج منها ويكون على ظهرها من هذا فيعلم اعيانها واطوارها وتقلباتها
واحوالها من القوة والفعل والكون والبروز ومدة بقائها ووقت فنائها ويعلم ما ينزل
من السماء من مطر وملك وغيرها من التاثيرات القوى والكيفيات ومباديها وفواعلها وارزاق الخلق
اذ جميع ما ينزل من السماء لقوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها اي يصعد
من الملائكة الحفظة وما يكتبون من اعمال الخلائق كلها وهو معكم اي عالم بكم اينما كنتم وفي اي
احوال من احوالكم وصفاتكم التي انتم عليها وافعالكم واحوالكم التي تظهرونها وتكتمونها والله
بما تعملون من خير وشر بصير اي شهيد عليها يجازيكم على وفق اعمالكم مكاشفة يعلم ما يلج في الارض
العالم الجسماني التي هي تحت عوالم الامر من الصور النوعية لانها من صور معلقة وما يخرج منها
الارواح التي تفارقها والصور التي تزايلها عند الفناء والفساد وهي بعينها التي تنزل
من سماء عالم الغيب الى ارض الشهادة ويعرج فيها بعد الاستكمال ويطير اليها بجناح العلم والعمل
او ما ينزل من سماء الروح الكلي من العلوم الكلية والانوار العقلية الفائضة على القلب وينزل
منه الى ارض النفس جزئية وما يعرج فيها من الكليات المنتزعة من الجزئيات المحسوسة وهيئات
الاعمال الزكية والاولى الاشارة الى العلوم الموهبية التي تفيض اولا على القلب فتتصل

حكاية وشرح البيرش الدو الشا اشارة الى العلوم الكسبية التي يرتقي الى العقل بعد
ان يقع الاحساس بالجزئيات الحسية وينتزع منها الكليات لاجل اشتراكها
بينها والمباينات والاول طريق الابرار والثاني مسلك النظار وهو معكم اينما كنتم لان
موجدية اعيان الاشياء بوجوده في مظاهرها وتجليه في مراتبها والله بما تعملون بصير لكونه
مشهود الحاضر لهذا منقوشا في الالواح العالية ولكنها بحضرته لمعية الالهية ان معيته
لك الاشياء ليست كمعية جسم لجسم او جسم لعرض او عرض لعرض وبالجملة ليست تلك المعية
في الوضع ولا في الزمان والاين ولا في المحل والحال ولا في الفعل والانفعال ولا في الجزئية
لانفصال لتعاليه عن هذه الاوصاف والاشباه والامثال وليست ايضا معيته في الوجود لكونه
قبل كل موجود وقبليته قبلية ولا تنقلب المعية الى ما يقابلها معيته نحو اخر من المعية مجهول
الكنه وانما يعرف اهل الكشوف في العلم المعية بينها وشهود الحق في كيفياتها واذا ارادوا ان تفهم
على غيرهم من المستفيدين شيئا منها مثلوا لهم مثال المرآة وقالوا ان الله تعالى متجلي للاشياء كما تجلى
صورة الشخص في المرآة المتعددة المختلفة صغرا او كبرا واستقامة واعوجاجا وصفاء وكدورة
وغشاوة خلاصا وان التجلي من قبله على الدوام لجميع الاشياء لانه نور والنور من حقيقته التجلي
والظهور على المحال والمظاهر لكن عدم ظهور هذا التجلي انما الضعف فيها وصغر في مرآة
ذاتها لا تطيق احتمال النور العظيم الباهر كما لا تطيق نور الشمس ابصار الخفافيش
وعيون العميان الا ظلا ضعيفا منه وهذا مثال الاجساد والنفوس الناطقة كالجماد و
وغير الناطق من الحيوان والناقص من الانسان واما الكدورة في المرآة كالابصار الى علمها

غشاوة

غشاوة وهذا مثال النفوس العصاة مثل الذين ختم الله على قلوبهم وعلى ابصارهم غشاوة
اي على عقولهم وعلى بصائرهم التي بها يحصل معرفة الله فلكون غشاوة المعاصي والشهوات
التي بها يقع الحجاب عن شهود معرفته تعالى واما الاعوجاج والانكسار في المرآة يقع الصور فيها
على خلاف ما هو الواقع كما في الحول وغيرها من الامراض العينية التي يقع بسببها الغلط في
ما يتنور بنور الشمس من حقائق الاجسام وهذا مثال النفوس الجاحدة عن الحق المتعصبين
لمذاهب تقليدية رسخت في نفوسهم من اول الامر بحيث لا يمكن زوالها اصلا فصارت
هؤلاء وفطنتهم العوجاء صور الحقائق المستنيرة بنور الله تعالى على خلاف ما هي عليه والا
فالحق متجلي على كل شيء كقوله وهو اصدق القائلين ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال
النبي صلى الله عليه وآله انه تعالى فوق كل شيء وتحت كل شيء وقد ملأ كل شيء عظمته فلم يخل منه ارض ولا سماء
ولا بحر ولا بر ولا هواء هو الاول لم يكن قبله شيء وهو الاخر وليس بعده شيء وهو الظاهر ليس
فوقه شيء وهو الباطن ليس دونه شيء فلو دلي على الارض السفلى لدلي على الله وفي طرق
اهل البيت عليهم السلام احاديث كثيرة متقاربة المعنى في بيان هذا وكذا حديث قرب
وقد روي عن موسى على نبينا وعليه السلام اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فاني احس
حسن صوتك ولا اراك فاين انت فقال الله تعالى انا خلفك وامامك وعن يمينك
وشمالك انا جليس عبدي حين يذكرني وانا معه اذا دعاني فما عليك ايها المتوقع لمعارف
اليقينية والقلبية الا ان ترفع عن عين عقلك كدورتها بالتخلي عن الرذائل وتقوي
حدقتها بتحمل الطاعات والعبادات والقيام في الليل والاقتباس من مشكاة الفهم والتدبر في

المعارف العقلية والآيات فاذا اوضحت ذلك فيرتفع هناك الغشاوة عنها فاذا انكشف تجليه ولم تثبت
هنالك قباحة وعلمت انه غير ذات الحق بل الحق بالحق فرأيت مظاهر الالهية و
لوازم الاسماء كما قالوا الان يتنبه الاشتباه لقول المتناسب فنقول ان الصورة ليست في المرآة
ولا المعية بينها لمعية الحال للمحل ولا المتمكن للمكان ولا غيره من انحاء المعية بل
تجلت لها وظهرت فيها ولو حلت لما تصور ان تحل صورة واحدة لمرائي كثيرة مختلفة
في حالة واحدة بل كانت اذا حلت في واحدة ارتحلت عن الاخرى وههنا فانه تجلى
لجملة العارفين دفعة واحدة نعم يتجلى في بعض المرائي اصح واظهر واتم واوضح وفي بعضها
اخفى واميل الى الاعوجاج عن الاستقامة وذلك بحسب صفاء المرآة وصفائها وصحة
استقامتها وبسط وجهها وكما يتجلى حقيقة الحق لجملة العارفين من الملائكة المقربين وعباده
الصالحين كذلك يتجلى بصورة للاشياء جميعها على تفاوت درجاتهم في الضعف والقصور
ولهذا المعنى قال واحد من الحكماء المتقدمين ان المحسوسات كلها تتشبه بالحق الا انها لكثرة
قشورها وقلة نورها لا تقدر على حكاية الحق من وصفها وبالجملة لا يخلو ذرة من
ذرات الكائنات من نور الحق وتجليه وظهوره فيه لكن تحصيل هذه المعرفة والوصول
الى شاهق هذا التجلي هو الاكسير الاحمر المستفاد من بحر عميق من بحار القرآن في قوله عز وجل
له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور اي يتصرف فيهما كيف يشاء الى آخره
مشيته ثم تعلق بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتسكين الارض في وسط
الكل لقبولها الاثار النازلة عليها من السماء من الانوار والامطار التي تتولد منها المركبات

ويكون

ويتكون منها الكائنات من المواليد الثلاثة وغيرها الحاصلة من الاسباب الفعلية
والانفعالية السماوية والارضية ثم يرجع اليه الامور يوم القيمة ليجزي كل واحد على
وفق ما جمع من ملكه شيئا في البداية فهل الملك وتفرد ونسخ بالملك كما كان
قبل ان خلق الخلق ومكاشفة اعلم ان كل ما يصدر عن فاعل فهو في آخر الامر يرجع اليه كما
يتكشف لنا من تتبع الامثلة الجزئية فان من بنى بيتا ليسكن فيه فالداعي له في بنائه هو الراحة
التي يقصدها عند تمام البيت فهو مع هذا القصد فاعل الفعل الذي تحصل صورة منه
ثم بناه اليه فكل من فعل شيئا فانما يفعل لنفسه فلما افادنا النظر في خلق السموات والارض
وما فيهما اثبات فاعل لها موجد له ملكها كذلك افادنا اثبات غاية يرجع اليه الجميع
ويجب ان يكون تلك الغاية هي بعينها ما هو الفاعل لوجودها الا انا لو جعلنا الغاية
امرا معلولا لكان لوجودها غاية غيرها كما ان لها فاعلا فليتسلسل او يدور او يرجع
لا يكون ما فرضناه غاية غاية اذ الكلام في الغاية القصوى ولكان الباري محتاجا في فعله الى ما
يستولى عليه ويجبره في فعله تعالى وايضا يلزم ان يكون ناقصا في فاعليته مستكملا بغيره ما
فرض غاية والتوالي باسرها باطلة فكذا المقدم ثم انا لو وصفنا كلا من الفاعل والغاية
بالمباينة الكلية يقتضي ذلك تعدد الباري ويقتضي ايضا سلب الماهية عنهما وتحلل
وجود شيئين كل منها لا ماهية له فانه هو الاول الذي يبتدئ منه الامور والاخر الذي
يرجع اليه الامور فمنه حصل الاشياء في الابتداء واليه يساق الموجودات في الانتهاء
وهو الفاعل للوجود والغاية له في الشهود فان قلت كيف يكون ما هو العلة الفاعلية

علة غائية والفاعل قبل الشيء ليبتعث منه الشيء والغاية بعد الشيء ليستتبعها الشيء
فلنا ان العلة الغائية ان تأملت فهي في الحقيقة هي العلة الفاعلية دائما لا في نفس
المادة خاصة فان الجائع اذا اكل ليشبع فانما اكل لانه تخيل الشبع فحاول ان يستكمل
له وجود الشبع فيصير بحد التخيل وهو وجود ضعيف لما حد العين وهو وجود قوي
حصل له حيث شبعا مخيلا هو الذي يأكل ليصير شبعانا وجودا فالشبع تخيلا هو
العلة الفاعلية والشبع وجودا هو العلة الغائية فالاكل صادر من الشبع ومصدر
للشبع فالشبع هو الذي كان علة فاعلية للاكل وعلة غائية له ولكن باعتبارين
هو باعتبار الوجود العلمي فاعل وعلة غائية وباعتبار الوجود العيني غاية لكن للمتأخر
التبصير ان تفرق بين الفاعل الناقص الواقع تحت الكون وبين الفاعل التام المرتفع
عن الكون المقدس عن الاثنينية والتركيب لا في الذات ولا في الاعتبار لان فاعليته
تامة ليست له غاية زائدة على ذاته وعلمه بالاشياء كسائر صفاته عين ذاته فافاضة
الخيرات منه على الماهيات انما هي لكونه بذاته جوادا ويعلمه بوجه الخير في النظام ينشأ
منه الاشياء على احسن الانحاء وافضلها في التمام قوله عز وجل يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور اي يدخل ما نقص من كل منهما في الآخر
حسب ما دبره فيه من مصالح العباد والبلاد كما نقل عن عكرمة وابراهيم وهو عليم
بمكنونات اسرار خلقه وخفيات ضمائر عباده كما يعلم وجوه الخير في نظام العالم كيف
ولو لم يكن عليما بخفيات الاسرار لم يصدر عنه المخلوقات على افضل ترتيب واحسن

نظام فانظر ايها المتفكر في حكمة الباري وجوده انه لو لم يخلق الاجرام النيرات على الوضع
الذي يقع بها التفاوت بين الليالي والايام والتفاضل بين النور والظلام بان
يلج احدهما في الاخرى تارة وبالعكس تارة اخرى كذلك على نسق مضبوط
ونظام محكم من غير اختلال ولا قصور لما انصلح حال الخلائق في الانام على هذا الكيفية
والنظام الاتم كيف خلق الله السموات النيرات العلوية على هيئات واوضاع تنتفع
عنها الكائنات السفلية من انها لو ثبتت افرادها او لازمت دايرة واحدة
لاثرت بافراط فيما حاذتها وتفريط فيما وراء ذلك ولو لم يكن لها حركة
سريعة لفعلت ما يفعله السكون واللزوم ولو لم يكن الانوار الكوكبية ذا
حركة سريعة مشتركة واخرى بطيئة مختصة ولم يجعل دواير الحركات البطيئة و
سمو تها مائلة عن سمت الحركة السريعة لما مالت تلك الانوار الى النواحي شمالا
وجنوبا فلم ينتشر منافعها على بقاع الارض ولولا ان حركة الشمس على هذا المنوال
من تخالف سمتها لسمت الحركة السريعة لما حصلت الفصول الاربعة التي يتم
بها الكون والفساد وينصلح منها امزجة البقاع والبلاد قوله عز وجل آمنوا
بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا
لهم اجر كبير آية خاطب بها كافة ذوي العقول من الادميين دون الملائكة
لكونهم مفطورين على العلم بالله ورسوله مقدسين عن هذا اوله خبائث الحجاب
الا التزكية بالانفاق ودون ساير الحيوانات وما هو ادون منها من الجماد والنبات

لا خطاط مرتبتها عن ... هذا الخطاب ... العقلاء المكلفين آمنوا بالله اي اعتقدوا
بوجوده ... الازل وكونه اله الخلق ... بوحدانيته وتنزيهه وتمجيده ورسوله اي بكونه مرسلا
... وصدقوا ... رسوله ... الله لاتصافه بخصايص الانبياء من خوارق العادات والعلم
... وتخلصا مما يلهيكم عن معرفته ويبعدكم عن جواره مما جعلكم مستخلفين
... الله خلقه لمصالح عباده وانما خولكم اياه لتكونوا خلفاء من قبل الله
... والحوائج وخولكم الاستمتاع والانتفاع به فليست الاموال بالحقيقة الا لمن
... فتصرفا فيها بنقلها من موضع الى موضع او مضافة اليه لا لمجرد الاضافة الى الشيء
... لا انها نحو ضعيف من التعلق وانما يكون التعلق الاقوى والسلطان التام على الشيء
... ايجاده واعدامه والقادر على ما يشاء انما كان هو الله وما عداه ليس الا ... الكلمات غاية
... بها الا انه جعلهم الله برهة من الزمان بمنزلة وكلاء مستخلفين فيها وانما اوضح الله سبحانه
... المال عارية مسد صاحبها على الناس الانفاق منه كما يهون عليهم النفقة من مال غيرهم
اذا كانوا امناء فيه مأمورين به من جهة الحق انفقوا من المال الذي استخلفكم فيه بوراثتكم اياه عمن قبلكم
وفيه تنبيه على ان المال حيث انتقل وصار اليكم ممن قبلكم وسيصير منكم الى من خلفكم ينبغي ان تعتبروا
بحال من سبقكم وعدم انتفاعه به نفسه وان تنفعوا انفسكم بالانفاق منها وان تستوفوا حظوظكم
البدنية والعقلية الشهوية والدينية منها قبل ان يخرجكم الامر عليكم وينتقل المال الى غيركم مكانكم
واعلم ان هذا الحكم كما يشمل النعم الخارجية كذلك يشمل النعم الداخلية من الاعضاء والحواس والقوى
التي انعمها ايانا وخولنا الاستمتاع بها في الدنيا والانتفاع بها لاجل الآخرة بان نصرفها في عبادة

الرب ومعرفته وسيزول ويتخلف عنا عن قريب بل النعم الذاتية ... البدنية كالنعم الخارجية لانه فكوننا ماننبته
لا وراحنا خارجة عنا واشياء عادية تصرفنا الآن بعضها نحو طبيعية متصلة بالبدن حوله
له وبعضها نحو خارجة عن البدن مباينة له كالزوج وسيملك ... بعضها على ... القوى والالات
والملك ويبقى الزوج وحيدا منفردا عنها تماما للادبية اما شاكرا واما كفورا فالذين آمنوا منكم
وانفقوا لهم اجر كبير اي جزاء عظيم وثواب جسيم لا يكتنه ولا ينقص ... وانما يكون ذلك
لان كمال الانسان منوط بالعلم والعمل ليتزين ذاته العقلية بالمعارف ... وتخلص
نفسه العملية عن التعلق بالشهوات الموذية باقتنا الفضايل والاجتناب
افضل المعارف معرفة الحق الاول وصفاته وافعاله وكتبه ورسله واليوم الآخر
وافضل الاعمال المزكية هو الانفاق بالمال الذي هو الوسيلة لجميع اللذات الحيوانية و...
ويمكن ان يكون الايمان كناية عن العلوم الحقيقية والانفاق عن الزهد في الدنيا مطلقا بمعنى
تطهير القلب بجملته ... خطاب القدر ... ولعل في قوله لهم اجر كبير ايماء الى ان اجر الآخرة جزاء لا
وثمرة ضرورية مترتبة على اقتنا الملكات العلمية والعملية بحيث لا يحتاج حصوله الى جعل مستأنف
وتأثير جديد كما اشير اليه بقوله ان الدين لواقع يعني ان الجزاء لازم كما ان الآلام والعقوبات
الاخروية لوازم ضرورية لفعل المعاصي والشهوات الموجبة لرداءة الاخلاق والملكات كما يدل
عليه قوله تعالى سيجزيهم وصفهم وان جهنم لمحيطة بالكافرين قوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله
والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين آية قرأ ابو عمرو اخذ بضم الهمزة
وميثاقكم بالرفع والباقون بصيغة المعلوم ونصب ميثاقكم على المفعولية والضمير يعود الى الله تعالى وجملة لا تؤمنون

حال من بعد الفصل في ما لكم من تاوا ما تصنعون كما ادنا تقدم ووضوح البراهين على وحدانيته والحال ان الرسول
يدعوكم للايمان بقواطع الحجج والبينات ويتلو عليكم الكتاب الناطق والايات المبينات فالكلام حال
من الضمير المستتر في لا تؤمنون بالله يدعوكم اي واي عذر لكم في ترككم الاعتقاد بوحدانيته
والرسول يدعوكم الى البينة وقد اقيمت البراهين على ما تؤمرون به سمعا وعقلا اما الاول فلان
الرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم والعقل السليم عن الامراض والافات النفسانية مجبول على الاعتقاد
بصدق قوله بما اظهر الله على يديه من المعجزات التي هي خارجة عن طوق البشر واما الثاني فلنصوص البراهين
القاطعة الدالة على الايمان بالله والرسول وكون الغريزة الانسانية مركوزة فيها التصديق بحقائق
الايمان مفطورة عليها كما اشار بقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم والحاصل انه اي عذر لكم في ترك الايمان
بعدما ازيحت عنكم العلل واوضحت لكم السبل بما ركب فيكم من غرائز العقول ونصب لكم من دعوة
الرسول المؤيد بالدلائل والايات التي ينبهكم بها على الايمان بمعبودكم دون من هو مربوب مثلكم
ان كنتم مؤمنين بما يحتمكم التصديق بما يقوم البرهان الواضح على صحته وقد قام في ذلك عقلا وسمعا
وهما فطرة العقول ودعوة الرسول هذا اذا جعل خطابا للمشركين فان جعل خطابا للمؤمنين فمعناه
انه اي سبب يمنعكم عن الايمان والرسول بين اظهركم يدعوكم الى الثبات عليه وقد اخذ الله عليه
ميثاقكم ان كنتم مؤمنين موقنين بشرائط الايمان وهو كقوله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم
رسوله الاية وعلى التاويل الاول اخذ الميثاق من الله على عباده هو ميثاق الجبلة وقيل هو
ميثاق الذرية ويحتمل ان يكون معنى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين ان كنتم ممن يتشوق منه المعرفة والايمان

لا من الذين غلظت حجبتهم عن هذا وقيل فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا والذين
طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون فالبراهين والدلائل العقلية والسمعية ليست ناضرة في حق الاشقياء
الناقصين بحسب الفطرة لامتناع قبولهم للهداية لعدم استعدادهم لها او لاهل الجحود و
لزوال استعدادهم وحجبهم وطمسهم بالكلية لفساد اعتقادهم فهم اهل النار
ما شاء الله فالخطاب في هذه الاية اما لاهل الفضل والثواب سواء كانوا من المقربين والسابقين
من اصحاب اليمين على تفاوت طبقاتهم او كانوا من اهل الرحمة الباقين على سلامة نفوسهم وصفائها
المتوسلين درجات الجنة على حسب استعداداتهم من فضل ربهم لا بحسب كمالاتهم من اعمالهم او كانوا
من اهل العفو الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا سواء كان العفو عنهم لقوة اعتقادهم وعدم
رسوخ سيئاتهم او لتكفيرهم عنها وانابتهم الى الله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
ولا تخرجهم من الجحيم بعد ان زال العفو دون ما كسبوا من السيئات كالسبيكة من الذهب التي
تخرج من النار خالصة وهم اهل العدل والعقاب والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا
الاية لكن الرحمة الالهية تداركتهم وشملتهم بالاخرة ثم قال عز وجل هو الذي ينزل على عبده ايات
بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤوف رحيم الاية حث
سبحانه المكلفين على المعرفة بالله وملكوته ما ركب فيهم من فطرة العقول ووقوع اسماعهم
من دعوة الرسول اخبر بانه لزمت دعوته وقبولكم اياها لما ابدى الله من المعجزات البينة الظاهرة
على يديه او الايات القرانية خاصة ليخرجكم الله سبحانه بوسطة تلك الايات من ظلمات الكفر والجهل الى نور
الايمان والمعرفة او ليخرجكم الرسول بدعوته او ليخرجكم القران بما فيه من الحجج المنيرة والبراهين الواضحة

وان الله بكم لرؤوف رحيم حيث بعث الرسول ونصب الادلة وهذا يدل على كمال الرأفة
فالرحمة والاشعار بها اقرب الى الكلام بوجوه من التاكيد منها الجمع بين لفظين مترادفين وقيل
الرأفة على المضرور والرحمة على المحتاج قيل في هذه الاية دلالة على بطلان قول المجبرة فان غرض
انزال القران الايمان اقول تحقيق هذا المقام يحتاج الى طور اخر من اقتباس العادة
غير ما اكب عليه علماء الكلام لكن يجب على كل عاقل متفكر ان يفرق بين الغاية الاخيرة و
المتوسطة وكذا بين الغاية بمعنى الداعي وما يسمى بالضروري على الذي يلزم الفعل من غير ان يكون داعيا
عليه كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا اعلم ان الله تعالى كما انزل
على اشرف رسله محمد صلعم ايات بينات ليخرج الناس من ظلمة الغباوة والغواية الى نور الكمال
والهداية فما من عبد من عباده المهتدين الا واتيه من قبله تعالى اشارات وتنبيهات ونزل منه
على قلبه انوار مقتبسات ليخرجه بها من ظلمة الحجب الدنياوية الى نور المعارف الاخروية لكن الناس اكثرهم
غافلون عنها لاشتغالهم بما يلهيهم عن ذكر الله وينسيهم امر الاخرة فلا يبعد ان تكون هذه الاية
بيانا لاخذ الميثاق المذكور في الاية المتقدمة فان الله سبحانه خلق عباده على فطرة التجرد
والتقاعد على التوحد والتقديس عن كدورات الاثام والتهيؤ لقبول دعوة الحق
والالهام واستعدادها للترقي بوسيلة العلم والعمل الى ارفع المنازل في دار السلام ثم انا
انشاء هذه الحيوة الدنيا ورباهم واكملهم واعطاهم العقل والتميز وبعث اليهم الرسول
مؤيدا بالمعجزات فلا يزال ينزل على قلوبهم ايات بينات من انوار معرفته ويفتح عليهم ابوابا
من فنون رحمته وهدايته ليهديهم الى صراط مستقيم ويخرجهم من ظلمات الجحيم الى انوار النعيم وانما نبه

الناس فكونوا مواثيقهم الجبلية مع الحق وعهودهم الذاتية مع سكان الملكوت وسائر ما كانوا
مفطورين عليه بطهارة ذواتهم حين صباهم واستعدادهم للمعرفة واليقين
لتعلقاتهم بمشاغل الكون لضرورة حيوتهم الدنيوية وشغلهم على قلوبهم من انواع المعاصي
باطنا وظاهرا ويلهيهم عن لطائف الحق الواصلة اليهم داخلا وخارجا الخطيئات واقترافهم
السيئات المبعدة لهم عن جوار الله وقربه لان المعاصي تعمى ابصارهم وتصم اسماعهم عن ادراك انوار
الحق والهاماته فاعرضوا بها عن ذكر ربهم وسماع ايات البينات وشغلوا بما يلهيهم من الشيطان عما يلهمهم
لقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وتمام التحقيق في هذا المرام ان قلب
الانسان ذو وجهين وجه الى عالم الملكوت وهو عالم المعرفة وعالم الاخرة وعالم الالهام والوحي ووجه
الى عالم الحس وهو عالم الجهل وعالم الدنيا وعالم الوسواس ثم ان الخواطر الاتية ترد على قلبه و
على الافعال والحركات اما ان تنبعث من الجنبة العالية وتدعو الى الخير كالعبادة والمعرفة او تنبعث
من الجنبة السافلة وتدعو الى الشر كالمعصية والغفلة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين
مختلفين وهما ايضا حادثان فاحتاجا الى سببين مختلفين لان اختلاف المعاليل
الحادثة يدل على اختلاف عللها القريبة وان كان المؤثر في فيضان الوجود منهما هو الله تعالى البرئ
عن شوائب الامكان والتاثر فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى في عرف الشريعة ملكا وذلك الخاطر
الهاما وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا والخاطر وسوسة والله تعالى خالق كل شيء فخلق
الملائكة لصفة رحمته ولطفه وخلق الشياطين لصفة قهره وغضبه وكما ان الجنة اثر من اثار
رحمته ونور من انوار لطفه ورافته فكذلك النار اثر من اثار غضبه وشعلة من شعل قهره فالانسان

بتة استعمل بعبادة ربه ومعرفته خالقه انخرط في سلك رحمته ودخل في زمرة الملكوتيين
وهما اشتغل بالمعاصي والشهوات ومتابعة الهوى والشيطان استحق لمقته وغضبه وعد من جملة
الشياطين فالهامات من جانب الحق بواسطة الملك لعبادة الحق في مقابلة الوساوس من
جانب الشيطان وانما يتسلط الشيطان على قلب ابن ادم بواسطة الخذلان الحاصل له من مخالفة
الحق والعصيان والافليس له في ذاته هذا التسلط على الانسان وانما يندفع كيده عنه بواسطة التوفيق
الذي يجلبه الانسان بفعل الطاعة والعبادة فاذا زال كيده ودفع وسواسه طهر القلب واستعد لقبول
الالهامات الداعية الى الخير والنور الصادرة لدفع الظلمات والشرور فاهل الرحمة مآلهم الجنة
والنعيم واهل السخط مآلهم الى النار والجحيم فكل جنس يحن الى جنسه وكل طائر يطير الى عشه
الاصلي ومعدنه الفطري اما من جهة التوفيق والهداية او من جهة السخط والخذلان والكل بمشية الله
وتقديره فقوله سبحانه هو الذي ينزل على عبده آيات بينات يمكن ان يكون اشارة الى الواردات
التي ترد من جانب الرحمن على قلوب السالكين من عباده بواسطة ملائكة الرحمن الالهامات والمعارف
الحقة الواضحة ليبين انهما من جانب الحق وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور اشارة الى ثمرة هذه الالهامات
والانعام في حقهم وفي حق غيرهم او بها ينتقل النفوس الانسانية من القوة الهيولانية
الظلمانية الى العقل بالفعل المتنور بانوار المعرفة والايمان بالله وآياته واليوم الاخر ومن
ظلمات الصفات الشيطانية الى انوار الاخلاق الملكية او الجمع بينهما ليكون بها للعبد
الخروج من القوة الى الفعل بحسب كلتا قوتيه العلمية والعملية وكان الانسان بالتمام مع استعداد
معرفة الله وسماع آيات ملكوته والتفكر في امر الاخرة يخرج من ظلمات الجهل والنقصان الى نور المعرفة

والكمال فكذلك في ارتكاب شهوات الدنيا ومتابعة الهوى والشيطان يخرج من نور الادراك الحسية الى
ظلمات الهوى والحرمان من شهوات الدنيا الفقد الا عند الفساد والبطلان ويدل عليه قوله تعالى الله ولي الذين
امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات والله العالم
باسرار كلامه قوله عز وجل وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله
الحسنى والله بما تعملون خبير آية قرء القراء سوى ابن عامر وكلا وعد الله بالنصب على المفعولية لانه
بمنزلة زيدا وعدت خيرا وقرء ابن عامر وكل وعد الله بالرفع محتجا بان الفعل اذا تقدم عليه مفعوله
لم يقو عمله فيه قوته اذا تأخر والدليل انهم قالوا زيدا ضربت وزيد بحسب المعنى مفعول لضربت فاذا تأخر
المفعول فوقع بعد الفاعل لم يتغير اعرابه نصبا فكذلك قوله تعالى وكل وعد الله الحسنى يكون على ارادة الهاء
كما حذف من الصفات والصلات واما معناها فهذه حث منه تعالى على الانفاق لكونه من الاعمال الحسنة التي
لتحمل الشخص وتهذيبه عن رذائل الاخلاق المورطة لمحبة الامر الفاني مع مصلحة النوع اذ بالانفاق
ينتشر ما به ينتفع الناس ويصرف في وجوه المصالح كاعانة المجاهدين وغيرها المحفوظة بها الشريعة فقال
لكم الا تنفقوا اي في ان لا تنفقوا في سبيل الله اي اي شيء لكم في ترك الانفاق في طريق الحق وجهاد
مع رسوله مع كونه خيرا لنا فعالكم ولغيركم والحال ان المال في معرض الزوال والعين بعيد عن قريب
اما بهلاك احدهما او كليهما نفسا او عن الاخر ولله ميراث كل موجود في السموات والارض اذ كل
يفنى ويبقى فالله يرث كل شيء فيهما من المال وغيره فالقبيح للعاقل ان يبخل على المالكون عارية بيده
عن غيره وسينتقل اليه وهو يأمر بالانفاق الذي فيه صلاح له ولغيره فالاية من اعظم الحث والبلغ

البعث على الانفاق ثم بين سبحانه مراتب المنفقين في الفضيلة والاجر وتفاوت درجاتهم بحسب الانفاق
في سبيله فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح فتح مكة قبل عز الاسلام وكثرة اهله وقوتهم وقلة الحاجة
الى القتال ونفقة المقاتلين ومن انفق من بعد الفتح وحذف لوضوح دلالة الكلام عليه وقرينة قوله او
اعظم
اي السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين انفقوا قبل الفتح وجاهدوا في سبيل الله
درجة عنده من الذين انفقوا بعد الفتح ثم سوى بين الجميع في الوعد ومطلق الخير والمثوبة الحسنى وهي الجنة
مع التفاضل في المراتب الدرجات والله سبحانه لكونه عالما لا يخفى عليه شيء من الدقيق والجليل خبير بالعمل
من الانفاق وجهادكم بصير بموازين الاعمال والافعال ومراتب فضلها بحسب الصعوبة والمشقة ودرجات
شرفها بحسب النية والبصيرة والاخلاص وسريرة مكانه واعلم انه كما يتفاوت درجات المؤمنين بحسب اعمالهم
الدينية واعمالهم الظاهرية قبل انتشار نور الاسلام وظهور عزه وقوة اهله ودخول الناس في دين الله
افواجا وبعده كذلك يتفاوت درجات اهل الله واولياء الله معرفة بحسب سلوكهم الباطن وسفرهم الى الشهود وقربهم
ومهاجرتهم عن موطن النفس ابتغاء لوجه الله ومجاهدتهم مع اعداء الله واولياء الطاغوت تقربا الى الحق
معارفهم وعلومهم الاعتقادية قبل الكشف فانهم كانت اعتقاداتهم حقة مطابقة لنفس الامر على
موجباتها من الانفاق والزهد والجهاد في سبيل الله قبل كشف الغطاء ومعاينة الحقائق اليقينية بالمرة
الارادة والطبع فهو اعظم جلالة واجل مرتبة من الذين هجروا الدنيا وجاهدوا مع النفس والهوى
بعد ذلك اذ الانسان لو لم يكن مؤيدا من قبل الله تعالى يعتقد بمحض سماعه لما كانت حالته كذلك
ومصادمة القوى النفسانية ومجاهدة الوساوس الشيطانية قبل كشف الغطاء وفتح ممالك البدن على القوى
الامارة كما بعد ذلك اذ الزهد الحقيقي والورع عن محارم الله صعب على الانسان وقت الاحتجاب وما عنده هو

الحقائق معاينة فليس كذلك ويحتمل ان يكون على الانسان اشارة الى تفاوت درجات القوى التي للانسان وتفاضل
بعضها عن بعض بحسب الصفاء والكدورة والقرب من عالم القدس والبعد عنه فان الله تعالى لهم اصعد الانسان
خلائق مختلفة وقوى متعددة بعضها ملكية شبيهة بضرب من الملائكة وبعضها شيطانية شبيهة
بضرب من الشياطين وبعضها شهوية كالبهائم وبعضها غضبية كالسباع والجميع خلقت لتكون
مطيعة لامر الله مسخرة للقوة العاقلة وهي مكلفة بالمجاهدة مع هذه القوى الشهوية والغضبية
والوهمية الفاسقة والظالمة والكافرة ودفع معارضتها ومنازعتها مع القوة العقلية
التي هي من اولياء الله اذا كملت بالعلم والعمل وانما انبعث من جانب الله لتسخيرها وارجاعها
من متابعة الطاغوت الى متابعة الحق وعودها بالمجاهدة من عالم الغرور الى عالم النور ومن معدن
الكرب مقعد الصدق فالقوة العقلية التي ارسلت وجاءت من عالم الملكوت مبعوثة على عالم البدن
وقوته مأمورة من قبل الله تعالى بمعاداة الشيطان ومطاردة حزبه وجنوده لقوله تعالى يا ايها الناس
ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وحزبه
اه فالانسان بقوته العقلية مأمور باتخاذ الشيطان
عدوا له وبالمناقضة معها والمغالبة عليها ولا يمكن الغلبة عليها الا بتسخير القوى والاتم الواجب
المطلق الا به فهو واجب وكل واجب مأمور به ولو تبعا فالقوة العقلية مأمورة من قبل الله بتسخير
القوى البدنية وفتح هذه البلدة المحرمة التي فيها جنوده ولم يروها من الاخلاق الرذيلة والصفات
الملكية التي ابدعها سبحانه وامداده في بعض الادميين وجنود منقادة لها من عالم الجسم والبدن

وهي التي ليست مواجهة للقوة العقلية تعينا بالله ولطفها لتسلط على الجنود فتصير القوى
بجميع اوامرها وزواجرها طائعات ولسلوك سبيل الله مشتقات بعدما كانت عاتقات
وتلك الاخلاق الحسنة كقوة الزكا وسرعة النقل والجود والكرم والعزم والصبر والحلم
وغيرها مما يتفاوت ويتفاضل في الشرف بحسب انواعها المختلفة بالحقيقة وشخاصها المختلفة
بالحال بالطاعة والمتابعة لرئيسها وخليفة الله عليها في ارض البدن فلا يزال المعاداة والمقاتلة
بين جنود الملائكة وجنود الشياطين قائمة في معركة النفس الانسانية الى ان يفتح المملكة لا
لاحدهما فيستوطن فيها ويطرد الاخرى ويخرجها عن البلدة بحيث لا يكون لها الدخول فيها الا
اجتيازا واكثر النفوس مما فتح مملكتها البدنية وسخرها جنود الشياطين وملكوها فامتلأت
بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة وقليل منها مما قد استولى عليها القوة
العاقلة على القوى الشيطانية وسخرها فاسلمت واطاعت كلمة الله وامرها واجابت دعوة الحق ولبت
مع سائر القوى المسلمة المطيعة في سلك طاعة رئيسها المطلق ومخدومها بامر الحق والنفس الا
لصفائها ولطافتها صالحة بحسب اصل الفطرة لقبول اثار الملكية والشيطانية لتقلبها انشاء
وتطورها بالاطوار وتلونها بالالوان المختلفة كالاناء الزجاج اللطيف الذي يتلون
بلون ما فيه كيف ولو لم يكن لها من اللطافة وقبول الاثر ما يقبل كل صورة وينتقش كل نقش
لم يقبل اثار الملكية ولم ينتقش فيها الحقائق الالهية فهي في اول الفطرة تصلح للاثار المحضة والباطنة
صلوحا متساويا وانما يترجح احد الجانبين على الاخر باتباع الهوى والشهوات والاعراض عنهما فان اتبع

مقتضى شهوة

مقتضى شهوة وغضبه ظهر تسلط الشيطان وظلم اتباع الهوى والشهوات بالاوهام والخيالات
الفاسدة الكاذبة فصار المملكة اقطاع الشيطان وصار القلب عشه ومسكنه والهوم مرتعه ومرعاه
لما سبق ما بينهما وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه فقابل بصفوف جنود الملائكة
صفوف جنود الشيطان فتقابل الصفان وتقاتل الجندان وتدافع الحزبان فدفع كل من حزب الله
ما يقابله من حزب الشيطان فبقوة البرهان اليقيني وجود الشك الناشي عن الاوهام الكاذبة والظنون
الباطلة الداعية الى الشهوات والركون الى ادخار الدنيا والاخلاد الى ارض البدن والاقتصار
على هذه النشأة الزائلة وبقوة الصبر عارض الهوى وبقوة الخوف عن سوء العاقبة عارض الامن
من مكر الله وبقوة الرجاء عارض القنوط من رحمة الله وبالعزيمة طول الكسل وهكذا يدفع كل جند
من جنود الرحمن جندا من جنود الشيطان حتى ينفتح للقوة العاقلة اول بيت وضع للناس الذي بمكة
الصدر واول معبد ومسجد وضع للقلب الحقيقي بمكة الصدر المعنوي الذي هو مزدحم القوى ومجمعها
اليه وهذا هو المسجد الحرام دخوله على القوى المشركة الطبيعية الدهرية لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام خطابا للقوى المدركة انما المشركون من القوى الطبيعية نجس لمباشرتها الادناس البدنية والقاذورات
بالاحالة والهضم والنقل من موضع الى موضع فلا يقربوا المسجد الحرام وهو معبد القلب المتنور بنور
المعرفة والاخلاص بعد عامهم هذا اي عام الفتح وزمانه وان خفتم من منعهما عن التحول فيه
عيلة من عدم فعل الغاذية وغيرها فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء بان يحصل لكم التقوت
بالمعرفة والاستغراق في شهوده بحيث لم يبق لكم كثير حاجة الى فعل هذه القوى كما يحصل لاهل الله

ولقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر لكونهم حجبا
والتجرد شرط الايمان والمعرفة اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله
بالمعرفة والعبودية من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة اي ذكر الله واتى الزكوة
اي من الاجساد التي هي تصرفه فيزكيها بتحليلها بالرياضات والعبادات في سبيل المعرفة و
لم يخش الا الله لكونه عالما به وانما يخشى الله من عباده العلماء فعسى اولئك ان يكونوا من
المهتدين الى طريق الاخرة وعالم القدس اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اللتان
هما فعل الغاذية والنامية اذ القوى الطائفة بكعبة البيت الحرام في مسجد الصدر انما
تتقوت من فعل الغاذية وجسمية هذا المسجد انما تتعمر بفعل النامية كمن امن بالله
واليوم الاخر وهي القوى الفعلية وجاهد في سبيل الله بمعارضتها ومصادمتها للوهم
ووساوسها الشيطانية لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين امنوا
وهاجروا من موطن الجسمية الى عالم التجرد والملكوت وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
من المواد البدنية والقوى الحيوانية اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر
عظيم وكما انه يستعين المجاهدون في مجاهدة طائفة من الكفار بطائفة اخرى منهم كذلك في جهاد
النفوس يقع عسكره كما يدفع الانسان سورة الشهوة بالغضب فان الغضب يكسر الشهوة كما
الخنزير التمرد فالحكيم تارة يكسر شرة هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه ومرة يدفع ضراوة

هذا الكلب

هذا الكلب بتسليط الخنزير عليه ليجعل الكل مقهورا تحت سياسته منخرطا في سلك عباد الله
المسلمين وينظم العدالة في مملكة البدن ويجري الكل على الصراط المستقيم اذا تحققت ما ذكرنا
فنقول القوة العاقلة التي هي خليفة الله في مملكة البدن اذا غلبت بجنودها التي هي من
حزب الله كالمعرفة والتقوى والزكا والصبر وغيرها على القوة الوهمية وجنودها
وخوادمها التي هي من جنود الشيطان في اول الامر وزمان الجاهلية الاولى وصادت
مسلمة بيدها مقهورة تحتها اذا جاء نصر الله والفتح اياها ودخلت سائر القوى في دين الله
الذي هو طريق الحق والعمل بمقتضاها افواجا عند هذا الفتح المعنوي الذي هو عبادة
عن مشاهدة حقائق الاشياء كما هي فبعض هذه القوى منذ صحبت القوة العاقلة قبل
حصول الكشف والشهود كانت مطيعة لامر الله خادمة للقوة العاقلة مؤتمرة باوامرها
منتهية عن نواهيها مشفقة لمادتها البدنية ومحلها لوطوبتها الداعية الحاملة لها
في طريق التفكر في ايات الله وسبيل الملكوت والمجاهدة مع كفرة الاوهام الكاذبة
الفاسقة وبعضها كانت عاصية ابا ها بعد متمردة عن اوامرها ونواهيها فكل قوة
اسلمت واطاعت امر الله وانفقت في طريق المعرفة ما يحملها من المواد الجسمية و
جاهدت في سبيل الله بمعارضة مع الكفرة والظلمة لتنفسه تقربا الى الله
هي قبل الولادة المعنوية والولاية الحقيقية فهي اعظم اجرا واجل رتبة من سائر القوى
واقربها الى افق المجردات النورية وكل من هذه الجنود والقوى لها استحقاق الحسنى

من عند الله والمثوبة اذا اسلمت وصارت مسخرة للقوة العاقلة بانتها في طاعتها ايمانها
ومتابعتها اياها في السلوك اليه تعالى واستنادتها الى المعرفة واهتدائها بهداها فان
تلك هذه القوى جسمانية قائمة بهذه المادة العنصرية فهي داثرة هالكة غير باقية
بعد خراب البدن فانى يكون لها العقوبة والسعادة تلك هذه القوى البدنية الادراكية
الداثرة ادراكية كانت كالحواس او تحريكية كالشهوة والغضب كلها ظلال واثار للقوى
والمشاعر التي هي في ذات القوة العاقلة فان لها في ذاتها بصرا وسمعا وذوقا وشما
ولمسا من دون حاجة الى البدن وكذا لها في ذاتها عضبة وضرا وقبضا وبسطا
يدا معنوية وجارحة روحانية وهذه بمنزلة المعلولات والاثار لتلك وكان
الحواس البدنية كلها ترجع الى حاسة واحدة هي حقيقة النظرية التي بها تشاهد المعقولات
وتتصرف فيها وتحضرها عند العقل بقدرتها التي لها في ذاتها من دون البدن الا ترى ان
الانسان في حالة النوم التي هي شبيهة بحالة الموت في تعطل الحواس البدنية يبصر ويسمع
ويذوق ويلمس ويتحرك مع ان حواسه الظاهرة وكثيرا من قويها العملية معطلة
عن الادراكات والافاعيل فللنفس الانسانية قوى وخوادم في ذاتها وجنود معنوية
والات روحانية باقية معها في النشاة الاخروية وكان لها في الدنيا صور واشكال
وهيئات يناسبها فكذلك يحشر يوم القيمة ويظهر بصور وهيئات مناسبة لصفاتها واعمالها
حين تشهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون

المثوبة

قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم قرئ فيضعفه
وقرئ منصوبين على جواب الاستفهام وبالرفع عطفا على يقرض او على الخبرية اي فهو يضاعفه
فقد شبه تعالى الانفاق في سبيله بالقرض الحسن فاطلق هذا اللفظ مجازا لعلاقة المشابهة
من اعطاء شيء واخذ شيء لغرض الاحسان مضاعفة له اي يعطيه الله اجره على انفاقه
مضاعفا باضعاف من رحمته وجوده وله اجر كريم في نفسه وقد ضم اليه الاضعاف ثم كان
القرض الحسن عند اهل الله والعرفاء ان ينفق الانسان في طريق معرفة الله وسبيل الحكمة
والتفكر في ايات جبروته ومرادة الدماغية وارعاء القوى النفسانية وقواه الطبيعية التي هي عرف
نقود هذه البلاد واجناسها ليعوض عنها ويحصل في قلبه نفائس الثمار المعنوية وشرائف
نقود المعارف الالهية التي بها يصير الانسان من اكابر الاخرة واغنيائها فانيا على الاشياء
والاقران من تعب الحيرة والحرمان وفاقة الجهل والنقصان فانهم حيث هيأ اسباب المعرفة متخلصا
والعبادة للناس سيما ذوي البصائر والاكياس فكانما اراد منهم هذا القرض الحسن ووعد
اياهم بتضعيف اجرهم واخبر ان هذا الاجر كريم في نفسه لان المعارف الربانية جليلة عظيمة
لان شرف العلم وكرامته بنسبة شرف المعلوم وكرامته وليس في الوجود ما هو اكرم من ذات
المعبود وصفاته واسمائه وافعاله فالسعي في طريق وصوله والانفاق في ابتغاء رحمته يكون
شريفا كريما ايضا لان وسيلة الشيء مناسب له قوله عز وجل يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشريكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك

هو الفوز العظيم الظرف متعلق بقوله وله اجر كريم او منصوب بتقدير اذكر تعظيما لذلك
اليوم فعلى الاول معناه يصل هذا الاجر الكريم اليهم يوم القيمة وهو يوم يسعى للمؤمنين نورهم
بين ايديهم وبايمانهم الى الجنة فان الجنة الطريق الى الجنة المقربين انما يكون على الوجه الاول
لانها عقلية واقعة في سلسلة الاسباب المؤدية الى وجود الانسان يسلكها العالم الرباني
مرتقيا اليها بانوار المعارف العقلية والى جنة السعداء على الوجه الثاني لانها جسمانية واقعة
في السلسلة العرضية المعلولية فيتوجه اليها اهل النسك والصلاح واصحاب اليمين منعطفا
اليها بنور العبادة وقوة الاعمال الحسنة ولهذا المعنى قيل اليمين طريق الجنة وقد صرح
بعض اهل الكشف والعرفان بان البرزخ الذي يكون الارواح فيها بعد المعاد قبل النشأة
العنصرية هو غير البرزخ الذي بين الارواح المجردة والاجسام لان تنزلات الوجود ومعارجه
دورية لكنهما يشتركان في كونهما عالما نورانيا وموطنا ملكوتيا فالسعداء منكم تؤتون صحائف
اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم وقوله
بشريكم بمنزلة الحال اي يسعى نورهم حين يقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم بشريكم اليوم
وهذه الملائكة المبشرين بالجنات مختلفة الدرجات في القرب اليه تعالى حسب تفاوت منازل
اهل الجنان في التقدس والخلوص مع اتفاقها في اصول الحقائق وصورها الحسنات فالجميع
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم اي الخلاص عن كل مرهوب
والظفر بكل محبوب فان كل واحد من اهل الجنات له ما يشتهيه ويصل اليه همته الا ان الهمم

متفاوتة بحسب تفاوت الاحوال قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا النور يكون على الصراط
وقيل في عرصة القيمة ولا نور هنالك الا نور الايمان والطاعة وكل يعطى نورا على قدر عمله
كما ستعرف هذا النور المشار اليه في هذه الاية هو نور المعرفة واليقين فان النفس الانسانية
من عالم النور والمعرفة لكنها بسبب التعلق بعالم الاجسام الكثيفة صارت ظلمانية محجوبة
عن الادراكات فاذا ارتاضت في ايامها بالرياضات الدينية والاعمال الشرعية من الافكار والاذكار
والعبادات خرجت من مرتبة القوة الهيولانية الى مرتبة الفعلية حصل لها العقل المستفاد
وهو نور يستضيء ويضيء في المعاد فصار نورا على نور وهذا النور الحادث مما يقذف في قلب
المؤمن من عالم الملكوت بسبب اكتساب العقليات واليقينيات الصرفة عند تصوره الخير الحقيقي
او بسبب اكتساب العمليات الاعتقادات المحمودة والظنون الحسنة عند تصوره الخير الشخصي
فالاول نور عقلي يختص بالمقربين يسعى بين ايديهم ويصعدهم الى جوار الله وجنات المعارف العقلية
التي قيل في وصفها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والنور الاخر يختص
بغيرهم من السعداء يسعى بايمانهم ويذهب بهم الى الجنات جسمانية منورة غاية ما يتصورونها
لهم وفي حقهم من الصفاء والنورية والضياء واشراق نور كل احد بقدر قوة معرفته وايمانه ولهذا
وقع في الاخبار ان انوار الاخيار والابرار مختلفة في الاضاءة والانارة قال قتادة
ان المؤمن يضيء له نوره كما بين عدن الى صنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء
له نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من نوره مثل
الجبل وادناهم نورا نوره على قدر ابهامه قدميه فيضيء مرة ويطفأ اخرى فاذا اضاء قدمه قدمه مشى واذا طفا

قم ولما كان الحركة والادراك متلازمين لعوالمهم كل نفس معها سائق وشهيد فالاول اشارة الى
قوة التحريك والثاني اشارة الى قوة الادراك ثم لكل ادراك وحركة بنا سبته فمرورهم على الصراط
على قدر نور ايمانهم ومن كان نوره كالشمس كان مروره كطرف العين ومن كان نوره
دون ذلك كان مروره على قدره فمنهم من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض الكواكب
ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نورا على ابهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق
اخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص وبهذا يقاس تفاوت الناس في المعارف
ولذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من ايمان ونصف مثقال
وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان بحسب قوة اليقين وشرفه
وسرعة التفطن والتحدس بجانبه وسرائره وان هذه المقادير من الايمان لا يمنع دخول النار
وقال بعض العلماء في مفهوم هذا الخبر ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر
باخراجه اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وقوله تعالى وانتم
الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيل للمؤمن العارف على المسلم وهو المقلد مع سلامة قلبه عن
النفاق واما قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد ههنا
بالذين امنوا الذين صدقوا تقليدا من غير علم برهاني او كشفي وميزهم عن الذين اوتوا العلم
ويدل ذلك على ان اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن
عباس قوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المؤمنين بسبعمائة درجة بين
كل درجتين ما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وآله اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي

الالباب

لذوي الالباب وقال فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي كتاب الكافي عن ابي عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة
البدر فهذه الشواهد تشهد بتفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم في الاشراق
والكدورة وملخص القول ان اكتساب العلوم الحقة وفعل الحسنات في الدنيا ينتج تقرر الاخلاق
والملكات ورسوخ المعارف والاعتقادات والمعرفة اذا اشتدت صارت مشاهدة
عند رفع الحجب بالمرة فمشاهدة كل احد بقدر معرفته وهو المراد بالنور لان المعارف اليقينية الذاتية
البرهانية تورث المشاهدات والمكاشفات العقلية في جنة الكاملين في العلم والمعارف القلبية الخيالية
تورث المشاهدات الحسية في جنة اصحاب اليمين والصور الحسانات التي فيها انما هي بمنزلة مثالات
وعلامات لما في تلك الجنات العالية لان العوالم متطابقة والنشآت متوافقة مع تفاضلها في الشرف
والرتبة لقوله تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا قوله عز وجل يوم يقول المنافقون والمنافقات
للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور
له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم
انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ
منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي موليكم وبئس المصير قرأ حمزة انظرونا
بقطع الهمزة وفتحها وكسر الظاء من النظرة وهي الامهال اطلق على الابطاء والتبطي
في المشي الى ان يلحق المتأخر بالمتقدم وقرأ الباقون انظرونا بهمزة الوصل المضمومة اي
انتظرونا لانهم كالبروق الخاطفة مسرعين بهم على ركاب تزف وهؤلاء مشاة حفاة

بطيئة السير او انظروا الينا لنستقبلكم بوجوهكم فنستضيء بكم لان النور قدامهم
فيحصل الاقتباس من نورهم عند المواجهة وقرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب لا تؤخذ
منكم بالتاء لتانيث الفاعل وقرأ الباقون بالياء للفصل الواقع بين الفعل والفاعل
ولان التانيث غير حقيقي وقرئ الغرور بضم الغين مصدرا والاغترار بتقدير المضاف اي
غركم بالله الاغترار اي سلامة حالكم مع اغتراركم وقال الزجاج الغرور كل ما غرك من
متاع الدنيا وقوله يقول بدل من يوم ترى يعني في ذلك اليوم يقول اهل النفاق الذين امنوا
ظاهرا وباطنا انظرونا او انتظرونا نستضيء بنوركم ونبصر الطريق فنتخلص من هذه
الظلمات لان المنافقين اذا خرجوا من قبورهم اختلطوا فيمشون في نورهم فيسرع
المؤمنون بقوة ايمانهم فيتباعد المنافقون عنهم بالتخلف فينقطع اثر نورهم عنهم قيل
ارجعوا وراءكم القائل المؤمنون او الملائكة الهادين ارجعوا الى الموقف خلفكم فالتمسوا
هنالك النور حيث اعطيناه فمن ثم يقتبس ويحمل فيرجعون فلا يجدون نورا الظلمة انهم
اخذوا النور من موضع هناك ولا يعلمون ان هذا النور مكتسب في الدنيا بتحصيل سببه
وهو الايمان بل هذا النور هو نفس الايمان والمعرفة مظهر اشراقه عند القيمة وقيل ارجعوا
توبيخ في صورة الامر لا استعمال له هذا الرجوع والتناسخ او امر بمعنى تنحوا عنا خائبين
فالتمسوا نورا اخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وهو اقناط وتخييب لهم لانهم
يعلمون ان لا نور وراءهم ويحتمل ان يكون للمنافقين مرتبة ضعيفة من النور غير
كافية للمشي الى الجنة وهم يدعون الزيادة فوقع المنع لهم من المؤمنين الا ليس لكم

الا ما كسبتم

الا ما اكتسبتم من خلفكم اي الدنيا فارجعوا من هذا الاطلاع الى ما وراءكم فالتمسوا
نورا من عملكم واكتفوا بضرورة فيكون امرا تحقيقيا فضرب بينهم اي بين الفريقين بسور
والباء زائدة اي حجاب حائل بين شق الجنة وشق النار وقيل هو حائط بين الجنة
والنار وقيل هو الاعراف له باب اي لذلك السور باب وقيل اي طريق لاهل الجنة
يدخلون منه اليها باطنه السور او الباب الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره الذي يلي اهل
النار من قبله اي من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار ينادونهم اي
ينادون المنافقون المؤمنين الم نكن معكم في الدنيا في المنازل والمساجد نصلي كما تصلون
ونصوم كما تصومون بناء على انهم وافقوا المؤمنين في الاعمال الظاهرة من الصلوة والصيام
ونحو ذلك قالوا بلى كنتم معنا في ظاهر الاعمال دون بواطن النيات والمعارف ولكنكم فتنتم
انفسكم اي فتنتموها بالنفاق واهلكتموها اثمتم وقيل وتربصتم اي انتظرتم بالمؤمنين
الدوائر او بالنبي صلى الله عليه وآله كما قالوا نتربص به ريب المنون وقيل واصمتم الاقبال
بالايمان بالله ورسوله على الاخلاص وقيل اخرتم التوبة وارتبتم اي شككتم في حقيقة
الاسلام او في البعث وغرتكم الاماني الكاذبة والآمال الطويلة حتى جاء امر الله وهو
الموت وما بعده وغركم بالله الغرور اي الشيطان بان الله لا يعذبكم لانه غفور كريم ولم يفهموا
ان منشأ العذاب خبث جوهرهم وقبح سريرتهم او الاغترار والطمع في الثواب الاخروية
من غير سبق عمل كما حكى الله عن بعضهم ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها
منقلبا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية اي ما تفتدى به ولا من المعلنين بالكفر

اي محنتموها

اي هي اولى بكم كالنار قول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها
وامامها او هي ناصركم اي لا ناصر لكم سواها والمراد نفي الناصر على القطع ومن هذا
القبيل قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقول العلماء الحق تعالى موجود لذاته بذاته
اي لا لغيره ولا بغيره والذي عبره وقيل تتولكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار
مكاشفة اعلم ان الدنيا والاخرة وحركاتهما متنوعة على الحسنات والسيئات فان
مبادي احوال الاخرة احوال الدنيا لان الدنيا عبارة عن حالتك قبل الموت والاخرة
عبارة عن حالك بعد الموت وقرب ذلك الى الفهم ان منامك واخرتك صفاتك وحالك
تسمى الداني منها دنيا والمتأخر آخرة وهما من جنس المضايف يعرف مفهوم كل منها
مع الاخر والانتقال من الاولى الى الاخرى كالانتقال من المحسوس الى المعلوم ولهذا
المعنى قيل من فقد حسا فقد فقد علما فالاخرة نشاءة علمية وكان في هذا العالم
المعلوم غائب والمحسوس حاضر في يوم الاخرة على عكس فلذلك تنجلي الغائب ويختفي الحاضر
لانها يوم تبلى السرائر ونحن الآن نتكلم في هذه النشاءة الدنيا الحسية من النشاءة
الاخرى العلمية ولا يتصور شرح النشاءة العلمية لمن هو في عالم المحسوس من حيث هو
في عالم المحسوس الا بمثال فان من تفطن بالعقليات فهو انما يعقلها من حيث كونه
في عالم المعقول كما قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون
وهذا لان هذا العالم نوم بالاضافة الى ذلك العالم كما قال عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
وما سيكون في اليقظة لا يبين في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير وكذا ما سيكون

في يقظة

في يقظة الاخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال على طرز ما يثبت في علم التعبير فلن
التعبير من اوله الى آخره امثلة فيعرفك ممارسة ذلك العلم طريق ضرب الامثال ولهذا ليس الانبياء
عليهم الصلوة والسلام ان يكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على
قدر عقولهم لانهم في النوم والنائم لا يكشف له شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان
ان المثل صادق وانما يعني بالمثل اداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه وجده صادقا وان
نظر الى صورته وجده كاذبا فاذا تقرر هذا فنقول هذه الآية مثال يوضح به سوء عاقبة
حال الاشقياء من اهل النفاق وخاتمة مآل المغرورين من جهال المتشبهين
باصحاب الكمال فانهم لاشتغالهم بظواهر الاعمال الحسنة الممدوحة عند الجمهور كدراسة
العلوم وفعل الطاعات ظنوا انفسهم علماء اخيارا وهم مع ذلك من جملة الاشرار
وهم عند انفسهم من المقربين وفي نفس الامر من الفجار المنافقين والله يشهد انهم
لكاذبون وذلك لانهم لم يراقبوا قلوبهم ولم يهذبوا اعمالهم من الاغراض الدنياوية والشهوات النفسية
فاذا انكشف الغطاء وارتفع الاشتباه والمغالطة ظهر ان قلوبهم من انوار المعرفة خالية
وايديهم من آثار الهداية صفر وهم في ظلمة الجهل والاغترار مغرقون وفي مضايق عالم الجهل
محبوسون لا ينكشف لهم من طريق الحق موضع قدم لفقدانهم نور البصيرة اصلا ولا في باطنهم قوة
السلوك اليه اساسا وذلك لعدم قصدهم وتوجههم شطر الحق خالصا اما الادراك فلم يتلقوا
الا اعتقادات موروثة تعصبية مبنية على اغراض نفسانية ترسخت في قلوبهم وصارت

سامير مؤكدة لان طباعهم كانت النفس البهيمة مبادي النشو انعقد بها وقد اخذوها من معلميهم
بحسن الظن في اول التعاليم فصارت حجابا لهم عن ادراك الحقائق الحقة فوقعوا في ظلمة
شديدة لا اوحش منها واما العمل فانه فرع للعلم فحيث لم يكن المعبود في المقصود معبودا
حقا لم يكن العبادة له عبادة للحق فلم ينتج ذهابا اليه وقربا انا فنقول لقوله سبحانه
انظرونا نقتبس من نوركم مثال الحال بعض المتشبهين من اهل الظاهر حيث اشتبه
قليلا في آخر عمره عند خمود حرارة الشهوات والاغراض الدنياوية وانطفاء انوار الحواس
وفتور القوى على فقدان نور المعرفة وبرد اليقين في قلبه ومع ذلك مغرور من جهة
انه يظن انه بادر في اشتغاله الى التعلم وطلب استفاضة انوار المعارف من حاملها من
المعلمين على الحقيقة بصيرة في اعلم ومعرفة ودين وعقل فيتوجه نحو المؤمنين حقيقة والعلماء
حقا فيخاطبهم ويامرهم بالتوجه اليه والالتفات نحوه قائلا انظرونا نقتبس من نوركم
ظنا منه ان ذلك منة عليهم لانه من جملة المعتبرين عند نفسه وعند بعض الحمقى الجاهلين
فالعلماء حقا لحسن ارشادهم وغاية شفقتهم على الناقصين يهدونهم طريق السلوك
الى الحق ويرشدونهم الى كيفية استفاضة المعارف بان لكل مسألة من المسائل
الالهية والاسرار الناموسية مبادي ومقدمات لا يمكن التفطن الى تلك المسألة
الا بعد التفطن بها سواء كان بحدس وحركة سريعة كما هو طريقة الانبياء و
الاولياء وذوي الابصار او بفكر وحركة بطيئة كما هو طريقة العلماء والنظار

واولي الاعتبار

واولي الاعتبار وقبل الخوض في العقليات وتحصيلها يجب الاشتغال بعلم اللغة
والنحو والصرف وعلم الاخلاق وعلم الحلال والحرام ومن لم يحصل شيئا منها على وجهه
مع نية صادقة واخلاص في العمل لا يمكنه الدخول في نشر الاسرار وعلم الانوار لقوله تعالى
فأتوا البيوت من ابوابها فهو قوله سبحانه قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا اشارة الى هذا
الحال ومن هذا القبيل ما حكاه الله تعالى من حال الجاهلين المغرورين من اصحاب النار
وامتناع استفاضتهم المعارف من المعلمين والرؤساء الذين هم من اصحاب الجنة بقوله
سبحانه ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم
الله اي من ماء المعارف الالهية التي بها تكون الحيوة الاخروية العقلية او شيء من سائر
العلوم العقلية التي رزقها الله للعلماء مزيد الكمالهم وحالهم قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم
هذا وما كانوا باياتنا يجحدون انتهى ومثال هذه الحكاية ان رجلا [illegible]
كان بليدا في اصل الفطرة فاشتغل في ايام عمره بشيء من العلوم التي لا يسمن ولا يغني ثم
تصدى للامور الدنياوية كالقضاء وتولية الاوقاف وغيرها من الاعمال التي يتقلدها المتشبهون
باهل العلم في اكثر الزمان من غير استيهال وهذا الشيخ الجاهل البليد لم يتعلم ابتداء من المقدمات
شيئا يعول عليه في اكتساب العلوم اليقينية ولم يمارس المقاصد الالهية اصلا فيقول العالم
ربما اذا راضت نفسه بفنون من العلوم العقلية وغيرها افاض على قلبي من دقائق علوم
الالهية فيقول انه محرم على الجاهلين معناه ان الاستعداد لقبوله انما يكتسب بذلك
اصلا وممارسة طويلة بعد تعلم ما يتوقف عليه من العلوم الادبية وغيرها مع خلوص نيات

ونزهة عن الفحشاء والمنكر والبغي من الاغراض الشهوية والغضبية والشيطانية فاذا اطلق الا بعداد
وفاتت المناسبة الاصلية فاستحالت الاستفاضة وحرمت كما تستحيل افاضة العلوم
العلوم العقلية على اجسام البهائم والسباع التي لا شغل لها سوى طاعة الشهوة والغضب التي
امرها نفوسها لان الناطقة التي خدمت قوة الشهوية منزلتها منزلة ابدان البهائم المطيعة
لنفوسها بل انزل منها رتبة كما بينا في تفسير قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا
واما قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية فهو مثال الصورة الشريعة الحقة التي ظاهرها حصن
يحرس الناس عن المفاسد والاعمال القبيحة والعقائد الباطلة وعن تطرق اغوال المضلين
والشياطين من اهل البدع والمذاهب الجاهلية وباطنها اسرار حقة وانوار محضة
بها يتصل العبد الى رحمة الله ورضوانه فالشريعة سوط الله بها يسوق عباده الى رضوانه
فمن نظر الى صورة السوط الذي لاجل تاديب المستقدين لم يره الا عذابا اليما ومن نظر الى
الغرض المكنون في باطنه يعلم انه محض الشفقة كذا من غير نظر بظواهر الشريعة من غير [illegible] سرها
وبواطنها لم يرض بها الا تعب الجوارح ورياضة الجسد الموجب لظلمة الاعضاء لا لاستبصار الفكر
لزيادة النور في قلوب العقلاء فيشتغل على حملها والعمل بها لعدم اطلاعه على المقصود
منها اولا ترى الى الصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فانها قرة عيونهم كما قال
رسول الله صلعم قرة عيني في الصلوة [illegible]
[illegible] واما قوله تعالى الم نكن معكم حكاية لحال المنافقين المعترفين باعمالهم
التي توافق اعمال المستبصرين في الصورة الا انها كانت مشحونة بانواع الاغراض
الشيطانية والشرك الخفي من طلب الجاه والمنزلة عند الناس والتفوق على اهل

بسبب

بسبب التقرب الى الظلمة والامراء وتعجبهم من تخلفهم عن مراتب الرجال وسلوكهم طريق
الضلال مع توافقهم مع هؤلاء في الافعال والاعمال وقوله تعالى قالوا بلى ولكنكم فتنتم
انفسكم الى اخر الاية كشف فضائحهم وافتضاح احوالهم وهتك استارهم لان الاخرة
يوم السرائر يوم تبلى السرائر اي جعلتم انفسكم بسبب مباشرة تلك الاعمال ممتحنة بفنون
الاعراض الدنيوية والمحن الشديدة حالا او مالا كل ذلك لطلب اللذات الوهمية والاكل على الدين
واحتيال التبسط في البلاد والشهرة عند العباد وتربصتم الفساد والهلاك ولو
ضميرا لمن خالفكم ولم يصدقكم في ارائكم الباطلة ولم يمكنكم في طلب الترفع وان كانوا
على الحق واضمرتم النفاق والعناد لاهل الحكمة والمعرفة وهم المؤمنون حقا وشككتم في
دينكم منذ كنتم لتصادم الشكوك وتعارض الادلة التي لا يخلص منه الا الحاذقون
وهم على خطر عظيم وخوف ووجل شديد وغرتكم الامال التي منشاها ظواهر الاعمال
وغركم بالله الغرور الشيطان وشركه وحبائله فخدعكم وغروركم اكثرها بغير التسبب
الى العلوم الدينية من غير تهذيب الباطن عصمنا الله واخواننا الصالحين حيث كانوا
وعلى ما ذكر يكون شديد المناسبة اليه قوله عز وجل الم يان للذين امنوا ان تخشع
قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال
عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اه قرا نافع وما نزل بخفة الزاي
والباقون بالتشديد فعلى الاول يكون المرفوع ضميرا عائدا الى الموصول وعلى الثاني هو عائد
الى الله تعالى والعائد الى الموصول ضمير منصوب محذوف من الصلة وقرا رويس

على ان اشد الاشرار عذابا في النار هم العلماء السوء الذين ظواهرهم ظواهر الاخيار
وبواطنهم بواطن الكفار قال النبي صلعم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم
لم ينفعه الله بعلمه والسر في ذلك انهم يريدون ان يتوسلوا باشرف الاشياء وهو العلم
بالله واحكامه الى اخس الاشياء وهو الجاه والمنزلة في الدنيا والتفاخر بما فيها والركون
الى زخارفها والاخلاد الى الارض فهذه امور وهمية باطلة كما قال الله تعالى وما هذه الحيوة
الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وقال انما الحيوة الدنيا
لهو ولعب وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار
نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد الاية مثل الله تعالى
الدنيا وشهواتها في كثير من ايات القران بامور وهمية باطلة يغتر بها نفوس الجهال
والناقصين كما في قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى
اذا جاءه لم يجده شيئا فويل لمن يعد نفسه من العلماء وهو في الحقيقة من الحمقى
الجاهلين المغترين بلامع السراب الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم
الحيوة الدنيا وويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ومثل الله تعالى في القران [illegible]
وكان عالما فاجرا اخلد الى الشهوات بالكلب حيث قال سبحانه واتل عليهم نبا الذي
اتيناه اياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب في الاخلاد الى الشهوات سواء
اوتي الحكمة او لم يؤت فهو مصر فيها مخلد اليها كمثل وقيل مثل علماء السوء
مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور قبور الكفرة الظلمة

ظاهرها

ظاهرها عامرة وباطنها اللعنة والعذاب [illegible]
[illegible] عز وجل وقد قيل اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا
وخستها وكدورتها وزوالها وانصرامها وعظم امر الاخرة ودوامها وصفاء نعيمها
وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادان وانهما متفاسدان مهما صلحت احديهما فسدت
الاخرى وانهما كالضرتين مهما ارضيت احديهما اسخطت الاخرى فان من لم يعلم
حقارة الدنيا وكدورتها وانصرام ما يصفو منها بحسب الوهم فهو فاسد العقل فكيف
يعد من لا عقل له من العلماء ومن لا يعلم عظم امر الاخرة ودوامها فهو كافر مسلوب
الايمان فكيف يكون من لا ايمان له من العلماء ومن لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة
وان الجمع بينهما مستحيل فهو جاهل بشريعة الانبياء كلهم صلوات الله عليهم اجمعين
بل كافر بالقران من اوله الى اخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا
كله ثم يؤثر الدنيا على الاخرة فهو اسير شيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته
فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته في الخسة فهذا هو دليل واضح
على ان من اثر الدنيا على الاخرة فهو جاهل مغرور قد ذكر في جهل الجهال
وفتنة الدجال وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا تطفئن نور
علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم وقال
عيسى على نبينا وعليه السلم كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى اخرته وهو
مقبل الى دنياه وقال صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون

ولا يكونوا بالتاء على الالتفات او على النهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب والباعث
بالياء عطفا على تخشع الم يان من انى الامر يانى اذا جاء اناه اى وقته والخشوع
لين القلب والانقياد للحق ومثله الخضوع والقسوة غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق
والحق ما دعا اليه العقل السليم من الامراض النفسانية وهو الذي من عمل به نجى ومن عمل
بخلافه هلك وهذه الاية قيل انما نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وقيل انها
نزلت في المؤمنين قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية
الا اربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا وعن ابن عباس ان الله استبطأ
قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلث عشرة من نزول القرآن بهذه الاية وعن الحسن
اما والله لقد استبطاهم وهم يقرءون من القرآن اقل مما تقرءون فانظروا
في طول ما قراتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وقيل كانت الصحابة بمكة مجدبين فلما
هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه وينبغي للمؤمن
يزداد يقينا واخلاصا في طول صحبة الكتاب والمعنى اما حان للمؤمنين اى المتسمين
بالايمان ان تخشع قلوبهم وترق لذكر الله ما يذكرهم الله وصفاته وافعاله و
كيفية كونه مبدءا للعباد ومعادا لهم يوم المعاد وما نزل من الحق من الايات والنذر
القرآنية والمراد من الخشوع لها خشية القلوب عن ذكر الله وتقوى بما فيه
عند تلاوة اياته كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا ومن شدته فالمراد ما نزل الله من العارف بحقه ولا يكونوا كاهل الكتاب

الذين

بيا جلوا

الذين كانوا في العهد الاول فطال عليهم الامد اى الزمان بينهم وبين انبيائهم او الامد الاجل اى ايامهم
بالعقوبة او مجيء القيمة وقرئ امدّ اى الوقت الاطول فاغتروا ابدا لذلك فقست قلوبهم
اى غلظت وجافت وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم متمردون على المعاصي دون
بها فكانوا بحيث لا ينفعهم نصح الانبياء عليهم السلام ولا ينجع لهم وعظ الواعظين ومن لا ينفعه
في الدنيا نصح الناصحين لا ينفعهم في الاخرة شفاعة الشافعين فلا تكونوا امثالهم فيحل بكم
فيكم مثل ما حل فيهم مكافأة ينبغي ان يكون هذا الخطاب متوجها الى جماعة مخصوصين من اهل الايمان
ومعالم الدين لم يوجد فيهم خشوع فحثوا على الرقة كما يدل عليه قوله الم يان اى اما حان وقت
الخشوع منهم فكيف فعله في الاية تنبيه عظيم وارشاد بليغ على قبح سيرة اولئك المحصين
وفساد بواطنهم وقساوة قلوبهم حيث نهوا عن مماثلة اليهود والنصارى التي كانت غلاظ
الناس قلبا واسوءهم ضميرا وظلمهم بالخيانة فقسوة القلب بعلات ونحو او ذلك لما نقل ان
بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا
لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلب عليهم الجفاء والقسوة فاختلفوا واحدثوا
ما احدثوا من التحريف وغيره والكثير من وردت التشديدات العظيمة في حقهم في القرآن
والحديث هم العلماء السوء الذين قصدهم من الاطلاع على معالم الدين وتعلم مناهج الشرع
المبين التمتع بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند ذويها وبنيها فدلت الاخبار
والاثار من المصطفين الاخيار وشهدت بصائر اصحاب الاستبصار وانوار ضمائر ارباب
الافكار ان الاستجلاب للمتفكرين في مراتب الصنع والايجاد الفائضة عن الله القهار

بامته من الفاجر العالم بالسنة وروى عن رسول الله صلعم انه قال اوحى الله الى بعض الانبياء
قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة
ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب والسنتهم احلى من العسل
وقلوبهم امر من الصبر اياى يخادعون وبى يستهزئون لاتيحن لهم فتنة تذر الحكيم
حيرانا واليه اشار قوله تعالى يخادعون الله ورسوله وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون
فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وقوله تعالى الله يستهزئ
بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين ومن طريق اهل البيت عليهم السلم احاديث كثيرة فى ذم
علماء الدنيا المعرضين عن الاخرة منها ما رواه الشيخ الجليل محمد بن يعقوب الكليني ره
فى كتاب الكافى عن سليم بن قيس قال سمعت امير المؤمنين عليه السلم يقول قال رسول الله
منهومان لا يشبعان طالب الدنيا وطالب العلم فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله
له سلم ومن تناولها من غير حلها هلك الا ان يتوب او يراجع ومن اخذ العلم
من اهله وعمل بعلمه نجى ومن اراد به الدنيا فهى حظه وعن ابى عبد الله عم من
اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له فى الاخرة نصيب وعنه عليه السلم قال اذا
رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب لشيء يحوط ما احب
وقال عم اوحى الله الى داود عم لا تجعل بينى وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك
عن طريق محبتى فان اولئك قطاع طريق عبادى المريدين ان ادنى ما انا صانع بهم

العلماء

ان انزع حلاوة مناجاتى من قلوبهم وعن ابى جعفر عم قال من طلب العلم ليباهى به العلماء
ويمارى به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوء مقعده من النار ان الرياسة
لا تصلح الا لاهلها وعن على بن ابراهيم رفعه الى ابى عبد الله عم قال طلبة العلم ثلثة
فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة
والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء موذ ممار متعرض
للمقال فى اندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من
الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة
والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من
دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من اثار
العلماء اثره وصاحب الفقه والعقل ذو كابة وحزن وسهر قد تحنك
فى برنسه وقام الليل فى حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا
مقبلا على شانه عارفا باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه فشد الله
من هذا اركانه واعطاه يوم القيمة امانه وعن الحسين بن الصيقل قال
قال سمعت ابا عبد الله عم يقول لا يقبل الله عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل فمن
عرف دلته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان الايمان بعضه من بعض
وعن امير المؤمنين عم يحدث عن النبى صلعم انه قال فى كلام له العلماء رجلان
عالم اخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتاذون

لعله

عن ريح العالم التارك لعلمه وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا
الى الله تبارك وتعالى فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله فادخله الجنة وادخل الداعى
الى النار بتركه علمه واتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق و
طول الامل ينسى الاخرة فهذه الاخبار تبين ان العالم الذى هو من ابناء الدنيا اخس
حالا واشد عذابا يوم القيمة من الجاهل وان علماء الاخرة هم الفائزون المقربون و
لهم علامات منها ما مر ذكرها من اعراضهم عن الدنيا وزخارفها وزهدهم فى شهواتها
واقبالهم الى الاخرة ورغبتهم فى درجاتها ومعارفها وحقائقها ومنها ان يكون اكثر
اهتمامهم بالمعارف الباطنية ومعرفة عالم الملكوت والروحانيات واحوال المبدء ومعرفة
النفس الانسانية وكيفية ارتقائها الى الكمال وخلاصها من النقص وطريقها
الى الاخرة حتى تصير نفسهم عالما معقولا موازيا للعالم المحسوس مشاهدا لصورة الكل
الكمال اخذا هيئة الوجود من المبدء الاول على الترتيب المتردى الى ولديه و
العروج اليه وكيفية استكشاف هذه الامور بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة
العبادات والاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله فى الخلوة مع حضور القلب بصافى
الفكرة والانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فلا تكون
مزاولتهم للعلوم الشرعية الظاهرة اكثر من مواظبتهم للمعارف الالهية بل لم يحيطوا
بحظ وافر منها لم يشتغلوا باستقصاء مسائل الحلال والحرام الا ما هو الواجب العينى بقدر
ما لا بد منه دون الواجب الكفائى الذى يقوم كل احد فيه مقام الاخر وذلك لوجوب

عمله

الاشتغال اولا بالاهم والاهم هو العلم بالله وملكوته وصفاته وافعاله وكتبه ورسله
واليوم الاخر دون العلم باوامره ونواهيه كما قال الشيخ الفاضل الفقيه الكامل
زين المجتهدين رحمه الله ناقلا فى بعض مؤلفاته عن بعض المحققين العلماء ثلثة عالم بالله
غير عالم بامر الله فهو عبد استولت المعرفة الالهية على قلبه فصار مستغرقا بمشاهدة نور الجلال
والكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه وعالم بامر الله غير عالم بالله وهو
الذى يعرف الحلال والحرام ودقائق الاحكام لكنه لا يعرف اسرار جلال الله وعالم بالله
وبامر الله فهو جالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع
الله بالحب له وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار
معهم كواحد منهم كانه لا يعرف الله واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه
لا يعرف الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين وهو المراد بقوله سائل العلماء
وخالط الحكماء وجالس الكبراء والمراد بقوله سائل العلماء العلماء بامر الله غير العالمين
بالله فامر بمسائلتهم عند الحاجة الى الاستفتاء واما الحكماء فهم العالمون بالله
الذين لا يعلمون اوامر الله فامر بمخالطتهم واما الكبراء فهم العالمون بهما فامر بمجالستهم
لان فى مجالستهم خير الدنيا والاخرة ثم قال ولكل واحد من الثلثة ثلث علامات
فللعالم بامر الله الذكر باللسان دون القلب والخوف من الخلق دون الرب
والاستحياء من الناس فى الظاهر ولا يستحيى من الله فى السر والعالم بالله
ذاكر خائف مستحى اما الذكر فذكر القلب لا اللسان والخوف خوف الرجاء لا المعصية

خوفهم

سنا

والحياء حياء ما يخطر على القلب لا حياء الظاهر واما العالم بالله وبامره له ستة
الثلثة المذكورة للعالم بالله فقط مع ثلثة اخرى كونه جالسا على الحد المشترك بين
عالم الغيب وعالم الشهادة وكونه معلما للمسلمين وكونه بحيث يحتاج الفريقان
الاولان اليه وهو مستغن عنهما فمثل العالم بالله وبامر الله كمثل الشمس لا تزيد
ولا تنقص ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص اخرى ومثل العالم
بامر الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره انتهى كلامه ومنها ان لا يكون
متسرعا الى الفتوى مشتاقا اليه بل يكون متوقفا محترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا
فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او نص حديث او اجماع بالحنيفة او مشاهدة
بالحنيفة جلية افتى وان سئل عما شك فيه قال لا ادري وهذا لفظ كان علماء
هذا الزمان حرموا على انفسهم التلفظ به عند الاستغناء عنهم وفي الخبر ان العلم
ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقيل من سكت حيث لا يدري
لله فليس اقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالنقص اشد على النفس فتوابه
ازيد وهكذا كانت عادة السابقين وكان بعضهم يقول حين سئل عن
الفتوى اتريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم قال ابن مسعود
ان الذي يفتي الناس لمجنون ومنها ان يكون اكثر بحثه في علم الاعمال عما يفسد
ويشوش القلب ويهيج الوسواس ويثير الشر وذلك للتوقي عنه والاحتراز من الشر
لا للمباهاة والمماراة كما ان وضع علم المغالطات في المنطق انما هو لان يحترز الانسان

عن الغلط

عن الغلط لا لان يوقع غيره في الغلط واما علماء الدنيا فاكثر اهتمامهم بتتبع غرائب التفريعات
في الاقضية والحكومات والتعب في استنباط الصور الدقيقة والاحتمالات البعيدة
التي تنقضي الدهور ولا يقع مثلها وان وقع كان لغيرهم لا لهم ومع ذلك لا تخلو
الارض عن يقوم باستنباطه والشغف بتحصيله طلبا للجاه والشهرة حسبما قدر الله
واوضع عند عزيز كل احد ما بيانا سببه وتنتظم به امور غيره في عالمه وما بعد عن السعادة
من باع حظ نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للخدمة الخلق وقبولهم على القرب
من الله وحضوره عنده ومنها الخاتمة ان تسميه البطالون فضلا عالما
بالدقائق وجزاؤه من الله تعالى ما ذكره بقوله تعالى اولئك لا خلاق لهم في
الاخرة ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ومن علامات علماء الاخرة واولياء الله
ومجامع نعوتهم انهم لكونهم منبعثين من نوم الجهالة منتبهين من رقدة
الغفلة عارفين بحقايق الاشياء مشاهدين حساب يوم القيمة قوم يستوي
عندهم الاماكن والازمان وتغاير الامور وتصادف الاحوال فصارت
كلها عيدا واحدا وجمعة واحدة وصارت الاماكن كلها مسجدا واحدا
والجهات كلها محرابا واحدا وذلك لخروجهم بعقولهم الصافية واذهانهم
العالية من مطمورة عالم الزمان والمكان وتوجهت قلوبهم شطر الحق وتولت
ذواتهم وجه الله فصارت حركاتهم كلها عبادة لله وسكناتهم كلها طاعة له
ويستوي عندهم مع المادحين وذم الذامين لا يأخذهم في الله لومة لائم قوامين
بالقسط شهداء انهم على صلوتهم دائمون وتحققوا بقوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله

التدني م

لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم وصار دعاء فهم مستجابا لانهم لا يريدون
الا ما يكون ولا يكون الا ما قد كان في سابق العلم فقلوبهم في راحة من التعلق
بالاسباب وارواحهم فارغة من التكلف بالابتغاء ونفوسهم ساكنة عن الوساوس
وابدانهم في راحة من انفسهم والناس منهم في راحة وامان لا يريدون لاحد
سوءا ولا يضمرون لاحد شرا عدوا كان او صديقا وذلك لعلمهم بحقارة
الدنيا وخسة شركائها ودنو اهلها وارتفاعهم عن الالتفات والتوجه
الى هذا المنزل الادنى كما قال امير المؤمنين عليه السلام والله لدنياكم عندي
اهون من عراق خنزير في يد مجذوم وقال النبي عليه السلام والله ما دنياكم هذه
عندي الا كعفطة عنز وان اردت يا حبيبي ان لا يشتبه عليك الفرق
بين علماء الدنيا المغترين بلامع السراب الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبين علماء الاخرة الناجين من عذاب
يوم الحساب الفائزين بشهود رب العالمين فتأمل فيما وصفنا وتذكر
ما ذكرناه من خواص اهل الله لتعرف منه خواص اضدادهم واضداد خواصهم
وان شئت زيادة التميز بين هاتين الطائفتين فتأمل في حكاية
وقعت بين رجلين احدهما من اولياء الله وعباده الصالحين الذين
انجاهم من عذاب جهنم واعتقهم من المهلكين المعذبين فيها بالوان
العذاب المحرقة قلوبهم بحرارة عداوة اهلها المؤلمة نفوسهم بعقوبة
قال الناجي للهالك كيف اصبحت يا فلان قال اصبحت في نعمة من الله لكن

الهالكين

للزيادة

للزيادة راغبا فيها حريصا على جمعها ناصر الدين الله معاديا لاعداء الله محاربا لهم
فقال الناجي له من اعداء الله قال كل من خالفني في مذهبي واعتقادي قال له
ظفرت بهم ماذا تفعل بهم قال ادعوهم الى مذهبي ورأيي واعتقادي قال فان لم يقبلوا
منك قال اقاتلهم واسفك دماءهم واسبي ذراريهم قال فان لم تقدر عليهم قال ادعو
عليهم ليلا ونهارا والعنهم في صلواتي كل ذلك قربانا الى الله تعالى قال الناجي فهل تعلم انك اذا
دعوت عليهم ولعنتهم اصابهم شيء قال لا ادري ولكن اذا فعلت ما وصفت لك وجدت
لقلبي راحة ولنفسي لذة ولغليل صدري شفاء قال له الناجي الذي لم ذلك
قال له ولكن قل انت قال لانك مريض النفس معذب القلب معاقب الروح لان
اللذة انما هي الخروج من الالام وليس في هذا الذي ذكرته من احوالك تصلب في
الدين من شيء ولا تقوية للشرع المبين وانما هي خدمة لقوتك الغضبية
التي تسلطت عليك وجعلت قلبك مسخرا اياها في دواعيها وهي انما
لما ربها السبعية وقد استهزء بك الشيطان حيث غرك بان هذا ترويج
للدين خدمة للشرع المبين وبه تمن على سيد المرسلين عليه وآله الصلوة والسلام شبه
ما حكاه الله عن بعض المنافقين بقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على
اسلامكم واعلم بانك محبوس في طبقة من طبقات جهنم وهي الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع
على الافئدة وانما تشاهد لك عذابها يوم القيمة عيانا الان تتبع منها بالفكر الصحيح والعقل
السليم وتخلص بنفسك من عذابها وتنجو بقلبك من عقابها اذا كما وعد بقوله تعالى ثم
ننجي الذين اتقوا بمفازتهم ونذر الظالمين فيها جثيا ثم قال الهالك للناجي فاخبرني انت

عن ربك ومذهبك وحال نفسك قال نعم اما انا فاني قد اصبحت في نعم الله واحسانه الاجمل
عدد ها ولا يؤدى شكرها راضيا بما قسمه وقد صابرا لاحكامه لا اريد لاحد من خلق
سواء ولا اضمر له علاوة ولا انوى لهم شرا نفسى في راحة وقلبى في فسحة والخلق من جهتى في امان
اسلمت لربى مذهبى ودين ابراهيم اقول كما قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك
غفور رحيم ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم واعلم ايها
الـ الاخ البار ايدك الله ان امثال هذه الاراء والاعتقادات كثيرة واكثر هذه الجدليات
مولم النفوس معتقد بها ومعذبة لقلوبهم واوجاء لنفوسهم وعقوبة لهم في الدنيا الى وقت
معلوم واجل معدود وفي الاخرة اشد وادهى واذا اشتدت في الاخرة بحسب
الظهور والتحقق صارت نيرانات ملتهبة نزاعة للشوى وحرقات مشتعلة
قطاعة قطاعة للقلوب كما اشار اليه بقوله تعم فاذا جاءت الطامة الكبرى
يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى وقوله كلا لو تعلمون علم اليقين
لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين واعلم انه لا يصل الانسان الى معرفة الله على الحقيقة
الا بعد جوازه على بعض هذه الاراء الفاسدة ايام صباه او بعد ذلك ثم
ان الله يهدى من يشاء برحمته وينجيه منها كما وعد وقال وان منكم الا واردها
كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا قوله عز وجل
اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون قيل يحييها
بالنبات بعد يبسها وجدبها فكذلك يحيى قلب الكافر بالهدى الى الايمان بعد
موته بالضلال والكفر وقيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي

الغيث الارض وقيل معناه ان الله يلين القلوب بعد قسوتها بالالطاف والتوفيقات
قد بينا لكم الايات من شواهد العقل والنقل كالحجج الواضحات والدلائل الباهرات لعلكم
تعقلون فتعلمون بمقتضاها فتنجون الى العبودية التامة مكاشفة اعلم ان
مرجع هذه الاقوال الثلثة الى شئ واحد في المال اذ المثل له جميعا فان الارض مثال
للنفس الناطقة الانسانية المعبر عنها بالقلب الحقيقى لتقلبها بالاحوال لا الجسم الصنوبرى
الموجود في الحيوانات والنبات ومن تمثال الكوبها هيولانية ليس فيها شئ من المعارف
والعلوم الحقة التى بها تستتم حقيقة الانسان وبتوسطها واعدادها تستعد
للحيوة العقلية والايات المبينة لها اشارة الى المقدمات اليقينية التى نتوسل بها
في تحصيل الكمال الحقيقى موصوفه عقلا وعاقلا بالفعل بتأييد من الحق الاول
بواسطة بعض الملائكة العلامة الفعالة للحقائق باذنه تعم وهذه الحيوة العقلية
هى التى وقعت الاشارة اليها بقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله وظاهر ان المراد
من الحيوة التى تكون عند الله هى حيوة المعنوية دون الحسية والمراد من رزق
الذى يكون عنده رزق المعارف والعلوم الحقة التى بها تتغذى وتتقوى الارواح
المقدسة لا الاغذية الجسمية التى تنمو بها الاجسام الا المحسوسة كما في قوله تعم
ورزق ربك خير مما يجمعون وان اردت حقيقة الحال في بيان النفس الانسانية
ومراتبها في الاستكمال وبلوغها الى حد الكمال فعليك بمطالعة ما بيناه
في معرفة النفس في كتاب المبدء والمعاد فانها من الغوامض التى قلما يصل اليها

الا من ايده الله تعم بنور الكشف والشهود ولا يذكر من علم النفس في كتب الحكماء الا
قدر يسير ومرتبة نازلة منه مناسبة لمباحث الطبيعة واحوال البدن وذلك القدر
اليسير ايضا ستره عين للسالكين وقد غفل عنه الجمهور كغفلتهم عن سائر المعارف
الضرورية في سلوك سبيل الحق ومما يجب ان يتفطن على كل عاقل ان يعرف ربه ويتقرب
الى الله تعم ويعلم ان مبدأها من الشرع والى الله منتهاها اذا سلكت طريق الحق واكتسبت
المعارف الحقيقية والعلوم وتعلم انها غير البدن الذى او لم تطلقه بل ذوه واخرة
جيفة وهو فيما بينهما حامل العذرة وتعلم ايضا ان جهلها موتها وهلاكها
في الاخرة كما ذهب اليه كثير من الحكماء والعرفاء وان حيوتها الاخروية عبارة
عن وجود نور مستفاد من مبدأ للتعقلات ومنشأ لفعل الخيرات كما ان حيوتها
الدنيوية البدنية عبارة عن كونها منشأ الاحساس والتحريك وهو نور تقذف
من الحق الاول فيها فينفعل منه كما ينفعل من نور الشمس وجه الارض فاشرقت بها
كما اشرقت الارض بنورها فعند ذلك يظهر بها الحقائق والبهيات التى
معقولة لذاتها كما يظهر بضوء النهار الاجسام الارضية المظلمة الذوات
المستنيرة بنور الشمس وح تستعد للاتصال بالملاء الاعلى وعالم القدس و
لما كان كل ما يخرج من القوة الى الفعل ومن الموت الى الحيوة ومن الظلمات الى النور يخرج
بسبب متوسط بينه وبين الله تعم لكونه تعم في غاية الوحدة والاشراق والعظمة
لا يحتمل شدة نورية النافذة في العوالم ضعفاء البصائر والابصار الا بتوسط
عقل وعالم رباني ورسول من الحق الى الخلق كالملائكة للانبياء والانبياء

بذاتها م

عقلانی م

للخلائق فيجب ان يخرج هذه القوة المدنية الهيولانية بشئ يكون كاملا بالذات فعالا للمعقولات
والانوار العقلية كالشمس الفعالة للانوار الحسية ليست فيها شوب نقص وافة وقوة الا
الامكان الذاتى الذى هو اعتبار ما في الذهن وقد صار مختفيا تحت سطوع النور
الاول الحق بحيث يمتنع ظهوره من كثرة لطفه لتحقق هذا بالوجود الحقانى واتصالها بواجب الاتصال
ولكونه تعم فيها واللعدم بالوجود والتحصيل جبادا لما بالقوة بالفعل والتكميل فانفيض
منه سبحانه على سنة الابداع هى اوايل الموجودات المهيات ملاحظة جلاله وجلاله
لا التفات لهم الى ذواتهم النورية المعودة بنور الاول تعم فضلا عن غيرهم من
عالم الاجسام والظلمات فتلك الطبقة العليا من الجواهر المفارقة الوارعقلية الاعلام
في عالمها وصباحا حاضرة انية لا لمالها وانما يوجد من الطبقة الثانية العرضية التى
هى صنف اخر من صفوف العقول والملائكة القادسة وهم الادنون في
اسافل العالم الجسمانى لبال عشر من غير التفات منها الا ما دونها بل عند التفاتهم
الى ذواتهم المستنيرة بنور الحق الاول المشاهدة له سبحانه وقعت منهم ظلال الاجسام
الكلية وانبات الهيوليات العشر تسع للافلاك وواحدة للعناصر وما يتركب منها
وكما يفيض ما يليها منهم والاقرب بالقياس الينا هيولى هذا العالم السفلى فكذلك يفيض
منه على القوابل والاراضى العقلية والحسية بما فيه من اثار رحمة الله الصور والنفوس
والهيئات والنقوش من كمالاتها الثانوية كما في قوله فانظر الى اثار رحمة الله
كيف يحيى الارض بعد موتها وكل خرج من هناك يفنى على ارواحنا العلوم

الحقة والمعارف اليقينية الحاصلة فيها من ذلك العالم الاقدس المنجمي الى صور جميع
ما اوجد الله حاصلة في عالم الجبروت على وجه مقدس لا يشاهد بهذه العين الداثرة
فذلك الفياض للعلوم والمعارف المكمل للارواح والنفوس هو المسمى بروح القدس
وهو المعلم الشديد القوى والمؤيد بالقاء الوحي والالهام للانبياء والاولياء الذي كتب
في قلوبنا الايمان والمعارف اذا توجهنا شطر كعبة الحق والجنبة العالية واذا اعرضنا عنه
بالتوجه الى مشاغل الجنبة السافلة انمحت تلك النقوش عن النفوس كمرآة صقيلة
اذا اقبلت الى النير تشعشعت واذا اعرضت عنه تخلت من غير تغير في النير الاعظم بل في
احوال المرآة فاذا تحقق هذا المجمل الذي قد فصل في مقامه علم علما يقينيا ان الله تعالى
يحيي اراضي النفوس القابلة والعقول الهيولانية بعد موتها اي تعلقها بالبدن وغورها في
الظلمات الحسية التي هي منبع الجهل والغفلة والموت بتبيين الآيات العقلية والافاضة
المعارف اليقينية التي بها تتنور نفس الانسان وتحيى بروح المعارف وتخلص من
موت الجهالة وتستيقظ من نوم الغفلة وتتنبه من رقدة الطبيعة وتصير معقولا
وعاقلا بذاته فعالا للصور المعقولة والى هذا الارشاد بقوله لعلكم تعقلون قوله عز وجل
ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم
اجر كريم قرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد في اللفظين والباقون بتشديدها
فمن خفف كان الكلام عنده بمنزلة قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لان المصدقين بالتخفيف ماخوذ من صدق بمعنى آمن فهم الذين آمنوا واقرضوا
اي عملوا

اي عملوا الصالحات اما لان القرض الحسن من جملة الاعمال الصالحة لان معناه ان
يتصدقوا من المال الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على من يستحق للصدقة او
لان المراد منه مطلق الفعل الحسن والعمل الصالح الجالب اجركم سواء كان باتيانه امر عيني
او غيره كما ان التصدق يتضمن الصدقة ومن شدد كان الوجه عنده ان قوله تعالى
اقرضوا الله قرضا حسنا اعتراض بين الخبر والمخبر عنه فهو للصدقة اشد ملائمة للتصديق
ولا اعتبار ان يمنع كونه اعتراضا البتة لاحتمال ان يكون معطوفا على معنى الفعل في المصدقين
لان اللام فيه بمعنى الذين واسم الفاعل اصدقوا او صدقوا وقرئ يضعف بالتشديد ويضاعف
بكسر العين اي يضاعف الله لهم من الجزاء امثال ما انفقوا في وجه الخير ولهم اجر كريم لانه يترتب
لذاته على فعل الخير وكلما يترتب على فعل الخير يكون اجرا كريما لان امور الآخرة تكون شديدة
في نيتها الالذاذ ان كانت لذيذة وفي الايلام ان كانت اليمة لعدم الغشاوات والموانع
عن الادراك هناك فالمدرك للالام واللذات في غاية القوة والحدة فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد والمدرك فيها كنه حقيقة الشيء ولبه وباطنه وسريرته يوم تبلى
السرائر والادراك ايضا في غاية التحقق واليقين حيث ينتهي الى مشاهدة العين
كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم
مكاشفة النكتة في كون فعل الحسنة يكون اجره مضاعفا وفعل السيئة يكون
اجره مثله كما في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الا مثلها وجهان احدهما من جهة القابل والآخر من جهة الفاعل اما الوجه الاول

فهو ان حقيقة الانسان النفس منزلة من عالم الامر وعالم الآخرة ومن سنخ الروحانيات النورية نزلت فوقعت
في هذا العالم الجسماني الظلماني الجسمانية صدرت من ابيه آدم الاول وهبطت من الجنة
الى الارض غريبا وحيدا اسيرا في ايدي الظلمات منكوسا بلسع حيات الشهوات وموذيات
اللذات مسحورا بسحر الطبيعة ووساوس الشياطين كما في قوله تعالى ولقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين ثم ان كل عمل وفعل
صدر من الانسان في هذا العالم يحصل منه اثر في قلبه لارتباط شديد بين النفس
والبدن فيحصل من تكرر الافاعيل في النفس اخلاق وملكات هي موارد الاعمال
فاذا تكررت الافاعيل الحسنة من الصيام والقيام والصدقات والاطعام
وصدق الطويات ظهرت من دوام تكررها هيئات حسنة راسخة في النفس
فيتنور عندها بنور الصفات الملكية ويسهل معها صدور الفضائل والخيرات
كما قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واذا كان
اذا تكررت الافعال الذميمة والسيئات من البخل والاستكبار والكذب
وغيرها حصلت من دوام تكررها صفات ذميمة راسخة في النفس فيتكدر عندها
بكدورات المعاصي فيسهل معها صدور القبائح منها ما لم يكن يصدر قبل ذلك بتلك
السهولة كما قال سبحانه واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى
ولو لم يكن تكرر الافاعيل موجبا لحصول الملكات في النفس لم يحصل للانسان الصناعات
العلمية والعملية ثم لما كانت الافعال الحسنة مناسبة لعالم القدس وموطن النفس مقر
لما من عالمها

لما من عالمها مذكرة لها عهدها القديم مع اماكنها واوطانها والافعال القبيحة
مناسبة لعالم [illegible] الجحيم مبعدة لها عن عالمها والمناسب للشيء يكون اسرع تاثيرا
من المخالف الغريب في اخراج ذلك الشيء عما يقتضي طبعه فالافعال الحسنة والخيرات اقوى
تاثيرا في سعادة النفس وكمالها وتذكرها وقربها الى الله تعالى من الافعال القبيحة والشرور
في شقاوتها ونقصها ونسيانها وبعدها عنه تعالى وثانيهما ان رحمته تعالى فائقة على غضبه
سابقة عليه كما قال تعالى سبقت رحمتي غضبي حتى ان عين الغضب وعقوبته انما وجدت منه تعالى
برحمته التي وسعت كل شيء كيف والوجود الفائض منه على كل شيء هو عين الرحمة عليه فوجود
الغضب انما هو من رحمة الله على عين الغضب فسبقت نسبة الرحمة اليه تعالى على نسبة الغضب
وذلك لان الرحمة ذاتية للحق وعين الغضب ناشية من عدم قابلية بعض الاشياء
للكمال المطلق والرحمة التامة والى هذا اشارة في قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك اي من سوء استعدادك وان كان الكل
من عند الله اذ لا استقلال لغيره في الايجاد وفي الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم ان الخير كله
بيديك والشر ليس اليك ومن امعن النظر في لوازم الغضب من الامراض والآلام
والفقر والجهل والموت وغير ذلك يجدها كلها امورا عدمية فالرحمة ذاتية للحق والغضب
عارضة ناشية من اسباب عرضية فاذا كان كذلك كان باعث الرحمة اسهل
وجودا واقل اسبابا وايسر تحققا اذ يكفيه امكان القبول لها وباعث الغضب بخلافه
اذ لا يكفي له مجرد امكان المحل بل لا يحصل الا من وجود المنافي للرحمة المانع اياها فقابل

الرحمة وورائها لا يحتاج الى تعمل كثير عند صفاء الذات وخلوص الفطرة وصفائه وصحة القلب عن
الكدورات بخلاف داعية الغضب فانها الوجود للمعاصي والقبائح الغريبة عن الفطرة الاصلية التي
فطر الناس عليها ولهذه الدقيقة عبر عن باعث الرحمة بالكسب وعن باعث الغضب بالاكتساب
في مفهومه من التعمل الزائد على ما في الطبع في قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فان
قلت ما الوجه لخصوصية ذكر العشرة في التضعيف لا غيرها من الاعداد قلنا وجه ذلك كون
الانسان معمولة الطباع فعله الخاص به الذي هو ذكر ربه ومعرفته وملائكته ورسله والدار الآخرة
لا تعمار نفسه في الحسنات واشتغاله بالجسمانيات وهذا بخلاف فعل المعاصي والشهوات فانها
مما يلائم البدن وقواه فلا ازاحم بل يعين عليها القوى البدنية ولما كان المبدأ الادراكي
للافاعيل العقلية والامور الطاعات قوة واحدة هي الناطقة والمبدأ الادراكي
للافاعيل الحسية والمعاصي قوى عشرة هي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة فكل حسنة
يصدر عن القوة العاقلة لا بد فيها لكونها على خلاف طبائع القوى من مجاهدة وقعت
من العاقلة مع كل واحدة من تلك العشرة وكل مجاهدة لها اجر واحد فكل حسنة تستلزم
عشر حسنات مستدعية لعشرة امثال اجر احدهما واليه الاشارة في قوله تعالى ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا
قوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء
عند ربهم لهم اجرهم ونورهم اه الصديق الكثير الصدق المبالغ فيه وهو اسم مدح
وتعظيم قال الزمخشري اي هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين

سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين و
الشهداء ومثل نورهم ثم استشكل بعض المفسرين في هذه المماثلة بينهم في الاجر مع
تفاوت قدرهم فاجاب عنه باعطاء الله تعالى اجر المؤمنين مضاعفا بفضله ورحمته حتى
يساوي اجرهم مع المضاعفة اجر اولئك وفيه نظر بعد لان باب الرحمة والتضعيف كما انفتح
لهؤلاء انفتح لاولئك لان الله تعالى واحد لا تغير فيه فياض على الجميع ولو كان المراد
ان اجر هؤلاء مع التضعيف مثل اجرهم لا معه يفوت مدح المؤمنين والمقام مما يقتضيه
والاولى ان يراد من الايمان بالله والرسول مرتبة كاملة من المعرفة التي لا تتحقق الا في
العلماء او يراد منه الايمان الحقيقي الباطني الكشفي وهو الذي يكون للاولياء والعرفاء خاصة
فانهم هم الصديقون والشهداء لغاية تصديقهم الحاصل بالكشف وفنائهم عن ذاتهم
الحاصل بسبب المجاهدة الباطنية مع النفس وقواها الامارة قال مجاهد كل من آمن
بالله ورسله فهو صديق شهيد وقرء هذه الآية لهم اجرهم ونورهم اي لهم ثواب طاعاتهم
ونور ايمانهم وهو النور الذي يهتدون به الى طريق الجنة وهذا قول عبد الله بن مسعود
ورواه البراء بن عازب عن رسول الله صلعم وروى العياشي بالاسناد عن منهال القصاب
قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ادع الله ان يرزقني الشهادة فقال المؤمن شهيد وقرء
هذه الآية وعن الحرث بن المغيرة قال كنا عند ابي جعفر عليه السلام فقال العارف منكم هذا الامر المنتظر
له المحتسب فيه الخير كمن جاهد والله مع قائم آل محمد صلعم بسيفه ثم قال بلى والله كمن جاهد
مع رسول الله بسيفه ثم قال الثالثة بلى والله كمن استشهد مع رسول الله صلعم في فسطاطه وفيكم
آية من كتاب الله وقرء هذه الآية ثم قال اي صارتم والله صادقين شهداء عند ربكم

وقيل ان الشهداء منفصل عما قبله مستانف والمراد بالشهداء الانبياء عليهم السلام الذين
يشهدون للامم وعليهم وهو قول ابن عباس ومسروق ومقاتل بن حيان واختاره
الفراء والزجاج وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله عن مقاتل بن سليمان وابن جرير
مكاشفة اعلم ايها السالك ان لفظ الايمان بالله والرسول يطلق بالاشتراك او التجوز على الجزء
بين مراتب متفاوتة في المعرفة احديها ما يتلفظ العامي تقليدا وتسليما من غير بصيرة
كشفية ولا معرفة كسبية سواء كانت برهانية او جدلية وهو الايمان باللسان وفائدته
العصمة لصاحبه الكائن عن السيف والسنان وثانيها ما يستفاد من صناعة الجدل
وطريق المتكلمين وفائدتها حراسة العقيدة عن الجاهلين والمفسدين وقطاع
طرائق الحق للسالكين وليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب
في الآخرة غالبا ان كان مع شرائطه والثالثة ما يستفاد من البرهان اليقيني كما
هو طريقة الحكماء وفائدتها حصول المعرفة الحقيقية بالمبدأ القيوم وصفاته وافعاله
والرابعة ما يستفاد من الرياضات والمجاهدات وترك التعلقات والزهد الحقيقي عن الدنيا
وطيباتها وفائدتها الوصول الى جناب الحق ومشاهدة صفاته واسمائه وافعاله من حيث هي
افعاله فالايمان منقسم الى قشر وقشر القشر ولب ولب اللب كالجوز مثلا فان له قشرين
ولبين فالمرتبة الاولى ان يقول لا اله الا الله وربما كان مع الغفلة والانكار القلبي
كالمنافقين والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ ضميره كما يصدق به عموم المسلمين
وهو اعتقاد ويحصل له مناسبة الى ما هو الحقيقة بخلاف الاول فانه تقليد محض والثالث
ان يشاهد ذلك بالمظاهر الطبيعية العالم وامكانها وافتقارها الى الصانع

وجودها على عدمها ثم بالبرهان الوجوب الذاتي من الرحمة والجود وهداية الخلق بارسال
الرسل وانزال الكتب والجزاء لهم يوم الثواب للمحسن والعقاب للمسيء او العفو عنه
الا ان يكون فيه ما ينافيه من الكفر والاصرار والجهل والاستكبار والرابعة
ان يشاهد ذلك بمشاهدة الموجد الحقيقي وصفاته وآثاره ولا يرى للافعال
والآثار وجودا استقلاليا فلا ينظر الى شيء الا ويرى الحق فيه مع تفاوت المراتب
صفاء وكدورة وتفاوت ظهور الحق فيها جلاء وخفاء وهذا عبد قد تجلت عليه
الانوار الاحدية وظهرت له سواطع العظمة الالهية فيجعله هباء منثورا ويندك
عنده جبل انيته فيخر له خرورا وفي هذا المقام يستهلك في نظره الاغيار ويحترق
بنور الحق دار الاستار فينادي الحق لمن الملك اليوم ويجيب بنفسه لنفسه لله
الواحد القهار والمؤمن بهذه المرتبة يقال له الولي والصديق والشهيد اما كونه
وليا فلانه لا يحب الله احد غيره وهو لا يحب غير الله اما الاول فلان غيره لا يعرف الله
والمحبة تتبع المعرفة بل عينه لانها ادراك الملائم من حيث هو ملائم والملائم
لكل او سلم مذاقه عن الامراض النفسانية ولم يتعود طبعه بالمعاصي الجسمانية هو المعبود الحق
الذي به وجود كل شيء وكماله واما الثاني فلان غير الله لا وجود له عند الولي والمحبة
تتبع الوجود للشيء عند المحب واما كونه صديقا فلكون كمال رتبة التصديق
يكون بكمال رتبة المعرفة واكمل مراتب المعرفة هو المشاهدة فمن شاهد الموجد الحقيقي
ومرتبته في الكمال وشمول الافاضة وعموم الرحمة منه على كل شيء بحيث لا مشارك له

لاذ الوجود ولاذ الايجاد فهو الصديق الاعظم لا غيره ممن لا يعرف الحق ومفيضه الا
بالدليل او التقليد من غير بصيرة وكشف واما كونه شهيدا فلشهادة نفسه في
طريق الحق وعدم التفاته الى هذه الحيوة الدنيا اذ الشهادة عبارة عن قبض الروح
في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب جميع الملاذ والشهوات عن
القلب لان من يهجم على صف القتال فهو يوطن نفسه على الموت حبا لله وطلبا لرضا
و بايعاد نياه باخرته راضيا بالبيع الذي بايعه الله اذ قال الله تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والبايع راغب عن المبيع لا محالة
ومثل هذه الحالة تحصل للقلب في بعض الاحوال في غير الغزاة ولكن لا يتفق زهوق
الروح فيها فالوقوع في صف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة لكن
هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة والصيت بالشجاعة فان من هذا حاله
وان قتل في المعركة فهو ليس بشهيد لبعده عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه
الاخبار فقد علم ان رتبة الشهداء انما تحصل لاجل انهم جردوا انفسهم عن
التعلق بالحيوة الجسمانية ابتغاء لوجه الله ونصرة لاولياء دينه في الجهاد بحسبه
وخرجوا عن الدنيا عند تكلف هذه الحالة ففازوا بالنعيم الابدي واما العرفاء
فقد خرجوا عن التعلقات بما سوى الله تعالى وقصروا النظر على وجه الله عن التفات
الى ذواتهم فضلا عن غيرهم وحصل لهم الموت الارادي عن هذه النشأة الدنياوية
وهذه الحالة حصلت لهم من غير تعمل وكلفة فهم الشهداء بالحقيقة قبل حصول الموت

الطبيعي او القتل

الطبيعي او القتل لهم لانهم قبل انقضاء هذه الحيوة الدنياوية وانهدام بناء هذه
الجثة الطبيعية احياء عند ربهم حيوة طيبة عقلية يرزقون بالارزاق المعنوية
والاغذية العلمية فرحين بما اتيهم الله من فضله فبه يستقيم معنى الاية من غير تمحل
قوله عز وجل والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم الكفر هو عدم الايمان
عما من شانه ان يكون مؤمنا والايمان كما علمت هو المعرفة بالله وكتبه ورسله واليوم
الاخر فالكفر هو الجهل بهذه المعارف سواء كان مع الجحود والاستكبار وتكذيب
الرسول وما اتي به ام لا والاول يستلزم الخلود في النار قطعا والثاني يحتمل النجاة
ولو بعد المكث طويلا او قصيرا وبه لما خلود الكفار المكذبين في النار التعبير عنهم
والحكم عليهم باصحاب الجحيم مكاشفة كما ان مجامع سعادات الانسان ترجع الى تحلية
قوته العلمية بالعلوم الحقيقية وحقائق الايمان بالله واليوم الاخر وتخلية قوته العملية
عن ذمايم الاخلاق ورذايل الملكات كذلك جوامع الشقاوات ترجع الى اتصاف
النفس بنقايض المعارف الحقة واتصافها بنقايض الصفات الذميمة وتمام الجهل
الراسخ المعبر عنه بالكفر والخلق الكريه المؤدي الى تكذيب الرسول المؤيد بالمعجزات
موجبا للخلود في النار لان الجنسية علة الضم والمرءة بجنسه مع محبوبه والجحيم انما
هي من حقيقة هذه الدار لكن ظهورها في هذه الدنيا بصورة الشهوات واللذات
وفي الاخرة بصورة النيران والجحيم والزقوم فاذا رسخت محبة الدنيا في النفس
ونسيت عن ذكر الله صارت في الاخرة محجوبة عن لقاء الله تعالى ولقاء اوليائه

الصالحين وبقيت في كرب السعير وعذاب الجحيم لرسوخ محبتها اياها في هذه النشأة
وان كان تعلقها بها وانما لم يتالم النفس بعذاب الشهوات ولم يتاذ بلسع
حيات ملاذ الدنيا وعقاربها قبل الموت مع كونها متصلة محيطة بها لغفلتها
عنها لقوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين لخدر الطبيعة وسكرها الحاصل
بسبب قلة المعرفة وكثرة الاشتغال باكتساب اسباب الدنيا وجمع حطامها
وربما يوصل من الناس من يجد الالم عين الراحة والراحة عين الالم فاكل
الجحيم والزقوم في هذه الحيوة الفانية مشتهيا لذيذا عنده لسكره ويعرض
عن ادراك الحقايق الحقة التي هي العسل المصفى واللبن الذي لم يتغير طعمه
لكونه محجوبا عن ادراك كل من القبيلين بصورته الظاهرة فالشهوات الدنية
حلوة عنده والموعظة الحسنة والكلمات الحقة كريهة مرة لديه وهذا لاجل مرض
الواقع بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء
الحلوة ويستحلي الاشياء المرة لمن به مرض بليموس حيث تافخ حسه لغلبة الخلط
السوداوي ويجد ذائقته عن ادراك الطعوم على وجهها فيجد المر حلوا والحلو مرا
كما قيل شعر ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا والانفس القلب السليم
والعقل الصحيح لا يلتذ الا بذكر الله ومعرفته ولقائه لان ذلك كماله وغذاؤه الذي خلق له
وقوته لا بالامور الحسية الدنياوية من المال والبنين وغيرهما من الامور التي
لاجل الانتفاع بها في طلب الاخرة والسلوك الى الله تعالى لا للالتذاذ والتعشق

ولما كان

ولما كان الكمال الحقيقي والخير المحض هو معرفة الحق الاول وملكوته التي ستنقلب في الاخرة
مشاهدة له وهو انما يتاتى بالقلب السليم عن مرض العادات السيئة من موانسة
المحسوسات قال سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم علم ان
ما اوجب عقوبة اهل الجحيم في الاخرة وتعذيبهم بالعذاب الاليم هو بعينه موجود معهم في
الدنيا يعذب بواطنهم بنيرانه وذلك هو الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الردية التي
كلها نيرانات ملتهبة وحرقات مشتعلة تؤذي صاحبها وتوجب العداوة
والبغضاء مع ابناء الدنيا الذين يصيرون من اصحاب الجحيم والخصومة معهم في
مقاصدهم ومآربهم الخسيسة الدنياوية وهذه الجهالات وذمايم الملكات كانت سبب
التعذيب بها لصاحبها في الاولى بعينها التي توجب التعذيب بها لهم في الاخرى
على وجه اشد وابقى لقوله تعالى ولعذاب الاخرة اشد وابقى فان امور البدن
واشتغال اللذة ها هنا تلهي وتغفل الروح عن دركها كما هي بخلاف النشأة
الثانية فان البدن الاخروي لا يلهي الروح عن ادراك الالام ان كانت
شقية كما لا يلهيها عن ادراك اللذات الاخروية ان كانت سعيدة فاهل
النار اذا دخلوها تسلط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم لان ظواهرهم عين
بواطنهم كما حققناه في بعض كتبنا عند اثباتنا المعاد الجسماني بالاستبصار
العقلي ايضا كما هو ثابت عند الجمهور من المليين وحكماء الاسلاميين
بالنص النقلي وليس لحقيقة العذاب تسلط ها هنا على ظواهر الاشقياء

لكون ظواهرهم مباينة لبواطنهم الاخوا ضعيفا لم يتنبهوا عليه لحذ والطبيعة وسكر
البدن وجهل المادة فاذا انسلط عذاب النار على ظاهرهم وباطنهم واحاط
بهم سرادقها ملكهم الجزع والاضطراب فيكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا
متخاصمين متعاولين كما نطق به كلام الله في مواضع متعددة مثل قوله تعم كلما
دخلت امة لعنت اختها وقوله تعم ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وكما
ان هيئات امراض الجهل وغيره من الصفات اذا كانت راسخة مقرونة مع
العناد والاستكبار لا يمكن ان يزول اصلا فكذلك الاشقيا المردودون
من الكفرة والمتجبرين لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون فكلما طلبوا
ان يخفف عنهم العذاب او ان يقضى عليهم واستغاثوا ان يرجعوا الى الدنيا
فلم يجابوا الى طلباتهم كما حكى الله تعالى عن قرائحهم واستغاثتهم بقوله تعم يا مالك
ليقض علينا ربك وعن علم اجابتهم بل عنفهم عن السؤال وطردهم عن الاقتراح
بمثل قوله تعم انكم ماكثون اخسئوا فيها ولا تكلمون فلما يئسوا وظنوا
انفسهم على العقاب والمكث على ممر السنين والاحقاب وتعللوا بالاعذار
ومالوا الى الاصطبار وقالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص
قوله عز وجل اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه
مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان

وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اه زهد الله سبحانه الناس عن الركون
الى الحيوة الدنيا وزهدهم عن التوسط في مشتهياتها بابلغ وجه واكده حيث بين
ان محقرات مشتهياتها محتقرات لذاتها ليست في الواقع وعند اولياء الله
الذين نظرهم على حقائق الامور وبواطنها الا امورا وهمية باطلة زائلة وهي اللهو
واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر لا انها كذلك من باب التجوز او التشبيه لعلة
الاشتراك بينهما في عدم البقاء كما وقع في بعض التفاسير فان ذلك بحسب النظر الجليل
وادراك اهل الحجاب ولا انها كذلك بحسب المبالغة والتخييل كما هو عادة الشعراء
واهل القصص اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين بل هي بحسب التحقيق ليست
الا هذه المذكورات وليست الا متاع الغرور كما مثل الله تعم بقوله كسراب
بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وكما ان امور الدنيا
ليست الا اوهاما محضة وخيالات صرفة فامور الاخرة تعكس ذلك اذ هي
الامور العظيمة الثابتة الحقة لانها بواطن الاشياء وحقائقها التي لا تبيد
لا تنقص وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما الهى عن الاخرة والزينة ما تزين
به لاهل الدنيا ويتحلون في اعين اهلها ثم بين ان منشأ التفاخر بين الناس
هو القوة الغضبية والهيئة السبعية التي لا تزال توجب التفوق على الاقران
والترفع على الاشياء ومنشاء التكاثر هو القوة الشهوية والصفة البهيمية
التي لا تزال بطلب تزايد المشتهيات ثم انه تعم مثل حال الدنيا وانقضائها

وسرعة فنائها مع قلة جدواها بنبات انبته المطر فاستوى واكتمل واعجب الكفار نباته
دون غيرهم لانهم هم المغترون بالامور الواهية الباطلة بسبب تخيل ذوقهم
من ظواهر زينتها بما ينكرون الاخرة ولا يعرفون ما فيها الا اعلى وهي لهم ذوق والم
لا لاهل الله والمؤمنين حقا وليس المراد منه المبالغة في وصف النبات وبيان حسنه بانه
يعجب الكفار مع جحودهم لنعم الله فيما رزقهم كما قيل بل اعجاب الكافر بيان للواقع في الحكاية
التي مثل بها الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون اشارة الى القصة المذكورة في القران لصاحب
الجنة والجنتين وقيل الكفار الزراع ثم بعث عليه الافة فهاج اي يبس واصفر وصار حطاما
اي متحطما ومتكسرا بعد يبسه عقوبة لهم على جحودهم وكفرانهم وفي الاخرة عذاب شديد اي
لمن رغب في الدنيا فيشغله ذلك عن الاخرة ومغفرة من الله ورضوان اي لمن تزودها
للاخرة وما الحيوة الدنيا لمن ركن اليها واطمئن بها الا متاع الغرور كلامع السراب للظمآن
حيث يتخيل له لعابته ظانا انه ان له حقيقة كذلك حكم الدنيا للناقصين وضعفاء العقول يتخيل لهم
ان فيها لذة وكلا مغترون بها فان قلت كيف حكم الله على الحيوة الدنيا بانها لهو ولعب
اي باطل موهوم لا حقيقة لها مع انها ثابتة في الواقع والثابت في الواقع لا يكون امرا موهوما
قلنا يمكن الجواب عن هذا بحسب جليل النظر انها ليس المراد ماذكره سبحانه ان الحيوة الدنيا
التي هي القوة على الحس والحركة امر موهوم اذ لا شك في انها امر ثابت في بعض الاوقات وان
لم يكن دائما بل الغرض منه ان هذه الحيوة ليست حقيقية يمكن ثبوتها في حق الانسان
بما هو انسان اي هو جوهر روحاني هو محل معرفة الله لان حيوته حيوة عقلية نطقية

اخراوية والحيوة الحسية الدنياوية هي حيوة تتصف بها الحيوانات بما هي حيوان اي
ذو جوهر حساس واذا اتصف بها الانسان في بعض الاوقات فانما يكون بما هو
لا بما هو به انسان فاتصاف الانسان بتلك الحيوة الحسية باعتبار ان له قلبا حقيقيا
هو محل معرفة الله امر وهمي اذ لا وجود لها للانسان الا لمجاز العلاقة الارتباط بين
حقيقة الانسان التي هي روح المشار اليها بانا والجسد الحيواني الواقع تحت جنس الحيوان
عند حذفه لا بشرط شيء اي بالاعتبار الذي هو به حيوان لا بما هو به بشرية ومادة وقد
بين الفرق بينهما في علم الميزان ويمكن ان يجاب بحسب دقيق النظر ان المراد من الحيوة الدنيا
نفس الادراك الحسي للامور الدنياوية تسمية للشيء باسم ما ينبعث هو عنه فانه تعم
فان الحيوة الحيوانية انما تتم بالحس والحركة وغاية الحركة ايضا هو الحس في الانسان
والاحساس بالشيء لا يتم الا بالتوهم او التخيل والموهوم او المتخيل بما هو موهوم
او متخيل لا وجود له في الخارج بل في الذهن وكلما لا وجود له في الخارج فهو لهو ولعب اي
باطل ولو تفطن متفطن لعلم ان كل من يلتذ بامر من الامور الدنياوية او يتالم
به فانما يلتذ ويتألم بما هو حاضر في ذهنه مع قطع النظر عن الخارج حتى لو جزم انسان
بوجود امر ملائم له لكانت لذته بذلك الملائم متحققا وان عدم في الواقع وذلك
لمن عشق واحدا واعتقده في غاية الحسن والجمال اذ ربما كان التذاذه بوجوده
وبثبوت جماله ثابتا مدة مديدة بظن انه موجود في موضع كذا من داره وهو فقد كان
متداول تلك المدة فعلم ان وجوده الخارجي ليس موضوع هذه المحبوبية

لفقده فقس عليه حال جميع المحبوبات والمعاشيق الدنياوية في انها اوهام محضة لا وجود لها في الحيوة الدنيا ليس الا حالتك قبل الموت بالقياس الى هذه المحسوسات وما ينبغي لك ان تعلم انه ليس حصول التعقلات الكلية وادراك المعارف الالهية ونيل الحقايق الكونية على النحو الذي عليه للانسان من جملة الحيوة الدنيا الحسية اصلا بل انما هي له لاجل طلبه من النشأة الاخروية والحيوة الادراكية العقلية وقد علم مما ذكر ان ههنا حكمين احدهما كون الامور الدنياوية من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث في انفسها وبحسب جواهرها وذواتها امور وهمية وثانيهما ان وجود هذه الاشياء للانسان وهمي وكلا الحكمين حق وصواب اما الثاني فلما اشرنا اليه لان وجود الذهب في نفسه ليس ملكا للانسان بل الاعتقاد بوجوده له مما يلتذ به واما الاول فلما حققناه في موضعه موافقا لما عليه المحققون من العلماء فضلا عن الاولياء والعرفاء من ان المركبات المحسوسة الجزئية لا وجود لها منفردا عن الحقايق البسيطة المعقولة التي تتقوم بها تلك الجزئيات وقد صرحوا بان مناط وجود الجزئيات المادية محسوسيتها ومناط المحسوسية وجود الشيء للجوهر الحاس وقد علمت ان الاحساس لا يتم الا بالتوهم اي الوجود للقوة الوهمية التي هي من جنود الشيطان واعلم ان لذات الحيوة الدنيا انما هي لعب ولهو لانها من فعل الشيطان والا فليست امور الدنيا بما هي هي اي الحيثية التي بها ثابت وحق شهية لذيذة لان لكل شيء حقيقة وحقيقة امور الدنيا تجددها وزوالها وانصرامها ودثورها لانها اكوان ناقصة واقعة في جهة السلوك الى

والادتقاء

والادتقاء اليه والسالك بما هو سالك ليس له في حد وجوده وسلوكه كمال لان الحركة هي نفس الخروج من القوة الى الفعل فهي ما بين صرافة القوة والفاقة ومحوضة الفعل والوجود واللذة الحقة من توابع الوجه الحق الذي يتوجه اليه الموجودات والتوجه الى الحق انما هو بقطع الحجب الظلمانية الساترة للحق لاجل الوجود الموهوم الذي ينسب اليها فعالم الكون كله خيال في خيال كما قيل كلما في الكون وهم او خيال " او عكوس في المرايا او ظلال " فحقيقة العكس او الخيال والظل اذا اخذ من حيث كونه عكسا او خيالا او ظلا واما اذا اخذ العكس اصلا والخيال عينا والظل شخصا فيكون كل منهما باطلا كما في قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل " وكل نعيم لا محالة زائل " لان ما خلا الحق معلول ممكن والمعلول اذا اخذ منسوبا الى الحق كان حقا بحقية الحق وواجبا بوجوبه واذا اخذ غير منسوب اليه بل منفردا عنه كان باطلا فالعالم بما هو عالم وسوى الحق باطل لكنه موهوم الوجود كما ان الظل موهوم الوجود والوهم من فعل الشيطان والواهم من جنوده وكذا كل متوهم من حيث هو متوهم اي مذعن لاحكام الوهم من جنود الشيطان كما ان العقل من جنود الحق وكذا كل عاقل اي مذعن لاحكام العقل وقد علمت ان التطارد بينهما في معركة القلب الانساني قائم كما مر وللحق لذات اخر العقل وجنوده تلتذ بها وتبتهج فيها حيث يشاء كما ان للوهم لذات اخر الوهم وجنوده يلتذ بها ويتفرج فيها حيث يشاء قال بعض العلماء ان ابليس لما تمت حيلته على ادم عم ووصل بالاذية اليه ونال بغيته وبلغ منيته وسال ربه الانظار الى يوم يبعثون فاجيب الى يوم الوقت المعلوم اتخذ لنفسه جنة غرس فيها

التخيل

اشجارا واجرى فيها انهارا ليشاكل بها الجنة التي اسكنها ادم عم وقاس عليها وهندس على مثالها هندسة فانية مضمحلة لا بقاء لها وجعل مسكن اهله وولده وذريته وهي كمثل السراب الذي يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وذلك انه من الجن وقد قيل ان الجن تخيل والتمثل لما لا حقيقة له فكذلك فعل ابليس وجنوده انما هي تمويه وتزويق ومخاريق لا حقيقة لها ولا حق عندها ليصد بها الناس عن الطريق القويم والصراط المستقيم وبذلك وعد ذرية ادم عم اذ قال لاتينهم من بين ايديهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين والجنة التي غرسها ابليس لذريته ليصد بها ذرية ادم عن الجنة التي كان فيها هي الامور الدنياوية والشهوات الدنية الوهمية وفعل الخطايا والماثم وارتكاب المحارم وحب القنية الفانية والخروج عن طاعة الله ومتابعة الذين اخلدوا الى الارض وركنوا الى الدنيا وعاجلها ودعوا الاخرة واجلها التي هي دار القرار ومحل الاخيار ومقام الابرار وجميع هذه الامور لعب ولهو كما وصفها به فالعاقل هو الذي وفق للخروج من جنة ابليس فرجع الى الجنة ابيه وذريته الطاهرين ويتخلص من ادناس اجناس ذرية ابليس اجمعين واتباعهم وهم المعتكفون على الامور الدنياوية المكبون على اللذات والشهوات الدنية التي سينقلب بعينها في الدار الاخرة الى الوان العقوبات وانواع الالام والمحن الشديدة كما اشار بقوله وفي الاخرة عذاب شديد فهم في العذاب مشتركون وبذلك وعدهم اذ قال لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قوله وجل سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة

عرضها

عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اه الاعداد التهيئة اي وضع الشيء لما يوجد في المستقبل على ما يقتضيه او يناسبه والفضل والافضال والتفضل وهو النفع وهو اما المعنى الحدثي المصدري او الامر الحاصل به والثاني هو المراد ههنا ومعنى الاية انه تعالى بعد ما بين ان الحيوة الدنيا امر لا حقيقة لها سوى كونها خيالا موهوما بالوجه الذي مر بيانه ومثلها بمثال ينبه العاقل على دثورها وزوالها واشار الى ان الحيوة الاخرة امر محقق ثابت في نفس الامر لكنها اما عذاب شديد واما غفران ورضوان احدهما للسعداء والاخر للاشقياء ثم كرر الاشارة الى انها الموت لا بعد الاخرة هي متاع الغرور فرغب عباده في المسابقة لطلب احد الامرين الاخرويين اللذين بينهما في الاية السابقة وهو الذي يترتب على استعمال الحيوة الدنيا في طلب التوصل الى لقاء الله واليوم الاخر فقال سابقوا اي سارعوا مسارعة المتسابقين لاقرانهم ونظرائهم في المضمار وادفعوا العوارض القاطعة عن السلوك الى البغية بالاعمال الصالحة العلمية والعملية مقبلين الى ما يوجب الفوز بمغفرة من ربكم قال الكلبي الى التوبة وقيل الى الصف الاول الصلوة وقيل الى النبي صلعم وفي معناه الى كل هاد ودليل من الائمة عليهم السلام ومن بعدهم من المشايخ والمعلمين والى جنة عرضها كعرض السماء والارض اي وسابقوا الى استحقاق ثواب جنة هذه سعتها وعظمتها وفي ارتكاب حذف المضاف او ما حكيه في الموضعين نظر كشفي لا يسع المقام ذكره قال السدي كعرض سبع السموات وسبع الارضين

وفي ذكر العرض دون الطول وجوه احدها ان كل ما له امتدادان مختلفان فادنى عرضه
يكون اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسط عرف ان طوله ابسط وامد وثانيها ان
الطول قد يكون بلا عرض بخلاف العكس وثالثها الاشعار بان طولها لا يمكن ان
يقاس الى شيء من هذا العالم ورابعها ان المراد منه مطلق البسط كقوله تعالى فذو
دعاء عريض وقوله صلى الله عليه وسلم في غزوة احد يا عثمان ذهبت عريضا قال الحسن ان الله تعالى يفني
الجنة ويعيدها على ما وصفه فلذا صح وصفها بان عرضها كعرض السماء والارض
وقال بعضهم ان الله تعالى قال عرضها كعرض السماء والارض والجنة مخلوقة في السماء
السابعة فلا ينافي اعدت للذين آمنوا اي ادخرت للمؤمنين بالله ورسله وفيه ما لا يخفى من
التمحل ذلك اي الفوز بالمغفرة والجنة من فضل الله لكونه موجودا كاملا تاما فوق
التمام فيفضل عنه الوجود وكمال الوجود على غيره ممن يشاء والله ذو الفضل العظيم
لان العالم وما فيه من فضل وجوده وفيضه فلا استبعاد في ان يجزي الدائم الباقي
على العمل القليل الفاني ولو اقتصر على قدر ما يستحق بالاعمال كان عدلا لكنه يتفضل
بالزيادة كما انه لو امسك عن افاضة الوجود على العالم كان تاما في واجبيته
وملكه وسلطانه لكنه تفضل بوجود العالم نافلة من غير ضرورة زائدة على ذاته
وداعية مستولية عليه وان احدا لا ينال الخير في الدنيا والاخرة الا بفضل الله
فانه لو لم يدعنا الى الطاعة ولم يبين لنا الطريق ولم يوفقنا للعمل الصالح لما اهتدينا
اليه فذلك كله من فضل الله وقال ابو القاسم البلخي ان الله تعالى لو اقتصر لعباده في طاعتهم

بالبسط عن

من فضله

البلخي

على مجرد

على مجرد احسانه السابقة اليهم لكان عدلا فلما اجل سبحانه الثواب بالجنة فضلا
قيل وفي هذه الآية اعظم رجاء لاهل الايمان لانه ذكر ان الجنة معدة للمؤمنين
ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر وانت علمت مما سبق ان الايمان بالله والرسول
وما جاء به هو اصل المراتب الكمالية للانسان وبه يستحق للسعادة العظمى والغرض
من الاعمال الصالحة هو خلاص النفس عن العلائق الدنية المكدرة لمرآة القلب
المانعة عن ادراك الحقائق والمعارف الايمانية فالعقيدة الحقة الالهية لا تتيسر
الا بقطع الاغراض الدنياوية بالاعمال الصالحة المقربة للقدس ولا يتيسر الخلاص
في العمل الا بالعقيدة الايمانية فالايمان هو المبدأ والغاية في كل خير وكمال على
وجه لا يرد على نفسه دورا مستحيلا ويحتاج بيانه الى كلام مشبع لا يناسب
مكاشفة فان الجنة حق والنار حق اعلم ان قوله تعالى اعدت للذين آه وكذا
قوله اعدت للمتقين دليل واضح على ان الجنة مخلوقة موجودة للمؤمنين والمتقين و
لانها نتيجة اعمالهم وافعالهم ومن جملة الآراء السخيفة رأي من زعم ان الجنة
والنار لم توجدا بعد ولا توجدان الا بعد بوار العالم وتهافت السموات والارضين
واشير الى فساد هذا الرأي في قوله انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وفي قوله اولئك
ينادون من مكان بعيد ومن الآراء السخيفة ايضا اعتقاد اكثر الناس
ان اجسام اهل الجنة اجسام لحمية كثيفة مركبة من اخلاط اربعة قابلة للاستحالات
معرضة للآفات واذا تأمل احد فيما وصف الله تعالى من صفات اهل الجنة ظهر له فساد

هذا الرأي وذلك قوله سبحانه لا يمسهم فيها نصب لا يذوقون فيها الموت وانهم
فيها خالدون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون آه ومن علامة حقيقة الاعتقادات
ان لا يقع فيها تناقض وتخالف وهرج ومرج واكثر آراء الجهال الذين يتشبهون
بالعلماء كاكثر الكلاميين يكون بحيث اذا عرض صاحبه على عقله انكره ضميرا
وان اقر به لسانا او يجده مناقضا لسائر اعتقاداته واصوله فيقع عنده ذلك
في شك وحيرة وسوء ظن بربه كما قال الله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم
فاصبحتم من الخاسرين آه ولا بد لكل احد ان يعلم ان الجنة والنار وجسميتهما
غير معلومتي الكنه الا للمكاشفين الذين اكتحلت عيونهم بنور الله وغلب عليهم ظهور
سلطان الآخرة بحيث يكون ابدانهم في الدنيا ساكنة وارواحهم في الآخرة
سائرة فهم من اهل الاطلاع على حقائق الامور الاخروية ولا بد للمحجوبين ومن لم يقف
على اسرارهم ولم يصل بعد الى مقامهم ان يعتقدوا ايمانا بالغيب ان الجنة التي
عرضها السموات والارض موجودة في عالم الغيب بحيث لا يمكن مشاهدتها
بهذه العين وليست اجسام الآخرة من هذه الاجسام حتى يقع بينهما
تزاحم وتضايق بل التزاحم والتضايق من خواص هذه الاجساد التي
نشاهدها بهذه الحواس الداثرة المستحيلة وتلك الاجسام لا تشاهد الا
بالبصيرة الباطنة ولا بد ايضا ان يعلم كل من آمن باليوم الآخر ان الاعمال
والافعال الدنيوية باعتبار تأثيرها في عادات النفس وملكاتها علة

وصار دوام

البلخي

طبيعية

طبيعية مع اعيان الامور الاخروية فكما ان الامر المسمى بالمعصية في الدنيا تؤدي بصاحبها
الى الاحتراق بالنار والتعذيب بالجحيم والزقوم والتصلية بالجحيم فكذا المسمى بالطاعة
يظهر في الآخرة بصورة الجنة والرضوان والتنعم بالفواكه والحور والغلمان والولدان
فهذه الافعال المحمودة التي هي الطاعات انما تراد لاجل اكتساب الاخلاق الحسنة وكذا
الافعال المذمومة انما تترك لاجل انها تنجر الى الاخلاق السيئة فالغرض من الاوامر
الشرعية فعلا كانت او تركا انما هو تحسين العادات وتقويم الملكات وتبديل السيئات
منها بالحسنات بتوفيق من الله وتأييد منه كما قال سبحانه في حق المخلصين من عباده اولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات وكما ان في الدنيا كل صفة تغلب على باطن الانسان وتستولي على
نفسه بحيث يصير ملكة لها توجب صدور افعال منه مناسبة لها بسهولة ويصعب عليه
صدور اضدادها غاية الصعوبة وربما يبلغ ضرب من الاول حد اللزوم وضرب من
الثانية حد الامتناع فهكذا حال الملكات والاخلاق في الآخرة اذ كل صفة ترسخ في
النفس وترسخ فيها وانتقلت معها الى ملك الآخرة صارت كأنها لازمة لها ولزمت
الآثار والافعال الناشئة منها بصور تناسبها وليست الافعال والآثار الدنياوية
في لزومها لمصادرها التي هي الملكات بتلك المثابة اذ الدنيا دار اكتساب وللعلل الاتفاقية
فيها تداول وجولان وللدواعي والصوارف الخارجية تسلط ودوران فالنفس ربما
يصير بالاكتساب سعيدا وبالعكس بخلاف الدار الآخرة فان باب الاكتساب والتحصيل
فيها مسدود ولكل نفس فيها حد محدود كما اشير اليه بقوله تعالى يوم لا ينفع نفسا ايمانها

لم يكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولان الدنيا دار تعارض الاضداد
وتفاسد المتنافيات بخلاف الآخرة لكونها دار الجمع والاتفاق عن تزاحم ولا تضاد فلا
هناك لا يكون الا علل ذاتية كالفواعل الحقيقية والغايات الذاتية دون العرضية
فكل ما يصلح اثر الصفة نفسانية لا يتخلف عنها هناك كما يتخلف عنها هيهنا فلا سلطنة
للعلل العرضية والاسباب الاتفاقية بل الملك لله الواحد القهار ولا ينفع الشفاعة
عنده الا لمن اذن له اي لا تاثير هناك للعلل الاتفاقية بل الذاتية وكذا في قوله
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي العلل الاتفاقية
دون الذاتية في الشفاعة كالرسول صلى الله عليه وآله لاجل حصول الاستعداد
والمناسبة الحاصلة من دعوته لامته التي كانت خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا القدر من المعرفة اقل ما يكفي المستبصر لان يؤمن بجميع
ما وعد الله ورسوله او توعد عليه لسان الشرع من الصور الاخروية المترتبة على الاعمال
والاخلاق المستتبعة للآلام ان لم يكن من اهل المكاشفة الباطنية والمشاهدة
الاخروية واما معرفة التفاصيل في نتيجة كل صفة وعمل وعد عليها او توعد عليه الشرع
بحكومة اخروية فيتوقف على كشف تام ومعرفة كاملة واتصال قوي بعالم الغيب
وتجرد بالغ عن علائق هذا العالم فكل من اتحد سعيه في العلوم يجب عليه ان يتأمل
في الصفات النفسانية والاخلاق الباطنية وكيفية منشأيتهما للآثار والافعال
عنها ليحصل في الآخرة لان يعلم كيفية استتباع الاخلاق المكتسبة في الدنيا

لتكرر الافاعيل

تكرر الافاعيل للآثار المخصوصة في الآخرة تحقيقا لقوله ان الدنيا مزرعة الآخرة فكما ان
شدة الغضب والغيظ في رجل غضبان يوجب ثوران دمه واحمرار وجهه وحرارة
جسده واحتراق مواده الرطبة التي هي ارطب من الحطب اليابس على ان الغضب صفة
نفسانية موجودة في عالم الروح الانساني والملكوت والحركة والحمرة والحرارة والاحتراق
من صفات الاجسام وقد صارت هذه الصفة الواحدة النفسانية مصورة بهذه
الهيئات والعوارض الجسمانية في هذا العالم فلا عجب من ان يكون رسوخ هذه
الصفة المذمومة مما يلزمها في النشأة الآخرة نار جهنم التي تطلع على الافئدة فتحرق
صاحبها وكما يعرض له بسببها امور مستنكرة وافعال مستكرهة اذا لم يكن له
صارف عقلي من ضربان العروق واضطراب الاعضاء وقبح المنظر وربما
تؤدي بصاحبها الى الضرب الشديد والقتل لغيره بل لنفسه وربما يموت
غيظا فكذا القياس فيما يعرض هناك على وجه اشد وابقى وبهذه الموازنة
بين النشأتين يشعر قوله تعالى ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون فاذا
تأمل احد في استتباع هذه الصفة المذمومة الواحدة لتلك الآثار واللوازم
الذميمة فيمكن له ان يقيس عليها سائر الصفات الرديات والاعتقادات المهلكات
وكيفية انبعاث نتائجها ولوازمها منها يوم الآخرة من النيران وغيرها
كما في قوله تعالى سيجزيهم وصفهم وكذا حال اضدادها من حسنات الاخلاق
وحقائق الاعتقادات وكيفية استتباعها للنتائج والثمرات من الجنان

والرضوان والوجه الحسن فعلى هذا يثبت القول بوجود الجنة والنار بالحقيقة
ولا يحتاج الى التجوز في قوله اعدت للمتقين وقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين
قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان
نبرأها ان ذلك على الله يسير المصيبة في الارض نحو الجدب وقلة النبات
وآفات الزروع ونقص الثمار وتلف الحيوانات وموت الانسان والمصيبة
في الانفس نحو الادوار والامراض والاوجاع والثكل بالاولاد والموت وغيرها
من الشرور والآفات الخارجية والداخلية وربما كان بعض انحاء الوجودات
والخيرات لطائفة من الناس هي بعينها مصائب وآفات لجماعة اخرى منهم
بالاستجرار الا في كتاب يعني الا وهو مثبت مذكور في لوح محفوظ من الالواح
العالية المحفوظة عن التحريف والفساد والبطلان من قبل ان نبرأها يعني المصائب
او الارض او الانفس ان ذلك اي اثبات ذلك على كثرته وتفصيله هين على الله
سهل يسير وان كان عسيرا على غيره مكانه تعالى الله حقائق الاشياء مسطورة
اولا في العالم العقلي اللوح المحفوظة في قلوب الملائكة المقربين المحفوظين بحفظ
الله وتقديسه وحراسته اياهم عن الخلل والنقصان والنسيان وكان المهندس
يسطر صورة ابنية الدار في نسخة في خياله اولا ثم يخرجها الى الوجود على وفق
تلك النسخة المسطورة اولا في الخيال ليصير الانسان شاهد لهذه العين فكذلك
فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى آخره في العالم الاعلى العقلي

ثم النفسي

ثم النفسي ثم الخيالي ثم اخرجه على وفق تلك النسخة الى الوجود الحسي المدرك باحدى
الحواس فعلمه تعالى بالاشياء الكائنة على هذا الترتيب بالوجه الفعلي بخلاف
علمنا الانفعالي بها الذي يحصل لنا على عكس هذا الترتيب فان العالم الموجود كذا
خرج الى الوجود بصورته يتأدى منه صورة اخرى الى الحواس ثم الى الخيال
ثم الى النفس ثم الى العقل المنفعل المتحد بالعقل الفعال فترتيب الصعود العودي
على عكس ترتيب النزول البدوي فالحاصل في العقل الانساني موافق للعالم الموجود
قبله على التعاكس في انحاء الحصول وتوضيح ذلك ان من ينظر الى السماء والارض
ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله كانه ينظر اليهما ولو انعدمت
السماء والارض في نفسهما كانه يشاهدها وينظر اليهما ثم يتأدى من خياله
اثر الى العقل فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس وهو الخيال فالعالم
الموجود في ذهن الانسان موافق للموجود في الكون وهو مطابق للنسخة الموجودة
في اللوح العقلي وهو سابق على وجوده في العدد والصور المثالية وهو سابق على
وجوده الاجسام ويتبعه وجوده الخارجي الكوني ثم وجوده الحسي ثم
وجوده الخيالي ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجوده في القوة العاقلة
الانسانية المتحدة بالعقل الفعال وكان تلك الصور ومحالها نازلة من الله
تعالى في سلسلة البدو فكذلك صاعدة الى الله تعالى في سلسلة العود فانه
سبحانه منه البدو واليه الرجعى ثم لما كانت هذه الموجودات بعضها روحانية عقلية

وبعضها مثالية وبعضها جسمية فكان الوجود الصادر من الحق عقلا ثم نفسا ثم
حسا ثم قلدا على نفسه فصار حسانيا ثم نفسانيا ثم عقلانيا وان في تنهيب
زيادة الاطلاع على حكمة الله تعالى في خلق العالم وعجايب صنعه في الموجودات حيث
ابرز مكونات المكونات بقدرته وارادته ولابد في قضائه وقدره ثم اظهر
مستورات الحقايق وخفيات المخلوقات بتوسط القلم الاعلى واللوح الاعظم
على منصات الاكوان في عالم الزمان والمكان فاستمع لشرح اليسير الذي تبتهج به
المحدق البصير فنقول ان البارى تعالى لما شرع في الافاضة والجود فاول ما افاد في الوجود
هو العالم العقلي المشتمل على صور روحانية هي جواهر مجردة عن الاجسام والمواد
منزهة عن العوائق الخارجية والقسا مدركة لذواتها ولما عداها بذواتها
على ما بين بالبرهان ونص عليه في الحديث والقرآن وصرح به في كتب اهل العرفان
وهي من عالم الامر كما قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وورد
عن النبي صلعم ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي
فهو مكتوب عنده فوق العرش وهذا العالم عالم الملئكة الذين لم يكلفوا بعالم السموات
والارضين على وجه الافاضة والتأثير واعلاهم الكروبيون وهم الذين
في حظيرة القدس لا التفات لهم الى الاجسام بل لا التفات لهم الى غير الله لاستغراقهم
بشهود جمال الحضرة الربوبية وجلالها ولا استبعاد ان يكون من عباد الله من
يشغله جلال الحق عن الالتفات الى غيره وقد وقع في الحديث عن رسول الله صلعم

ان لله ارضا بيضاء مشحونة خلقا لا يعلمون ان الله يعصى في الارض ولا يعلمون ان الله
خلق آدم وابليس رواه ابن عباس وهذا الصنف من الملائكة التي ليست واقعة في
سلسلة علل الاجسام وليست فيها جهة نقص يكون بازائها قصور في معلولها
القريبة الجسمانية فعبر عن تلك الجهة بعدم علمها بعصيان الضلالات على وجهها فعلية فقد
وبالجملة انوار محضة عقلية الا انها بعضهم المهيمون وهم الاعلون وبعضهم الادنون في
الصف الاخير وهم انوار قاهرة فيما تحتها من النفوس والاجرام بتأثير الله تعالى وقاهر بتها
صورة صفة قاهرية الله تعالى وجباريته كما ان نوريتها من سبحات وجهه تعالى وجماله وبهذا
الاعتبار يسمى الملائكة المقربين وعالمها عالم القدرة وعالم الجبروت اذ يفيض منها صور
الاشياء وحقايقها بافاضة الحق سبحانه وكذا يفيض منها صفاتها وكمالاتها التي بها
يجبر نقصانها فعلم ان جميع الحقايق باعيانها وكمالاتها منتقشة فيها وبهذا الاعتبار
يسمى عقولا وذلك الانتقاش هو صورة القضاء الالهي فالقضاء عبارة عن ثبوت
صور جميع الاشياء في العالم العقلي على الوجه الكلي ومحله عالم الجبروت لتقدسه تعالى عن
ثبوت الكثرة وهو المسمى بام الكتاب الذي اشار اليه قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده ام الكتاب وكل ما يفيض علينا من العلوم الحقة الموسومة بالعلوم اللدنية يفيض
عنه كما قال تعالى اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ومنه الجواهر خزائن غيبه كما قال
وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وكان العالم الروحاني
بجوهره المجرد محل القضاء فالعالم النفساني بجوهر السماوي محل القدر اذ الصور العقلية

الكلية في عالم القضاء في غاية الصفاء والوحدة لا يتراءى ولا يتمثل لغيرها الشدة نورها
كمرآة مضيئة ترد البصر عن ادراك ما فيها من الصور لشعاعها فينتسخ تلك الصور
منه في النفس الناطقة الكلية التي هي عالم قلب العالم كما ينتسخ بالقلم في اللوح صورا معلومة
مضبوطة منوطة بعللها واسبابها على وجه كلي كما تظهر في قلوبنا عند استحضارنا
للمعلومات الكلية كالصور النوعية مثلا وكبريات القياس عند الطلب للرأي الجزئي المنبعث
عنه العزم على الفعل هو اللوح المحفوظ ومحل القضاء لانحفاظ تلك الصور فيها وانحفاظها
عن التغير والزوال ثم ينتقش منه في النفوس الحيوانية الجزئية السماوية التي هي قوى نفوسها
الناطقة منبعثة منها منطبقة في اجرامها نقوشها جزئية متشخصة باشكال وهيئات
معينة مقارنة لاوقات معينة مقدرة مقادير واوضاع معينة من لواحق المادة
على ما يظهر في الخارج كما ينتقش في قوتنا الخيالية المعلومات الجزئية كالصور الشخصية وصغريات
القياس مثلا ليحصل بانضمامها الى تلك الكبريات رأي جزئي ينبعث عنه القصد الجازم
الى الفعل المعين فيجب عنه ذلك الفعل بعينه وذلك العالم هو لوح القدر فالقدر
عبارة عن حصول صور جميع الموجودات في العالم النفسي على الوجه الجزئي مطابقة لما
في المواد الخارجية مستندة الى اسبابها واجبة بها لازمة لاوقاتها وعالمه عالم المثال
لانه خيال العالم وسماء الدنيا التي تنزل اليها الكائنات اولا من غيب الغيوب
ثم تظهر في عالم الشهادة كما ورد في الحديث وتلك النفوس من قوى نفوسها الناطقة
بمثابة قوانا الخيالية من نفوسنا وكل منهما كتاب مبين كما اشير اليه بقوله تعالى ولا حبة

في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقوله تعالى ما من دابة في الارض
الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وحصول تلك الصور المعينة
المقيدة بوقتها المعين هو قدر الشيء المعين الخارجي كما قال وما ننزله الا بقدر معلوم
ومحل هذا القدر هو الهيولى الاولى التي هي بعينها لوح ذلك القدر الذي محله الملكوت العام
باذن الله كما ان محل القدر ولوح القضاء هو العالم النفسي ومحل القضاء هو عالم الجبروت
وهذه التي ذكرناها جملة تحتاج الى التفصيل والتوضيح في هذا الموقف وقد فصلناها
وبسطنا القول فيها وفي نظائرها من المقاصد الربوبية في كتابنا الكبير المسمى بالاسفار
الاربعة ومن عجايب صنع الله سبحانه انه ابدع نظاير جملة هذه الحقايق المتعلقة بدايته
من القلم واللوح والقضاء والقدر وعالمي الخلق والامر والشهادة والغيب والدنيا والآخرة
واودع من كل واحد من تلك المعاني انموذجا ومثالا ودرجا في فطرة الآدمي وروحه
ليصير صورة الانسان مثالا لرداء اوصافه واوفقا لا وان لم يكن مثلا له تعالى عن الشبه
والمثل فكما ان لافعال الانسان عند ارادة صدورها منه وبروزها من مكامن غيبها
الى مظاهر شهادتها اربعة مراتب لكونها اولا في مكمن روحه العقلي الذي هو غيب غيبي
في غاية الخفاء كانها غير مشعور بها ثم تنزل الى حضرة قلبه الحقيقي ونفسه الناطقة عند
استحضارها واخطارها بالبال كلية ثم تنزل الى خزانة خياله ونفسه الحيوانية متشخصة
جزئية ثم يتحرك اعضاؤه عند ارادة اظهاره فيظهر في الخارج فكذلك الحال فيما يحدث
في العالم بعناية الله تعالى وارادته من الحوادث اذ الاول بمثابة القضاء ومحله بمثابة

القلم والثانية بمثابة نفس اللوح المحفوظ ومحله اللوح المحفوظ من الفلك الا انه جوهر روحاني
ناطق لا ينفك بقائه البدن والثالثة بمثابة الصورة في السماء الدنيا ونقش لوح
القدر على ما بازائه ومحل اللوح للقدر وجسم الصقيل البخاري للخيال المشابه للسماء
وهي روحانيات والرابعة بمثابة الصور الحادثة في المواد العنصرية ولا شك ان النزول
الاول لا يكون الا بارادة كلية والنزول الثاني بارادة جزئية حقيقية تنضم الى الارادة
الاولى الكلية فتتخصص بها وتصير جزئية فتنبعث بحسب ملايمتها ومنافرتها داعية جزئية يستلزم
ارادة جازمة داعية الى اظهاره فتتحرك الاعضاء والجوارح ويظهر الفعل فحركة الاعضاء
بمثابة حركة السماء وظهور الفعل هو القدر على المذهب المذكور وكما ان سلطان الروح الالهي
هو العقل والادراك في البدن لا يظهر الا في الدماغ لمكان الروح الدماغي النفساني
فكذلك سلطان الروح الكلي الالهي هو روح العالم لا يكون الا في العرش لمكان القوة المحركة
السارية فيه فهو من العالم بمنزلة الدماغ من الانسان وكما ان مظهره الاول فينا هو القلب
الذي هو منبع الحيوة فكذلك مظهره الاول فيه هو الفلك الرابع الذي هو فلك الشمس وسط
العالم ومنبع حيوة العالم ومنشاء تدبيرات الكائنات ومنورها بالنور الحسي المظهر
لكل شيء من الاجرام والمعطي لها حقها من الحيوة الحيوانية الجسمية كما ان الباري
ثم منبع الحيوة العقلية للذوات العقلية النورية والمنور لذواتها والمكمل لها بافاضة
العشق والنور والوجود على ذواتها التي ابدعت على كمالها الاتم وعشقها وبالها
منذ اول الفطرة من الله مبدءها واليه منتهاها فالشمس مثال الله الاعظم وخليفته

في عالم

في عالم الاجسام بروحها وقوتها السارية في كل جسم من العالم وكذلك القلب مثال الله
وخليفته في عالم البدن الانساني بروح الحيوان وقوتها السارية في كل عضو من الانسان
فروح الفلك بمثابة الروح الحيواني الذي في القلب الذي به يحيى جميع الاعضاء وهو البيت المعمور
المشهور في الشريعة انه في السماء الرابعة المقسم به في التنزيل حيث قال تعالى والطور
وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ولهذا جعلت
مقام عيسى روح الله عم والكتاب المسطور هو نفس القضاء الاول الثابت في
الروح الاول العقلي وذلك الروح هو الرق المنشور والسقف المرفوع هو السماء
الدنيا المذكورة وقريب بالبيت المعمور لنزول الصورة منها ونفخ الروح منه فيتم
بها خلق الحيوان والبحر المسجور هو بحر الهيولى السيالة المملوة من الصور وهي الهاوية
والجحيم عند ظهور القيامة والله اعلم قوله عز وجل لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتيكم والله لا يحب كل مختال فخور قرأ ابو عمرو بما اتيكم بالقصر ويكون الفاعل
الضمير الراجع الى الموصول والاخرون بالمد ليكون هو الضمير العائد الى اسم الله تعالى
والهاء محذوفة من الصلة تقديره بما اتيكموه لما ذكر سبحانه ان جميع ما اوجده
مثبت في كتاب سابق اراد ان يعلل ذلك ويبين حكمته فيه فقال لكيلا تأسوا
ولا تفرحوا اي فعلنا ذلك لئلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا
بما اعطاكم الله منها والذي يوجب نفي الاسى والفرح ان الانسان اذا علم ان كل
ما حكم عليه في القضاء السابق الازلي ليس الا من مقتضيات ذوات الاشياء

التي لا يمكن التخلف عنها يحصل له الاطمينان الكلي والراحة الكلية على ان كل كمال يقتضيه
حقيقته وكل رزق صوري او معنوي يطلبه عينه لا بد ان يصل اليه كما قال صلعم
ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الا فاجملوا
في الطلب فيستريح عن تعب الطلب فان طلب اجمل ولا يخاف من الفوات ولا ينتظر لعلمه
بانه سبحانه في كل آن يعطيه من خزائنه ما يناسب وقته واستعداده فهو واجد
دائما من مقصوده شيئا فشيئا وما لا يقتضيه لا يراه من الغير فلا يبقى له حزن على
فوات شيء وكذلك من علم ان بعض الجزء ما اصل اليه وان وصوله لا يفوته ما لم يعظم
فرحه عند نيله فان قلت بعض الانسان ربما كان مقتضى ذاته امورا لا يلائم
نفسه كالفقر وسوء المزاج وقلة الاستعداد ولا يرى سببا للخلاص اذ مقتضى
الذات لا يزول فيحصل له غاية الالم من هذا التصور ولذلك قيل العلم بسر القدر يعطي
النقيضين الراحة الكلية والعذاب الدائم فكيف يستقيم الحكم بعدم الاسى
والحزن على فوات الامور قلنا ليس المراد نفي الاسى والفرح الصادرين عن النفس
بحسب الطبع بل المراد نفي صدورهما من العاقل على سبيل الاختيار المنبعث
عن تصور الفائدة والنفع وليس للحزن فائدة فيما ذكر ويمكن ان يراد ان العالم
بسر القدر لا يكون شقيا والشقي لا يكون عالما بسر القدر فمن قال ان العلم بسر القدر
يعطي النقيضين فلا وجه له ظاهرا واما ما قيل بان عدم الاسى والفرح
ان الانسان اذا علم ان ما فات عنه ما ضمن الله تعالى العوض عليه في الاخرة فلا ينبغي ان

يحزن لذلك

يحزن لذلك واذا علم ان ما ناله مما كلف الشكر عليه والحقوق الواجبة فكلا
حسن محمود في المواعظ فان قلت اذا كان عدم الحزن والفرح عند المضرة
والمنفعة الواصلتين للانسان ليس مقدورا له اذ لا يملك احد نفسه
عند ورود احدهما عليه فكيف يلائم ويحسن هذا الغاية اي العلة
الغائية للشيء ينبغي ان يكون بينها وبينه علاقة سببية او ان يكون الغاية بحيث
تكون مترتبة على الفعل قلنا المراد به نفي الاسى المذهل صاحبه عن الصبر المانع له عن التسليم
لامر الله والفرح المطغي الملهي عن الشكر الموجب للبطر والاختيال فاما الحزن الذي لا يكاد
احد يخلو منه مع الاستسلام لحكم الله والسرور بنعمة الله مع اعطاء حقه من الشكر
والتفطن لما يلزمه من الانتقال والدثور والعمل بموجبه فلا باس بهما وللاشعار
بان المراد من الفرح المذكور هو الذي يوجب البطر والخيلاء عقبه بقوله والله لا يحب
كل مختال فخور اي معجب على اولى متكبر على الناس بالدنيا فان الفرق بين الخيلاء و
الفخر كالفرق بين العجب والتكبر في ان احدهما بحسب نفس الموصوف به والاخر له بالقياس
الى غيره دون مقابله والنكتة في ذكر شقاوة الموصوف باحد المتقابلين دون الاخر
ان هذا اشنع منه ولان الاتصاف باحد هذين الوصفين يستلزم الاتصاف
بالاخر اذ قل من يكون له الفرح المطغي عند حظ دنياوي ولا يضطرب عند المصيبة
بل الغالب انه لا يثبت نفسه حالة الضراء كما لا يثبت نفسه حالة السراء فكل مختال
فخور يكون جزوعا غير صبور وكلا الامرين نقص وخسة والله لا يحب كل ناقص
خسيس في هذه الاية اشارة لاربعة اشياء احدها حسن خلق لان من استوى

عند وجود الدنيا وعدمها لا بحسد ولا ايعادي ولا اشاح لان حبهما من اسباب
سوء الخلق وهي من نتايج النقص والخسة وثانيها استحقار الدنيا واهلها اذا لم تفرح
بوجودها ولم تحزن بعدمها واليه اشار عليه السلام بقوله لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى
الناس امثال الاباعر لا يحفل بوجودهم ولا يغيره ذلك كما لا يغير بوجود بعير عنده وتمام
الحزن هو يرجع الى النفس فيكون اعظم حافز لها وثالثها تعظيم الآخرة لما سأل الله منها
من الثواب الدائم الخالص من الشوائب لانه لما يأس من وجدان اللذة والنعيم
في الدنيا توجه الى طلبها في الآخرة واهل الدنيا بعكس ذلك لانهم لما يأسوا من الآخرة ولذاتها
ونعيمها ركنوا الى الدنيا واطمأنوا ويئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور
ورابعها الافتخار بالحق والتشبث به دون اسباب الدنيا وروي ان علي بن
الحسين عليهما السلام جاء رجل عنده فقال لما الزهد قال الزهد عشرة اجزاء فاعلى
درجة الزهد ادنى درجة الورع واعلى درجة الورع ادنى درجة اليقين واعلى
درجة اليقين ادنى درجة الرضا وان الزهد كله في آية واحدة من كتاب الله
لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقيل لبزرجمهر مالك ايها الحكيم
لا تأسف على ما فات ولا تفرح بما هو آت فقال لان الفائت لا يتلافى بالعبرة
والآتي لا يستدام بالحبرة كما قد تحقق من هذه الآية ان كل ما وقع او سيقع
في هذا العالم مقدر بهيئته وزمانه مكتوب بوصفه وخصوصيته في عالم آخر قبل
وجوده فان اشتبه عليك الحال في الافعال المنسوبة الينا وتخيل اليك انها
على هذا التقدير يلزم ان يكون بالاضطرار فانا لنا نجد الفرق بين المضطر

الحبرة السرور

والمختار

والمختار ولنا ان نتصرف فيها بالتدبير والتغيير ونتصرفها بالتقديم والتاخير ثم اذا كان
الكل بالقضاء والقدر فلماذا نؤاخذ بها ونعاقب عليها او نوجر ونثاب بقصدها
وما الفرق بين سهوها وعمدها وكيف يتجه المدح والذم لنا واي فائدة للتكليف
بالطاعات والعبادات ودعوة الانبياء بالآيات والمعجزات واي تأثير للسعي والجهد
واي توجيه للوعيد والوعد وما معنى الابتلاء في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وما الحكمة من الآيات
الدالة على ان مدار التكليف هو الاختيار وبناء الامر في الاختيار على الاختيار وقيل
جريان الامر والنهي في مجاري القضاء والقدر وتفكرة سلسلة الاسباب والعلل وتدبر
في مبادي الامور حق التدبر ومعاني الآيات بقوة التفكر ان كنت من اهله وخلقت لاجله
عسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده ليقضي الله امرا كان مفعولا وينكشف لك ما ينكشف
لاهل الحق والراسخين في العلم وتخلص عن الشبهة بخفي فنبادر عند التفطن بما يتفطن
به العرفاء الكاملون من الائمة الى التوبة والاستغفار واعلم ان القضاء والقدر انما
يجريان ما يوجبانه بتوسط اسباب وعلل مترتبة منتظمة بعضها فاعلة مقتضية كالمبادي
العالية من الجواهر العقلية وبعضها مقدرات ومعدات كالنفوس السماوية والحركات
والاوضاع الفلكية والصور والكواحق والامور الجارية مجرى الاسباب الاتفاقية
التي هي لوازمها من وجه وغيرها من الادراكات والارادات الانسانية والحركات
والسكنات الحيوانية وبعضها قوابل واستعدادات ذاتية وعارضية اياها
يختص بسببها بحال دون حال وصورة دون صورة ترتيبا وانتظاما متقنا

معلوما في القضاء السابق فاجتماع تلك الامور من الاسباب والشرايط مع ارتفاع الموانع علة تامة
يجب عندها وجودها ذلك الامر المدبر المقضي المقدر وعند تخلف واحد منها او حصول مانع
بقي وجوده في حيز الامتناع ومع قطع النظر عن وجود جميع الاسباب وعدمه بقي في حيز الامكان
فاذا كان من جملة الاسباب وخصوصا القريبة منها وجود هذا الشخص المكلف الانسان
وادراكه وعلمه وارادته وقبوله التكليف بفكره وتخيله اللذين يختار بهما احد طرفي
الفعل والترك كان ذلك الفعل اختياريا واجبا وقوعه بجميع تلك الامور المسماة علة تامة
ممكنا بالنسبة الى البعض منها فوجوبه لا ينافي امكانه ومجبوريته لا ينافي كونه بالاختيار كيف وانه
ما وجب الا بعد كونه ممكنا او ما جبر عليه الا بعد كونه مختارا فمن نظر الى بعض الاسباب فانما
نظره الى القريبة منها او رآها مؤثرة بالاستقلال قال بالقدر والتفويض اي بكونها
واقدرها بقدرتنا الاستقلالية مفوضة الينا ولهذا قال عليه السلام القدرية مجوس هذه الامة
لانها اثبتت مبدأين قادرين مستقلين كالمجوس القائلين بيزدان واهرمن وان
احدهما فاعل الخير والآخر فاعل الشر بالاستقلال ومن نظر الى السبب الاول وكون تلك
الاسباب والوسائط مستندة باسرها على الترتيب المعلوم في سلسلة العلل والمعلولات
الى الله تعالى مستندا استنادا واجبا وترتيبا معلوما على وفق القضاء والقدر وقطع النظر عن
الاسباب القريبة او نفى التاثير مطلقا في العلل والمعلولات وابطل حكمة الله تعالى في نظم الاسباب
وتقديمها على المسببات قال بالجبر وخلق الافعال ولم يفرق بين افعال الاحياء وافعال
الجمادات وكلاهما اعور دجال لا يبصر باحدى عينيه اما القدري فبالعين اليمنى اي النظر

القوي الذي

القوي الذي به يدرك الحقايق واما الجبري فباليسرى اي الاضعف الذي به يدرك الظواهر
واما من نظر حق النظر فاصاب فقلبه ذو عينين يبصر الحق باليمنى فيضيف الافعال اليه خيرها
بالذات وشرها بالعرض ويبصر الخلق باليسرى فيثبت تاثيرهم في الافعال به سبحانه لا بالاستقلال
وبالاعداد لا بالايجاد ويحقق معنى قول الصادق عليه السلام لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين
فيذهب به وذلك هو الفضل الكبير واما من اضاف الافعال الى الله تعالى بنظر التوحيد واسقاط
الاضافات ومحو الاسباب والمسببات لا بمعنى خلق الافعال فينا او خلق قدرة وارادة جديدتين
مباينتين لقدرته وارادته عند صدور الفعل عنا فهو الذي طوى بساط الكون وخلص
عن مضيق البون وخرج من البين والاين ووقع في العين لكنه بقي في المحو ولم يجئ الى الصحو اذ
بصره عن مشاهدة جماله وسبحات وجهه وجلاله فاضمحلت الكثرة في شهوده واحتجب التفصيل
عن وجوده وذلك هو الفوز العظيم فاذا رجع الى الصحو بعد المحو ونظر الى التفصيل بعين الجمع غير
محتجب برؤية الحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق ولا مشتغل بوجود الصفات عن الذات ولا بالذات
عن الصفات فهو الولي المحق الصديق صاحب التمكين والمحقق ينسب الافعال الى الله تعالى بالايجاد
ولا يسلب عن العباد بالاعداد كما في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تكمل فيه
فعلم مما ذكر ان الدعوة والارشاد والتكليف والتهذيب والوعد والترغيب والايعاد والتهديد
امور جعلها الله تعالى مهيجات الاشواق ودواعي الخيرات وطاعات واكتساب فضائل وكمالات
ومحرضات على اعمال حسنة وعادات محمودة واخلاق جميلة وملكات فاضلة مرضية نافعة في معادنا
ومعاشنا يحسن بها حالنا في دنيانا ويحصل لنا سعادة عقبانا او محذورات عن اضدادها

من الشرور والقبائح والذنوب والرذائل بل ما نضر بها في العاجل ويشقى بها في الآجل لم يحصل
لنا شيء من الطرفين الا بتلك الاسباب ونقائضها وكانت تلك الوسائط ايضا مقدرة لنا
واجبة باختيارنا كما قال عم لمن سأله هل يغني الدعاء والرقية من قدر الله فقال عم الدعاء والرقية
ايضا من قدر الله ولما قال عم جف القلم بما هو كائن قبل فيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له
ولما سئل اعمل في امر قد فرغ منه او من مستأنف فقال في امر فرغ منه وفي امر مستأنف ومن هنا
علم ان كل ما يصدر عنا من الحركات والارادات والحسنات والسيئات محفوظة مكتوبة علينا اذ وجب
صدوره عنا مع كونها باختيارنا كما قال تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر
وقال عز وجل ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين فهي معرفات لسعادتنا
وشقاوتنا في العقبى وليست بموجبات لهما وكذلك ما يصل الينا من الرغائب والمكاره كما
قال النبي صلعم واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله
لك ولو اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء كتبه الله عليك رفعت الاقلام
وجفت الصحف وقال امير المؤمنين علي عم اعلموا علما يقينا ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت
حيلته وقويت مكيدته واشتدت طلبته اكثر مما سمي له في الذكر الحكيم اي اللوح المحفوظ والشواهد في
هذا الباب اكثر من ان تحصى واما الابتلاء فهو اظهار ما كتب علينا في القدر وابراز ما
اودع فينا وغرز في طباعنا بالقوة بحيث يظهر من الشواهد ويخرج الى الفعل من الوقائع
والحوادث والتكاليف الشاقة بحيث يترتب عليه الثواب والعقاب فانهما ثمرات ولوازم
وتبعات وعوارض لامور موجودة فينا بالقوة فاذا لم يصدر عنا وبالجملة

لم يحتج الى الفعل في العقبى فكان المثوبات الاخروية ليست بقصد وارادة جزافية واقعة من
المقدس عن النقص والشين او التفات حاصل من العالي بالقياس الى السافل بل من باب
ونظم الاسباب وترتب المسببات علينا بحكم المدبر العليم وارادة الصانع الحكيم الذي له الملك
والملكوت وبذاته التامة الفاعلة يفيض الاشياء ويخلق ما يشاء من غير مصلحة زائدة
وارادة متجددة فكذلك العقوبات الالهية والتعذيبات الاخروية ليست من باب الانتقام من
فاعل يحدث فيه انفعال غضبي ينتقم لاجل التشفي والتخلص عن حرقة الغضب وشدة التلهب
بل النفس الشقية العاصية انما هي حمالة الحطب يعني انها اسوء افعالها وردائة خلالها
كمن به مرض ادت نهمته الى الحال الشديدة والاوجاع والالام على سبيل اللزوم و
لا المنتقم خارجي فكيف يحصل الاسباب والمقدمات لشيء ولا يحصل ثمراتها وتبعاتها التي هي من
عوارضها ولوازمها والجميع معلومة لله تعالى قبل وجودها ومعه وبعده من غير تغير في ذاته ولا
في صفاته بل باعتبار تجدد الاشياء وتعاقبها في مرتبة حضورها وشهودها التجدد الذي
هو اخيرة مراتب علمه تعالى بالاشياء التي هي عين الاشياء فقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين وامثالها معناه نعلمهم موصوفين بهذه الصفة بحيث يترتب عليهم الجزاء
واما قبل ذلك الابتلاء فانه علمهم مستعدين للجهاد والصبر صائرين اليهما بعد حين
فان ذهبت وقلت اذا كانت الاسباب والمقدمات وبالجملة الفضائل والرذائل والطاعات والمعاصي
والخيرات والشرور وكلها مقدرة مكتوبة علينا قبل صدورها منا مجبورة فينا مربوطة
باوقاتها فما بالنا لا نتساوى في الفضيلة والنقص ولا نتعادل في الخيرات والشرور ولم

مضبوط

لا نتشارك في الطاعات والمعاصي ولا نتماثل وكيف يحترز عما يجب الاحتراز عنها فتنجو من وبالها
وتبعاتها وباي شيء يتفضل السعيد على الشقي وقد تساويا فيما قدر لهما واين عدل الله
فينا وقد قال تعالى وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فمجيبك
بجدك انبل ما قال الشاعر هوى على بصري ما شق منظره فانما يقظات العين احلام
فاصبر واسمع ما يشفيك من غليلك ويكفيك في ازالة ريبك واعلم ان الاعيان والماهيات
متنوعة والصفات والاستعدادات متفننة والارواح الانسية بحسب الفطرة الاولى
مختلفة في الصفاء والكدورة والضعف والقوة مترتبة في درجات القرب والبعد من الله
والمواد السفلية بازائها بحسب الخلقة متباعدة في اللطافة والكثافة ومزاجاتها
متباينة في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي فقابليتها لما يتعلق بها من الارواح متفاوتة
وقد قدر بازاء كل روح ما يناسبه من المواد بحسب الفيض الاقدس فحصل من مجموعها
استعدادات مناسبة لبعض العلوم والاخلاق والصفات والكمالات موافق لبعض الاعمال
والصناعات دون بعض على ما قدر له في العناية الاولى والقضاء السابق كما قال عم الناس
معادن كمعادن الذهب والفضة وتفاوت العقول والادراكات والاشواق
والارادات بحسب اختلاف الطبائع والغرائز فيسرع بعضهم بطبعه الى ما ينفر عنه الاخر
يستحسن احدهم بهداه ما يستقبحه الثاني والعناية الالهية تقتضي نظام الوجود على
احسن ما يمكن ويتصور على ان الموجودات مظاهر لصفات العليا ومجالي لاسمائه
الحسنى وهي متخالفة في المفهوم متباعدة في المعنى مع احدية ذاته الحقة وبساطة حقيقته

المقدسة فكل واحد من الممكنات مبدؤه ومعاده الى اسم من الاسماء الالهية محكوم
بحكم ملائم لما يتوجه اليه مناسب لما يبتدئ منه وكل ميسر لما خلق له سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص كيف ولو تساوت الاشياء في الاستعدادات لفات
الحسن في ترتيب النظام وارتفع الصلاح عن العالم ولبقوا كلهم طبقة واحدة على حالة واحدة في مرتبة
لا يتخطى امورهم ولبقيت في كتم العدم المراتب الباقية مع امكان وجودها فكان حيفا عليها
لا عدلا وقسطا وبقي الاحتياج اليها في العالم فقدها فالعدل هو تسوية المواد والاسباب
بحسب الصور والارواح وتعديل الامزجة بحسب الانواع وتوزيعها على الاصناف والاشخاص و
الافراد من الاجناس لاما يناسبها من الامور والاشغال فمن اساء عمله واخطأ في عقائده
فانما ظلم نفسه بظلمة جوهره وكثافة طبعه وقصور استعداده وكان اهلا للشقاوة في معاده
ومبادئ على السالك مهلا فيداك اوكتا وفوك نفخ والجزاء الوفاق فخلصني الا من
رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين واختلاف
الغرائز والشمائل لاختلاف الاشكال والطبائع واما انه كيف السبيل الى الاحتراز عما يجب
الاحتراز عنه فان شريف النفس نجيب الجوهر طيب الاصل قلما يهم بشيء خسيس مما
ليس من فطرته ولم يقدر له من الفواحش والرذائل لعلمه المنافاة واذا هم نادرا لغلبة صفة
من صفات نفسه وقواه واستيلاء هواه وهيجان شهوة او غضب بامر قبيح يزجره زاجر
ناجر من عقله وهداه ويتاب عنه قبل صدور الفعل وامضاء الهم النفساني لعقله
ونقواه من عزمه على الفعل كما قال تعالى في يوسف ع ولقد همت به وهم بها لولا ان راى

بوهادية فان الهمّ المنسوب الى يوسف الصدّيق على نفسه بعد الوقف عليها والانفصال
عن لولا ان رءى برهان ربّه ليس بمعنى العزم بل بمجرد الميل النفساني من غير طلب واستدعاء واما من كان
دون ذلك في صفاء الفطرة والاستعداد فلا يخرج بزاجر من الشرع والسياسة
والناصح والاديب لخسّة نفسه وخبث جوهره ودناءة طبعه وكل يفعل الا ما يفعله بطبعه
ويحبّه ويستحسن وان كان الاخر يعلم انّ ضدّه اجود واحسن لخسّة الزنجي
ولذا مع قبحه دون الغلام التركي مع علمه بحسنه والحاصل ان النفوس مراتبها خارجة
في الاخر وطبقات متفاوتة متفاضلة يكون في كل منها نصيب من الاخلاق بل الجميع
ويكون النجاة ومقابلها بحسب الغلبة لصفات الخير على صفات الشر او بالعكس في
فاعظم السعادات متعلق لاجود الاستعدادات واكمل الكمالات لاشرف الادوار
الذي هو القطب الحقيقي والحقيقة المحمدية صلعم وهو القطب المطلق لا القطب الاضافي
بحسب كل وقت وزمان كسائر الانبياء سابقا وسائر الاولياء لاحقا سيّما
اولاده المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين كما قال الله تعالى تلك الرسل فضّلنا بعضهم
على بعض الى قوله ورفع بعضهم درجات وقوله ذرية بعضها من بعض في المرتبة العظمى
في الاستعداد والسعادة الكبرى في المعاد المعبّر عنهما باعلى علّيّين وكلما قصر الاستعداد
نقصت السعادة وقصر الحرمان بينها وبين الشقاوة القصوى المعبّر عنهما باسفل سافلين
فلكل صفو كدر ولكل صاف عكر ويقابل كل نور ظلمة وبازاء كل حسن قبح والسعادة
قسمان دنيوية واخروية والدنيوية قسمان بدنية كالصحة والسلامة ووفور القوة

والشهامة

والشهامة وخارجية ككثرة اسباب المعاش وحصول ما يحتاج اليه من المال والاخروية
ايضا قسمان علمية كالمعارف والحقائق وعملية كالطاعات والاولى جنة المقربين والثانية
جنة اصحاب اليمين وكما ان الحسن والجمال من عوارض القسم الاول من الدنيوية فالفضائل
والاخلاق الجميلة من عوارض القسم الاول من الاخروية ويتعدد اقسام الشقاوة بازائها
قيل لامير المؤمنين عم صف العالم فوصفه فقيل صف الجاهل قال قد فعلت فالسعادة والشقاوة
بحسب العلم والجهل في ابتداء الازل وابد الخلد باقيان دائما سرمدا وبحسب الاعمال الحسنة والسيئة
مما يترتب عليها المكافاة والمجازاة وينقطع بحسبها المثوبات والعقوبات كقوله تعالى جزاء
بما كانوا يكسبون ولا يكون هذه الشقاوة مخلدة الا ما شاء الله وقد يترك بعضها مع بعض
الآيات اكثر السيئات واكبرها ينبع الجهل واغلب الحسنات واعظمها ينبع العلم اللهم اجعلنا من
السعداء المقبولين ولا تجعلنا من الاشقياء المردودين ولقد شبعنا في الكلام الكثرة بحيث الناس
في هذا المقام وقد لخصنا اكثر ما نقلنا من كتب الكرام وقد بقي جنايات الخفايا بها يتم المرام
تركنا في سلسلة مخافة شنعة اللئام الذين ارادوا ان يروجوا الاكسير الفاسد بعلم الكلام الموضوع
لحراسة عقايد العوام من افساد المجادلين والخصام وقطاع طريق النجاة والاسلام وقد ذكرنا
كثيرا من المكاشفات المذكورة المتعلقة بهذا المقصد في كتبنا ورسائلنا سيما ما يتعلق بتعذيب
الجاهلين والكافرين مؤبدا وبقائهم في الجحيم مخلدا وفيما ذكرناه كفاية لمن يتيسر له ولا يحتج
منه لمن تعسر عليه فليرجع من اراد الوقوف والاطلاع اليه وبالله العياذ من التقصير وبيده
تيسير كل عسير قوله عز وجل الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله

الجاحدين

هو الغني الحميد قرء نافع وابن عامر ان الله الغني وهو في مصحف اهل المدينة والشام كذلك والباقون
باثبات هو لوجوده في مصاحفهم والضمير ينبغي ان يكون فصلا لا مبتدء لان حذف الفصل
اسهل اذ لا موضع له من الاعراب بخلاف المبتدء الا ترى انه قد يحذف فلا يخل بالمعنى وقوي
بالبخل وقوله الذين بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون وفيه دلالة على ان
في الفرح المطغي متكبر بما اوتي فخور على الناس واذا رزق وشاهد مالا وحظا من الدنيا
فلا يبتهاجهم به والتذاذهم منه وعزته لديهم وعظمه في اعينهم لاجل قصور عقلهم ونقص
فطرتهم وخلل جوهرهم يذودونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم ذلك حتى يامروا
الناس بالبخل ويحملونهم عليه ويرغبونهم في الامساك ويزينونه لهم وذلك كله من نتائج
فرحهم به وبطرهم عند اصابته والفرح بالحظوظ الدنية الدنياوية من لوازم قصور الذات
وخسة الجوهر وقلة العقل حيث لم يتنبه بدثورها وفنائها ولما كان الابتهاج بمتاع
حيوة الدنيا والبخل عن اداء الحقوق الواجبة وغير ذلك من ذمائم الاخلاق ناشئة
عن التوجه الى الجهة السافلة المستلزم للاعراض عن الحق والتولي عن قبول اوامره تعالى
ونواهيه كالبخل اشار الى انه غني عن العباد وانفاقهم محمود في ذاته لا ينفع في كمال ذاته
ووجوب وجوده الاعراض عن شكره مكافاته ان في قوله هو الغني من التهديد ما لا يخفى
للاشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة تعود الى النفس فاذا فات عنه ما هو المصلح الذاتية
المزكية عن ذمائم الاخلاق كالبخل وحب الدنيا الذي هو راس كل خطيئة كانت على الشقاوة
وليس في بخل العبد وامساكه ضرر على الله تعالى بل الامر بالانفاق والتاكيد فيه انما هو من الله

المنفق

لغاية رحمته

لغاية رحمته على عباده حيث هداهم طريق التخلص عن عذاب الاخلاق الذميمة في الدنيا
والاخرة مع كونه غنيا عن العالمين فكيف عن العبد وانفاقه وقد بالغ في الحث على الانفاق
حتى طلب الصدقات من عباده بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال تعالى ويأخذ الصدقات وقد
طائفة من الجهلة لعدم تطبيق الآيات في لوان ان الله غني عن انفاقنا وغني عن عباده يستقرض منا في
معنى قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا ولو شاء اطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة لنا الى
اموالنا اليهم كما قال الله تعالى حكاية عن الكفار بقوله واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله
قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقال تعالى اخبارا عنهم لو شاء الله
ما اشركنا ولا اباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان
من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل كم ادم [illegible]
[illegible] ورب تال القرآن والقرآن يلعنه ورب رجل فقيه يتعبد يكون
فقهه وتعبده سببا لهلاكه ورب جاهل مذنب يكون تحسره وحزنه على قصوره وعصيانه
سببا لنجاته يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا انهم سيحشرون لاجل المساكين
او لاجل الله تحيرت عقولهم وضلت اقدامهم فقالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا
في اموالنا انفقنا او امسكنا ولم يعلموا ان المسكين لاخذ المالك بل يزيل او يقلل حب البخل و
حب الدنيا من المنفق فانه مهلك للمالك فهو كالحجام يستخرج الدم منه ليخرج العلة
المهلكة من المنفق ولما كانت الصدقة مطهرة للباطن ومزكاة لها عن خبائث الصفات
غسالة لذنوبهم لان بالمال تمكن الانسان من المعاصي امتنع رسول الله صلعم من اخذها واتقى

انعامهم

عنها كانوع يكسب الحيّ وسمّي اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها فهذا
هو القول الكلي والسبب العقلي في وجوب الانفاق وقد سبق ان الاعمال مؤثرات في القلب
والقلب بحسب تأثرها يستعد اما لقبول الهداية ونور المعرفة والالهام واما لقبول الغواية
وظلمة الجهل والوسواس ولا يبعد ان يكون قوله عز شأنه ليس لهم طعام الا من غسلين لا ياكله
الا الخاطئون اشارة الى عاقبة حال مانع الزكوة ومستحل الاوقاف الذين ياكلون حقوق الناس
من غير ستيهال ولا اضطرار قوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم
الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع
للناس وليعلم من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز آه اقسم سبحانه انه ارسل
الرسل المبعوثين منه وهم الملائكة والانبياء عليهم التقديس والتسليم بالحجج والمعجزات الباهرة
وانزل معهم الوحي والميزان والاول للهداية الى العلوم والتعليمات والثاني للارشاد الى الاعمال
والمعاملات ولهذا عقبه بقوله ليقوم الناس بالقسط اي في معاملتهم بالعدل روي ان جبرئيل نزل
بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وعن ابن زيد والجبائي ومقاتل بن سليمان
وانزلنا معهم من السماء الميزان ذا الكفتين يوزن به وفيه ستر وعن قتادة ومقاتل بن حيان
معناه وانزلنا صفة الميزان اي امرنا الناس بالعدل كقوله عز شأنه الله الذي انزل الكتاب
والميزان وعن انزلنا الحديد الذي يتخذ منه الآلات الحروب للنسب عن بيضة الاسلام
ولباس اهل الفساد ومنفعة الناس اذ ما من صنعة ينتفع به الناس دينا ودنيا
الا والحديد آلتها كالكتابة والزراعة وغيرهما وعن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان

الله عز وجل

بالحجج

معناه

الله عز وجل انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح ومعنى الانزال عند
اهل المعنى الانشاء منها لان الحوادث الكونية انما يخلق من الله تعالى بتوسط الاسباب الفاعلة
السماوية والمواد القابلة الارضية فمعنى قوله انزلنا الحديد انشأناه واحدثناه كقوله وانزل
لكم من الانعام ثمانية ازواج وعلى هذا المعنى ايضا يحمل امثال قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء فاي
السموات ليست حياضا وغدرانا للمياه ولا اصطبلا للدواب وعلى شبه هذا ذهب من قال
معناه امرنا بالحديد وقال قطرب معنى انزلنا هيهنا هيأنا من النزل وهو ما يهيأ للضيف
اي انعمنا بالحديد وهيأناه لكم وقيل نزل آدم عم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد
السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي معه المر والمسحاة وقوله وليعلم
من ينصره ورسله معطوف على قوله ليقوم الناس بالقسط اي ليعاملوا بالعدل وليعلم الله
نصرة من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح ويحتمل ان يكون
معطوفا على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا واللام صلة لمحذوف اي انزله
ليعلم الله وقوله بالغيب حال المستكن في ينصره اي ينصره ورسله غائبا عنهم بحجة الايمان
الواقع بالنظر والاستدلال من غير مشاهدة حسية كما قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه
ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز منيع لا يفتقر الى نصرة وانما كلفهم الجهاد
لينتفعوا به في العاجل ويستوجبوا الثواب بامتثال الامر به في الآجل ويحوزوا به الرحمة
في الدنيا والمغفرة في الآخرة ثم ان هذه الآية كنظائرها مشتملة على اشارات الى مقاصد
نفيسة من علم المبدأ والمعاد وتنبيهات على فوائد شريفة من معرفة سلوك طريق الآخرة واخذ الزاد

وينبغي التنبيه عليها الاول الاشارة الى كيفية ارسال الرسل وانزال الكتب وبيانه ان
سعادة الانسان منوطة بامرين احدهما الاطلاع على الحقائق والمعقولات بالعلوم الكلية
وثانيهما الاتصاف بالصفات المحسنات والتنزه عن القيود والعلائق السفليات بالاعمال العلمية
وهذه الكمالات مما يخلو الانسان عنها اول الحدوث لكونه ضعيف الخلقة كما اشار اليه بقوله وخلق
الانسان ضعيفا بل فائضة عليه من الله بتوسط الملائكة العلوية وليس كل واحد
من الناس مما يتيسر له التفطن بالكمالات والاتصال بعالم العلويات الا من ايد بروح قدسي
يتصل بفيض علوي ويعلم الاشياء بالهام غيبي ومدد سماوي وهذا الانسان هو النبي او
الولي وما يقبله بحسب صفاء باطنه واشراق روحه عن الملك الملقي اليه المعارف هو الوحي للانبياء
او الالهام للاولياء وستعلم الفرق بينهما فلا بد لهداية الخلق وارشادهم الى طريق
النجاة والوصالهم الى المعاد من وجود متوسط بينهم وبين الله يأخذ منه العلوم والكمالات
من غير تعليم بشري ويوصل اليهم ويعلمهم كيف لو اخذ كل انسان علمه من انسان آخر من
غير ان ينتهي الى الوحي والالهام لادى ذلك الى عدم النهاية فلا بد من الانتهاء الى من
يأخذ العلوم والكمالات من معدن اللاهوت بلا تعلم او تقليد لا من هو الى النبي يأخذ
العلوم من الملك الموحي اليه على سبيل التقليد فيهما ان العلم التقليدي ليس علما في الحقيقة
اذ العلم هو اليقيني وهو لا يحصل الا مع الظفر بالمبادي والاسباب بسبب اتصال النفس القدسية
بالملكة واخذها العلوم كان العقل المنطبع لولا احتجابه بالبدن وقواه وتعلقه بالدنيا واخلاده
الى الارض يتصل بالمبادي وهو المسمى بروح القدس المعلم للانبياء وجبرئيل على لغة الشريعة فاذا تعلقت

به تتلألأت

به تتلألأت فيها النقوش العلمية والصفات الكمالية التي فيهما اذ لا مباينة بين الجوهر المادة
ولا منع ولا تغير ولا بخل في الاجادة والافاضة لان هذه الاشياء من خواص عالم الاجسام
لتضايقها وتمانعها فلذلك الارتفاع عن ذلك يطالع المغيبات ومن جرب من نفسه
صحة منامات فالنوم انما هو انحباس الروح عن الظاهر في الباطن لا يستبعد من ان
يكون نفس شديدة الارتفاع عن هذا العالم قوية الاتصال بالملكوت الاعلى يتلقى منه المعارف الكلية
والحقائق العقلية كما يتلقى اكثر النفوس في بعض الاحايين من الملكوت الاوسط شيئا من الجبانات
الزمانية المادية ومنبع المكاشفات العقلية المعنوية عالم العقول والملائكة العقلية ومنبع
المكاشفات الصورية الحسية عالم النفوس الفلكية والملائكة العملية فالمكاشفات العقلية احد اجزاء
النبوة وهو جزء مشترك بين الانبياء والاولياء وللنبوة جزءان مختصان احدهما ان يكون
النبي مأمورا من السماء باصلاح النوع والثاني طاعة الهيولى العنصرية له بل طاعة هيولى الافلاك
بالشق والرتق لسيدهم وخاتمهم صلى الله عليه وآله بظهور المعجزات وخوارق العادات وتحقيق ذلك
ان الانسان ملتئم من اجزاء ثلثة من عوالم ثلثة هي مبادي ادراكات ثلثة العقل والتخيل والاحساس
فبكل قوة من هذه القوى تصرف في عالم من العوالم الثلثة الدنيا والآخرة وما فوقهما اي عالم الوحدة
وقد ثبت ان كل ادراك هو ضرب من الوجود فكمال كل واحد من هذه القوى يوجب التصرف
في عالم من تلك العوالم والنبي هو الانسان الذي يقوى فيه ويكمل ويستجمع هذه القوى
الثلث فبالقوة العاقلة يتصل بالقدسيين ويجاور المقربين وينخرط في سلكهم بل
يفوق عليهم عند اتصاله بالحق وفنائه عن الخلق وانه كان يجبل النبي كما اخبر عن نفسه بقوله

لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وبالقوة المصورة تشاهد الاشباح
المثالية والاشخاص الغيبية وتتلقى الاخبار الجزوية منهم ويطلع بهم على الحوادث الاتية
والماضية وبالقوة الحساسة المساوقة للقوة المحركة تتسلط على الافراد البشرية وتنفعل
عنه المواد وتخضع له القوى والطبايع الجرمانية تسلط العالي على السافل وخضوع السافل للعالي
فالدرجة الكاملة من الانسان بحسب نشأته الجامعة لجميع العوالم هي التي يكون الانسان بها معظما
عند الله مؤيدا منه بتاييد تام والهام غيبي وامداد ملكي واعانة فلكية فتكون بمجموعها في
القوى الثلث كلها المسمى بها خليفة الله ورسوله الى الخلق من قبله فعلم مما ذكرنا ان اصول المعجزات
والكرامات هي كمالات ثلثة تختص بقوى ثلث الخاصية الاولى كمال القوة العاقلة وهي ان تصفو بصفوة
عقل الانسان صفاء يكون شديد الشبه بالملائكة المقربين المسمى عند بعضهم بالعقول
الفعالة ليتصل بهم من غير كثير تفكر وتعمل حتى يفيض عليه العلوم اللدنية من غير توسط
تعليم بشري بل يكاد ادخل نفسه الناطقة اشرقت بنور ربها وزيت عقله المنفعل يضيء
لغاية الاستعداد بنور العقل الفعال الذي ليس هو بخارج عن كمال ذاته وان لم تمسسه
نار التعليم البشري لكن عند تميز ذاته القابلة للمعقول عن ذاته المقبولة العقول صادت
نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء والخاصية الثانية كمال القوة المصورة وهو كونها
في الشدة والقوة بحيث يشاهد في اليقظة عالم الغيب كما قد يشاهد النائم في نومه وذلك
لان قوى النفس وان كانت متجاذبة متنازعة كلما انجذبت النفس الى بعضها كالظواهر
انقطعت عن الاخرى كالبواطن اذا لم يكن ضعيفة منفعلة عن الجوانب بل كانت قوية

غير منفعلة

غير منفعلة عنها وسيعة للجانبين بحفظ الجميع فعند استعمال الحواس الظاهرة يشتغل بالباطنة
ويشاهد المغيبات في اليقظة فيدرك المعقولات والكليات والوسايط العقلية ويشاهد الصور
الحسية المنظومة على الوجه الجزئي في مقام هورقليا او في غيرها من العوالم المتوسطة البرزخية
الباطنية وليعلم ان العوالم متطابقة متحاكية فكل ما يدركه هذا الانسان من عالم العقل
يقع له حكاية منه في عالم الاشباح الباطنية فذات العقل المضيء للمعارف يتشبح له بصورة
حسنة متكلما بكلام فصيح مطابق لتلك المعاني مطابقة البدن للروح واللفظ للمعنى فيكون
الصورة الحاكية للجوهر الشريف العقلي هو الملك الذي يراه النبي صلى الله عليه وآله والولي اما النبي بما هو
نبي ففي طريق الحكاية والصورة واما الولي والنبي بما هو ولي ففي طريق التجرد الصرف
وهذا افضل اجزاء النبوة لكن النبي لكمال قوتيه البدنية والعقلية جميعا يدرك الملك الموحي
على الوجهين بخلاف غيره من الاولياء وكذا الحكم في المعارف التي تصل الى النبي وحيا وحكاية
والى الولي معنى فقط فالشخص الملقي للمعارف على الوجه المذكور هو الملك الموحي باذن الله
والكلام النازل منه في غاية الفصاحة هو كلام الله والوحي فعلم مما ذكر ان للملائكة ذوات
حقيقية امرية وذواتا بحسب القياس الينا من جهة القوة المصورة التي شأنها حكاية المعقولات
حكاية صحيحة طبيعية وكذا للقرآن حقيقة معقولة لا يطلع عليها احد الا من شاء الله
تعالى وحقيقة بالقياس الى مداركنا وحواسنا كما ان للحق تعالى ذاتا احدية لا يكتنهها احد
غيره وذاتا متصفة بالاضافات والاستواء على العرش فلينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه
في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه وفي ايصاله الى افهام خلقه وانظر كيف تجلب

لهم اياه في حروف واصوات هي صفات البشر ولولا استتار كنه جلال الكلام بكسوة الحروف
لما ثبت لسماع كلامه عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات
نوره ولولا ان ثبت الله تعالى موسى عليه السلام لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه
حيث صار دكا وقد عبر بعض العارفين عن هذا وقال ان كل حرف من كلام الله تعالى
في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه لما
اطاقوه حتى يأتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله تعالى لا بقوته وطاقته
ولكن الله طوقه ذلك واستعمله به فقوله كل حرف من كلام الله اعظم من كذا المراد منه ان كل
معنى من المعاني العقلية بحيث لا يمكن حمله بقوة جسمانية لما ثبت من ان المعنى العقلي لا يحله
المحل الجسماني والملائكة الذين لا يطيقون حمل المعاني العقلية الكلية هم الملائكة الجسمانيون
فحق ان المعاني القرآنية ما لم تتنزل بكسوة التعينات الجزئية والاصوات والالفاظ لا يحملها الطبايع
الجسمانية والمدارك الخيالية الا نطقيا والمراد باسرافيل اما الملك العقلاني المفيض لفلك
الشمس الذي هو بمنزلة قلب العالم كما مر او الملك النفساني المدبر لها وظاهر ان العقول المجردة
لا تحمل المعاني الكلية الا باضافة الله تعالى عليها الخاصية الثالثة قوة في النفس الانسانية
من جهة جزئها العملي وقوتها التحريكية ليؤثر في هيولى العالم بازالة صورة ونزعها عن المادة
بايجادها وكونها اياها فتؤثر في استحالة الهواء الى الغيم وحصول الامطار وحدوث
الطوفانات واستهلاك امة فجرت وعتت عن امر ربها ورسله واستشفاء المرضى واسقاء
العطشى وخضوع الحيوانات وهذا الفن غير مستحيل لما قد علمت ان الاجسام مطيعة للمجردات

بل هي ظلال لها

بل هي ظلال لها وعكوس منها فكلما ازدادت النفس تجردا وتشبها بالمبادي القصوى ازدادت
قوة وتأثيرا فيما دونها واذا صادفت ان مجرد التصور والتوهم يحدث هذه التغيرات
والانفعالات في هيولى البدن وليس ذلك لكون النفس ملاصقة بالبدن منطبقة فيه
بل لتعلق طبيعي وارتباط علي وعلاقة شوقية لها فلا تتعجب من نفس شريفة قوية تؤثر
في بدن الغير وفي هيولى العالم مثل هذا التأثير لاجل مزيد قوة شوقية واهتزاز
علوي ومحبة الهية لها وشفقة على خلق الله شفقة الوالد للولد والام لولدها
فيؤثر بنفسه في اصلاحها واهلاك ما يضرها والمجاهدة مع ما يفسدها وكما ان الخاصية
الثانية توجد بوجه غير مرضي ولا محمود في نفوس الاشرار فكذا هذه الخاصية توجد بشيء
منها في بعض النفوس القوية من غير تالّه ولا معرفة بل لشدة قوتها التأثيرية فقد يتعدى تأثيرها
في بدن آخر حتى يفسد الروح بالتوهم ويعبر عن هذا باصابة العين كما روي عنه صلى
الله عليه قال العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر وقال ايضا العين حق فاذا كان هذا النحو
من التأثير اي في بدن آخر جسمانية ممكنا في حق الاشرار فالمنك بنفوس عظيمة شديدة
القوة شديدة البراءة عن المواد كيف لا يتعدى تأثيرها عن بدنها وعالمها الصغير الى
غيره فيؤثر في هيولى العالم كما يؤثر في بدنه وعن مثل هذا يعبر بالكرامة والمعجزة عند
الناس والخاصية الاولى افضل اجزاء النبوة عند الخواص ولهذا كان اعظم معجزات
نبينا صلى الله واله القرآن وهو كما ترى مشتمل على المعارف الالهية وحقائق المبدأ
والمعاد وسلوك الطريق الى الله تعالى وبيان احوال الواصلين اليه تعالى على وجه عجز عن

دركها الا الاقلين من الراسخين من امته وغير الاخبار عن المغيبات والافعال الخارقة مع ان تفسيره ايضا من المعجزات العقلية التي كلت اذهان العقلاء عن دركها وخرست السن الفصحاء عن وصفها فهذا ما اوردناه من معنى ارسال الرسل وكيفية انزال الكتب

الفايدة الثانية الاشارة الى تكميل القوى النظرية وتعديل القوة العملية المستفادين من لفظ الكتاب والميزان والاقتران بينهما في الانزال والتعليل لهما بقيام الناس بالقسط وبيان ذلك ان الانسان هوية مجردة عن الاحياز والامكنة وهي لطيفة ملكوتية وكلمة روحانية مضافة الى الحق فايضة بامره من غير وساطة المواد واستعدادها الا بالعرض كما حققناه في موضعه وهي المشار اليه بقولنا انا وهي الجوهر الباقي منا الى يوم الحشر والجامع لمتفرقات الاجزاء البدنية وهو المحشور الى ربه عند القيمة بالبدن الاخروي المماثل لهذا البدن بل عينه لان هوية البدن وتشخصه انما هي بالنفس مدة بقاء الكون وان تبدلت الاعضاء بالاستحالات الحاصلة من الحرارات الغريزية الطبيعية والغريبة الداخلة والمطيفة بالبدن الى درجة وبالجملة حقيقة الانسان هي الذات المجردة وكل ذات انما يكون هلاكها في نقصها وضعفها وافتقارها ووجود ضدها وبقاؤها في كمالها وقوتها وصحتها ومجاورة اشباهها ولكل شيء كمال خاص فكمال القوة الشهوية نيل المشتهيات واللذايذ الحسية وكمال القوة الغضبية الظفر بالانتقام وكمال القوة الحسية ادراك المحسوسات وكمال القوة المتخيلة تصوير المتخيلات وكمال الواهمة الظنون والرجاء وللنفس الانسانية كمال يخصها ولها

قوتان

ولها قوتان احديهما عاقلة نظرية متوجهة الى الحق والاخرى عاملة محركة للبدن متوجهة اليه فكمال النفس بحسب قوتها النظرية معرفة حقايق الاشياء وكلياتها والمبادي القصوى في الوجود وبالجملة معرفة الحق الاول بما له من صفات جماله ونعوت جلاله وكيفية صدور افعاله عنه ورجوعها اليه ومعرفة كونه غاية الاشياء التي يتوجه اليه الموجودات في دوام بقائها كما يبتدئ منه في حدوثها الى غير ذلك من المعارف الحقة التي كانت مستعدة لها اولا عند كونها هيولانية الذات ثم يحصل لها حصولا بسبب العقل مأخوذا على نحو البرهان التام اليقيني ثم يصير بها شاهدة اياها فايضة من الحق الاول ثم متصلة بها منخرطة في سلكها مستغرقة في شهود مبدئها ومعادها بحيث لا يلتفت الى ذاتها العارفة بهم فضلا عن غيرها بل لا تضمحل في المعروف بذهولها عن كل شيء حتى ذاتها وعن عرفانها المبدع هاها فالمرتبة الاولى هو العلم والثاني هو العين والثالث هو الحق فهذا هو كمال النفس بحسب قوتها النظرية ولا شبهة في انه لا يحصل هذا الكمال الا بسبق معرفة الحقايق والعلم بالمعقولات ولا شبهة في ان كتاب الله مشتمل على جلها بل على كلها ولا شك في ان حصول المعارف والعلوم متوقف على وساطة الرسول صلى الله عليه واله وسلم وانما تحصل بانزال القرآن فقوله تعالى وانزلنا معهم الكتاب اشارة الى ما يتكمل به القوة النظرية واما كمال النفس بحسب القوة العملية الذي يكون الميزان اشارة اليه فبيانه ان النفس لما كانت في اول نشأتها ناقصة ضعيفة القوام بذاتها فتحتاج في استكمالها بالكمال الذي قد سبق ذكره الى مادة

بدنية تتفحص وتستفيد بواسطة الالة الجسمانية ومشاعرها الادراكية مبادي ادراكاتها التصورية والتصديقية من الاوليات الحاصلة من المشاركات والمباينات بين ما يقع الاحساس بها من المحسوسات الجسمانية فيكون النفس في اول الاستكمال محتاجة الى البدن وقواه على الوجه المذكور ولذا قيل من فقد حسا فقد علما ثم ان البدن لما كان من عناصر متضادة فله بحسب كل منها اضداد يجب الاحتراز عنها في مدة بقائها وهو في اول التكون قليل المقدار صغير الجرم كل بدن حاصل من سلالة النطفة بفضل يحصل منه وفضلة الشيء لا يمكن ان يكون مساوية له فلهذا الوجه ولوجوه اخر مذكورة في مقامه لا بد ان يكون في اول الحداثة قليل المقدار غير تام الخلقة ويكون نماءه بورود جسم الشبيه به قليلا قليلا في مدة حيوته وهو الغذاء وطلبه انما يكون بالشهوة والشهوة لا بد لها من ادراك سابق لان كل جسم لا يصلح للتغذي اذ ربما يكون سما قاتلا او مضرا فيحتاج الانسان الى قوة يدرك بها المصلح عن المفسد في الاجسام الغذائية ولا بد ان يكون مدركا بادراك جزئي من الحواس الظاهرة لاجل التمييز والباطنة لاجل الحفظ والذكر اذ ربما لا يكون في كل جسم ما يشاهد لكونه ملايما ومنافيا في كل وقت فثبت ان استكمال النفس متوقف على بقاء البدن مدة وبقاء البدن متوقف على قوى ثلث لا بد منها ثلثة قوة العلم للتمييز بين المصلح والمفسد وقوة الغضب لدفع المفسد وقوة الشهوة لجلب المنفعة ومباشرة النفس لهذه القوى الثلث من باب الضرورة كما علمت والا فكمالها في التجرد عنها ومن ابتلى بصحبة الاخساء من الاضداد فما دام اشتغاله بها

وعدم الخلاص

وعدم الخلاص عنها فالتوسط بين الاضداد بمنزلة الخلو عنها فان الماء الفاتر بمنزلة الخالي عن الحرارة والبرودة فكمال النفس عند اشتغالها بالقوى الثلث واستعمالها اياها توسطها بين الافراط والتفريط فيها لان لا ينفعل عنها ولا يطاوعها في مباديها بل يستعملها على هيئة الاستعلاء عليها لا الانقياد عنها وهي انما تحصل بالتوسط فيها اما قوة العلم اي استعمال الحواس الظاهرة والباطنة في امور الدنيا فتوسطها واعتدالها يسمى بالحكمة وهي معناها غير العلم العقلي بحقايق الاشياء بالقوة النظرية فانه كلما كان اوفر كان افضل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وافراط هذه القوة يسمى بالجربزة وهي المكر والخديعة وتفريطها وهي البلاهة والسفاهة وكلا الطرفين مذمومان واما قوة الغضب فتوسطها واعتدالها الشجاعة وهي فضيلة كالجود وكلا جانبيها وهما التهور والجبن رذيلتان كما ان كلا طرفي الجود كالبخل والاسراف مذموم لقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقوله تعالى الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما واما قوة الشهوة فتوسطها واعتدالها هو العفة وطرفاها وهما الشره والخمود رذيلتان ومن تركيب هذه القوى الثلث وامتزاج اوساطها الثلثة تحصل قوة اخرى لها توسط هي الفضيلة المعبر عنها بالعدالة ولها طرفان مذمومان فافراطها الظلم وتفريطها الانظلام فهذه الصفات الاربع اصول الفضايل العملية واطرافها الثمانية هي الرذايل ومجموعها حسن الخلق اذا صارت ملكة يتوسط بها خلاص الانسان من ذمايم

مادنها

الاخلاق الموجب لسخط البارى وغضب الخلاق والتعذيب بالاحتراق بالجحيم لاجل الانحراف عن العدالة المعبر عنها بالصراط المستقيم فخير الامور في هذا العالم اوسطها فكما ان نفس الطريق المستقيم ليست مقصودة بل جوازها يؤدي الى المقصود فكذلك حسن الخلق ليس كمالا بل الاتصاف به يوجب الخلاص من الجحيم واما الكمال الحقيقي والمقصود الاصلي هو معرفة الحق الاول وما يليه من الصفات الجمالية والافعال الالهية التي تكمل بها النفس ويقربها مشاهدة العين السليمة من الامراض الباطنية فالميزان الذي يقوم فيه الناس بالقسط ويعتدل به نفوسهم ويحسن خلقهم هو شارة الى مجامع الاخلاق الحسنة وقد روي عن النبي صلعم انه قال اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وقال صلعم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقيل ما الدين فقال الخلق الحسن وقال عليه السلام اللهم حسن خلقي كما حسنت خلقي وقال صلعم ايضا افضل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا واليه الاشارة في قوله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وكما ان للحسن الظاهر اركانا كالعين والانف والفم والخد ولا يوصف الظاهر بالحسن ما لم يحسن جميعها فكذلك للنفس التي هي باطن الانسان وجه الى الخلق ووجه الى الحق وموجبها الى الحق موجبة وحدتها وباطنها ووجهها الذي الى الخلق جهة تركيبها من الاخلاق وللاخلاق اركان واصول فلا يتم حسن جميعها حتى يحسن الخلق ولهذا كان في الادعية النبوية اللهم حسن خلقي لحسن الوجه العملي التدبيري واللهم ارنا الاشياء كما هي لحسن الوجه العلمي الشهودي

في تحقيق معنى الميزان

العلمي

والعدالة عبارة

والعدالة عبارة عن هيئة تحصل بها حسن وجه النفس وهي فضيلة متضمنة لجميع الفضائل الخلقية كما ان الصحة فضيلة جسمانية متضمنة لكمال سائر الفضائل الخلقية وتناسب جميع الهيئات البدنية والتخاطيط والتشكيلات الجسمانية وعبر عنها بالميزان لان الميزان معيار فيما يعرف به مقدار الشيء اذ يعبر بها نقد الاخلاق التي بها زنة جوهر الذات الانسانية عن زيفها واستعمال عن ميلها وحيفها وخلاصها عن غشها والموازين لا يجب ان تساوي في جميع الذات والهيئة بل في كونها ميزانا وانها مما يعرف به حال الشيء كمية او كيفية فان الاصطرلاب ميزان والمسطرة ميزان والعروض ميزان والنحو ميزان والمنطق ميزان لاشتراك جميعها في ما به يسمى الميزان ميزانا وان اختلف في الماهية لكن هذا الميزان الذي كلامنا فيه هو بعينه ما سيعود يوم القيمة بصورته المناسبة للنشاءة الاخرة فيعرف به كل واحد من الناس مقدار علمه وعمله عيارا صادقا ثم يحاسبون على اقوالهم وافعالهم وضمايرهم ونياتهم ما ابدوه او اخفوه ثم يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود بين منازل الاشقياء والسعداء احد من السيف وادق من الشعر فمن استوى عليه في الدنيا على الصراط المستقيم الذي هو صورة العدالة ومثاله في الاخرة وقد اشرنا الى ان فضيلة العدالة ليست فضيلة حقيقية للانسان وخيرا حقيقيا بل هو طريق مستقيم يؤدي الى الكمال والخير الحقيقيين فلا بد من جوازها حتى تصل النفس الى الكعبة المقصود وتتنعم بالنعيم ومجاورة المعبود هذا ما اوردناه من بيان معنى الميزان الذي يقوم به الناس بالقسط الفائدة الثالثة الاشارة الى ترتيب سلسلة الموجودات وتقدم

حسن الظاهري

بعضها على بعض وتاخر بعضها عن بعض بحسب الشرف والكمال والحاجة والافتقار في النزول منه والصعود اليه وبيان ذلك ان اوائل الموجودات الصادرة عنه تعالى هي التي صدرت بمحض الجود والخير من غير استعداد وتركيب وهي التي تسمى بعالم الامر لوجودها عنه بمجرد امره من غير توسط وجود قابل واستدعاء افتقار ثابت وتضرع بلسان استعداد لوجودها وصدورها عنه تعالى على هذا الوجه وهي عقول مفارقة هي الملائكة المقربون وعالمها عالم القضاء ثم نفوس مجردة هي الملائكة المدبرون وعالمها عالم التقدير والتدبير ثم اجرام سماوية وعالمها عالم الاعمال والحركات التي تنشأ منها العناصر الاربعة بتوسط هيولاها المشتركة وهي نهاية تدبير الامر المشار اليه في قوله يدبر الامر من السماء الى الارض واما الموجودات الفائضة عنه بتوسط المواد والقوابل والاستعداد فهي المركبات على هذا الوجه المعادن ثم النبات ثم الحيوان ثم اول درجة الانسان وهو الذي في اوائل العقول ثم مرتبة اهل الايمان ثم مرتبة العلماء ثم الاولياء والانبياء وعندنا الوصول الى رتبة الانبياء وقع الوصول الى الحق فرجع سلسلة الموجودات في الصعود الى الحق تعالى كما ابتدأت عنه في النزول وحينئذ تم الدائرة وهي بحسب النقصان والخسة الى حيث نزلت منه تعالى اولا فهو تعالى مبدأ الاشياء وغايتها وهو الاول والاخر فاذا تمهد هذا فقوله لقد ارسلنا رسلنا اشارة الى عالم الملكوت المتوسط بينه وبين خلقه وهو يشتمل على الملائكة والانبياء ولا يتم النبوة الا بالملك النفساني الذي يخبر بالحوادث الاتية والماضية ولا ينصلح اخباره للرسول الا بعد استعلامه من الملك العقلي المتوسط بينه وبين الله الذي يستفاد منه حقائق الاعتقادات

القضاء

الكلية فكان

الكلية فكان الانبياء يصلحون الخلائق وكذلك الملائكة يصلحون بعضهم بعضا الى ان ينتهي الى الحضرة الربوبية التي هي منبع كل قوام ومطلع كل حسن ونظام وقوله انزلنا معهم الكتاب اشارة الى الملك النازل على قلوب الانبياء بالوحي وحكم الانبياء عندنا انهم بعالم الغيب ومشاهدتهم الملائكة هو بعينه حكم الملائكة في منزلتهم ورتبتهم في الوجود وان صدق عليهم حين نزولهم عن عالم القدس بسمهم الى درجة انهم الخلق قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم ثم ان الارسال والانزال امران نسبيان يدلان على المنزل والمهبط بالالتزام ومهبط نزول الرسل والملائكة عالم الاجسام والهبوط لا بد فيه من المرور على المراتب المتوسطة بين عالم القدس وعالم الجرم الارضي الذي هو اسفل السافلين فقد وقعت الاشارة الى المراتب الكلية لسلسلة النزول اما الاشارة الى سلسلة الصعود فلفظ الميزان مما يحتمل ان يكون اشارة الى التعادل في العناصر الذي يقال له المزاج المشار اليه بقوله والسماء رفعها ووضع الميزان وهو الذي به تتهيأ المواد العنصرية لان يحصل منها المواليد الثلثة فان المانع عن قبول الحيوة والشرف من الله تعالى في الاجسام هي التضاد والافراط والتفريط في ميل والوجه وسعة اولا ترى ان الاجسام العلوية لخلوها عن التضاد في الكيفيات حية مطيعة لله تعالى في اوامره ونواهيه لا كارهة كالارضيات كما وقعت الاشارة في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها وقوله واوحى في كل سماء امرها فكلما اوغلت العناصر عند الامتزاج في الاعتدال والتوسط بين اطراف الاضداد الذي هو بمنزلة الخلو عنها استعد

ينبوع

لا فاضة كمال الاشرف وحيوة ارفع فاول ما يحصل لها ان التوسط والاعتدال هو ما يحصل
منه المعادن على مراتبه ثم النبات كذلك ثم الحيوان على انواعه ثم الانسان على طبقاته في الشرف
والبراءة عن الاضداد وقد تقرر في العلوم الالهية ان الطبيعة ما لم تستوف النوع الاخس
لم تتخط الى النوع الاشرف فقوله ليقوم الناس بالقسط اشارة الى وجه صورة الانسان
بحسب القسط والعدالة في كيفيات عناصر وكمياتها وهو المزاج المعتدل الانساني الذي هو اشرف
الامزجة المعبر عنه بالتسوية في قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وكون الميزان
اشارة الى الاعتدال في الكيفيات والصفات الجسمية لاجزاء البدن لا ينافي كونه اشارة
الى العدالة في الاخلاق النفسانية اما علمت ان وجه فهم القران لا ينحصر في واحد فان
للقران ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا كما ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم بل هذا الوجه يلائم ذلك الوجه لمطابقة
نطاق الظاهر للباطن اذ العوالم متطابقة والنشآت متحاذية فالاعتدال في المزاج يستدعي
ان تكون الصورة الانسانية الفائضة عليه عدلا في الصفات المعنوية واصول الاخلاق النفسانية
التي هي بمنزلة اصول الكيفيات الجسمانية وقوله وانزلنا الحديد اشارة الى درجة المعادن وهي
درجة النازلة من الحيوان كما ان الدرجة الانسانية من الحيوان المشار اليها بقوله ليقوم الناس
بالقسط هي الدرجة العالية منها وقوله ومنافع للناس يومي الى درجة النبات لاحتياجه
الى الحرث والغرس على انه من الاشارة الى الجماد والى نوع من الحيوان وهما الطرفان النازل والعالي
من المركبات لزمت الاشارة الى النبات بالالتزام على ما مر من توقف النوع الاشرف على النوع الاخس
في سلوك الطبيعة درجات التصعيد الى الحق كما يتوقف الاخس على الاشرف في النزول عنه والى

الحيوان بالتضمن

الحيوان بالتضمن لان الحيوان بما هو حيوان جزء من الانسان ودلالة الشيء على جزئه بالتضمن واما قوله
وليعلم الله من ينصره اشارة الى درجة اهل الايمان والمعرفة لانهم ينصرون دين الله بالمجاهدة
مع الكفار وهم متفاوتون في الفضيلة و افضلهم العلماء الذين ينصرون دينه تعالى بالاجتهاد
والاستنباط بالفكر الصحيح وقوله ورسله اشارة الى درجة الانبياء والاولياء الذين بهم تنتهي
ارتقاء المكونات في توجههم شطر كعبة الحق ويكمل الله بهم الحق الحقيق الذي لا يشوبه شوب قصور
وزوال وهو الله العزيز المتعال القوي الشديد في الآثار والافعال ولذلك وقع الانتهاء
باسم ذاته تعالى صريحا مع ذكر صفة كمالية اضافية واخرى جلالية سلبية كما وقع الابتداء به
ضمنا وكذا وقع الالتفات من التكلم الى الغيبة لان السلسلة الاولى شعورية والاخرى اشعارية
فابتداءات الاولى انما تناسبها التكلم والشهود دون الاشعار وانتهاءات الثانية بما يناسبها من
الاشعار ولان اهل السلسلة الاولى اصحاب الجبر والاستغراق في الشهود والفناء والهيمان
فلا التفات لهم الى ذواتهم ولا ارادة لهم سوى ارادة الله واهل السلسلة الثانية اصحاب الاختيار
والارادة المنفصلة عن ارادة الله في الوجود الوهمي والخيالي فيهم وهو مناط زعمهم ان لهم
وجودا مستقلا بالذات في الاظهار والتكلم يناسب الاولى والابراز والغيبة يناسب الثانية
الفائدة الرابعة الاشارة الى علمه بالجزئيات الزمانية على الوجه الجزئي وهو الذي حار فيه افهام الحكماء
والفضلاء حيث ذكروا ان العلم بالشيء على سبيل التجدد والتعاقب يوجب التجسم والتغير
في ذات العالم مع ان القران مشحون بذكر ما يدل على تجدده اختبارا وابتلاء لهم ويشاف
بغيره مما شاء العلم كقوله تعالى في هذه الاية ليعلم الله من ينصره وكقوله وليبلونكم ايكم احسن عملا

وبقاء لينه عند الطرق حتى يتخذ منه الآلات الصناعية على اتقان وجودة ثم رجوعه الى جودته الاصلي
عند التبرد ليبقى التشكل المقصودة منه في كل صنعة فانظر الى رحمة الله كيف هدى الناس الى
تحصيله من الجبال الكبريتية ثم الى كيفية تليينه بالنار واتخاذ الآلات الصنائعية منها الجالبة للنفعة ورفع
المضرة الحاصلة عند استعمالها بدلا عمية العمال الشهوية والغضبية المنبعثين عن استعمال
النفس المدبرة اياها باشارة العقل المكمل الهادي اليها بالهام الحق وهو تعالى الاول في الابتداء
والآخر في النهاية ومنه الافاضة والجود في المبدء والغاية قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا
وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون عطف
تشبيها على ما تقدم من ذكر المرسلين مجملا بذكر نوح وابراهيم على نبينا وعليهما السلام مفصلا
وانما خصهما بالذكر وذكر قصتهما لفضلهما وكونهما ابوي الانبياء كما يدل عليه قوله وجعلنا
في ذريتهما النبوة والكتاب فان الانبياء كلهم من نسلهما وذريتهما عن ابن عباس الخط
بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة ثم اخبر تعالى عن حال الذرية بحسب النشاة الاخروية فقال فمنهم
اى فمن الذرية او من المرسل اليهم لدلالة ذكر الارسال عليه مهتد الى طريق الحق ومنهم
فاسق عن امر ربه والغلبة للفساق منهم اعلم ان لوجود كل من الصنفين مصلحة
وخير يخصه ويليق به لئلا يلزم ان يكون الخير قليلا والشر كثيرا في اشرف انواع الكائنات
فليس لاحد ان يقول الكثر افراد الانسان يغلب عليهم الشر على ما دلت عليه الاية ولان مناط
تحصيل السعادة والشقاوة للنفوس الادمية انما هو استعمال قويها الثلثة الادراكية
والشهوية والغضبية اذ هي مبادي الافاعيل والانفعالات ومن تكون الافاعيل

وبقاء لينه

والانفعالات لا تحصل الا خلاق وملكات هي المنجية والشفاء والشقاوة في العاقبة والآجلة والغالب على اكثر
الناس على ما نراه هي اضداد الاخلاق الحسنة من الجهل وغلبة الشهوة واستيلاء حب الدنيا
وميل الرياسة والبخل والحسد والكبر والرياء واشباهها وما يترتب عليها وينبعث عنها
من الفسوق والمعاصي فيلزم كونهم من الاشقياء المردودين عن رحمة الله على ان رحمته وسعت كل شيء
فلا معنى لكونه تعالى محض الرحمة التي لا جهة شرية فيها فما معنى قول الرياضيين من الحكماء ان الخير مقتضى بالذات والشر مقتضى بالعرض
لانا نقول لا بد ان يعلم ان الخلق الذي لا نجاة معه في الآخرة هي صفة واحدة للنفس من حيث جزئها العلمي
وهي ضرب من الجهل وهو ما يكون مركبا مع الاعتقاد الراسخ المضاد للحق واما من حيث جزئها العملي
فليس كل رذيلة توجب الحرمان عن الغفران بل الرذائل التي رانت على القلوب وضربتها فاستحالت جوهرها المرآة
الى ان احاطت بها الظلمة ظاهرا وباطنا وغاصت فيها وافسدتها سطحها وعمقها وكون اكثر الناس
فساقا ذوات صفات ذميمة لا يستلزم كونهم مطرودين من رحمة ربهم بل كان الجهل المركب
الراسخ المضاد لليقين الذي يوجب الشقاوة الابدية نادرا كوجود اليقين الذي يوجب خيرا كثيرا او
قسطا وافرا من السعادة والجهل البسيط الذي لا يضر في المعاد عام فاش في هذا النوع فكذلك
حال القوتين الاخريين فالبالغ في فضيلة العقل والخلق وان كان نادرا كالشديد في النزول
في هذا النوع فيهما لكن المتوسطين على مراتبهم اغلب واوفر واذا انضم اليهم الطرف الاعلى كان
لاهل النجاة غلبة عظيمة وما اشبه حال الارواح في انقسامها هذه الاقسام بحسب السعادة والشقاوة
الاخرويتين بحال الابدان في انقسامها بحسب السعادة والشقاوة الدنيويتين الى البالغ في
الجمال والصحة والمتوسط فيهما وهو الاكثر والقبيح السقيم وهو اقل من عدد المتوسط فضلا عن المجموع
القسمين فاذن

القسمين فاذن قد ثبت ان السعيد اكثر من الشقي فالحكم بان رحمة الله تعالى لا تنال الا قليلا
من عباده غير صحيح وقد قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون واما خلود اهل
الكفر في النار ففيه سر لا ينكشف لاحد الا من يشاء من خلص عباده وهو العليم الحكيم قوله عز وجل
ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب
الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله
فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون قرء الحسن
الانجيل بفتح الهمزة والامر فيه هين لان الكلمة عجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب بخلاف
امر البرطيل والسكين فيمن رواهما بالفتح وقرئ رآفة على وزن فعالة والتقفية جعل الشيء
في اثر شيء على نهج الاستمرار ولهذا قيل لقواطع الشعر قواف اذا كانت تتبع البيت على
اثر بيت مستمرة في عزمه على منهاجه والرهبانية اصلها من الرهبة والخوف يوصف بها النصارى
لترهبهم بعد موت عيسى عم في الجبال فرارا من الفتنة في الدين لظهور الجبابرة على مؤمني ذلك
الزمان واخلاصا لانفسهم في عبادة الرب عند التفرد عن الخلق فهي الفعلة المنسوبة الى
الرهبان بالفتح وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم منسوبة
الى الرهبان جمع راهب كركبان جمع راكب وهي عبادة مخصوصة بالنصارى لقول النبي صلعم لا رهبانية
في الاسلام وقوله صلعم رهبانية امتي الحج والجهاد وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر اي ابتدعوا
رهبانية ابتدعوها ويجوز ان يكون معطوفة على ما قبلها والجملة بعدها صفة لها في محل النصب
والمعنى ثم اتبعنا بالارسال على آثار المذكورين كنوح وابراهيم ومن ارسلنا اليهم او من

من الرسل
عاصرهم برسل اخرين اي ابتعثنا رسولا بعد رسول وقفينا بها بالكل حتى انتهى الامر الى عيسى بن مريم
بعدهم فارسلنا رسولا واعطيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه من الحواريين واتباعهم الى الشام
والتعاطف بينهم رأفة ورحمة بان امرهم الله بها ورغبهم فيها او خلق في قلوبهم الرأفة والرحمة وألف
ملاحمهم على ذلك وانكار من قال لانهم تعرضوا لها وابتدعوا رهبانية لم يكتبها عليهم وهي خصلة من العبادة
يظهرونها من الرهبة اما في شعفة او توحش عن الخلق او تفرد عن الجماعة او غير ذلك من الاحوال التي
تعلق بنسك خاص وقيل ان التي ابتدعوها هي رفض النساء واتخاذ الصوامع عن قتادة وعلى
تقدير عطفها على ما قبلها يكون المعنى وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم
بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية الغير المكتوبة عليهم منا الا ابتغاء رضوان الله اي ليبتغوا
بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب والاستثناء منقطع اي ما فرضناها ولكنهم ابتدعوها طلبا لرضا
الله ويحتمل الاتصال بتضمين ما تعبدناهم بها حتى يكون مشتملا على نفي الايجاب والندب المستلزمين
لمطلق الرجحان والترغيب هذا وان كان محالا لقوله ابتدعوها لكن يوجه بان يكون معناه ولكنهم
ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها من قبل انفسهم ووافقها فما رعوها اي
الذين بعدهم ما رعوا جميعا الرهبانية والمذكورات من الرأفة والرحمة والرهبانية حق رعايتها وكان بعضهم دعاها
وبعضهم ضم اليها التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والرياء والكبر بجهالتهم ونحو هذه الاشياء
كما ان المنسوبين الى التصوف في هذه الازمنة والدورة الاسلامية بعضهم ما رعوا حقه من تصفية الباطن عن حب
الدنيا والانقطاع عن اهلها وذويها طلبا لمرضاة الله واكثرهم لم يراعوا حقه بل ضموا اليه السمعة والرياء
والتغني والسماع والاتخاذ شبكة لطلب الدنيا وصحبة الاماثل والمعطلين عن الفكر والسهر في الملكوت عن ذكرها الابرار
عند

عند جمع الخلائق فآتينا المؤمنين الذين منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يراعوها ولم يوفوا
بها قال الزجاج ان تقديره ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله هو اتباع ما امر به
كما قال وفيها وجه آخر في التفسير جاء انهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا اسرابا و
صوامع وابتدعوا ذلك فلما الزموا انفسهم ذلك التطوع ودخلوا عليه لزمهم تمامه كما ان الانسان
اذا جعل على نفسه صوما لم يفرض عليه لزمه ان يتمه قال وقوله فما رعوها حق رعايتها على ضربين احدهما
ان يكونوا قصروا فيما الزموه انفسهم والآخر وهو الاجود ان يكونوا حين بعث النبي صلعم فلم يؤمنوا به وكانوا
تاركين لطاعة الله فما رعوا تلك الرهبانية حق رعايتها ودليل ذلك قوله فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم
يعني الذين آمنوا بالنبي صلعم وكثير منهم فاسقون اي كافرون انتهى كلام الزجاج ويؤيده ما روي عن ابن مسعود
قال دخلت على رسول الله صلعم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثنتان
وهلك سائرهن فرقة قاتلوا الملوك على دين عيسى عم فقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة لموازاة الملوك
ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين
قال الله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال صلعم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق
رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون وفي هذه الآية حجة على عدم خلو الزمان عن نبي
حجة الله على خلقه اذ علم انه بهذا جرت سنة الله من لدن آدم ونوح وابراهيم وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم
ولن تجد لسنة الله تبديلا لكن النبوة قد ختمت برسولنا صلعم والولاية التي هي باطن النبوة باقية الى
يوم القيامة فلا بد في كل زمان بعد زمان الرسالة من وجود ولي يدل الله على الشهود الكشفي من غير تعلم ويكون عنده مأخذ
علوم العلماء والمجتهدين وله الرياسة العامة في امر الدين والدنيا وهو الحق للخلق بحسب الفطرة من قبل الله

مغموراً

سواء اطاعته الرعية اولا والناس اجابوه او انكروه وسواء كان هو ظاهرا مشهورا او مستترا
كاكثر الائمة الطاهرين صلوات الله عليهم وكانت النبوة التشريعية قد ختمت برسولنا صلى الله عليه وآله فالولاية
التي هي باطنها ختمت باخر اولاده المعصومين وهو الذي يواطي اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله ومعناه معناه وبحجته
انقمت البلاد ودونت العباد وبظهوره يملأ الله الارض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا
وفي حديث كميل بن زياد النخعي عن امير المؤمنين علي عليه السلام ما يدل على هذا المطلب وهو قوله بعد كلام
يا كميل مات خزان الاموال والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب
موجودة آه آه ان هيهنا واشار بيده الى صدره لعلما جما لو اصبت
له حملة بلى اصيب لقنا غير مأمون يستعمل آلة الدين في الدنيا ويستظهر بحجج الله على خلقه
وبنعمه على عباده او منقادا للحق لا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في قلبه باول عارض شبهة
الا لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذات سلس القياد للشهوات او مغرى بالجمع والادخار ليسا
من رعاة الدين في شيء اقرب شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى
لا يخلو الارض من قائم لله بحجة ظاهر مشهور او مستتر مغمور لئلا تبطل حجج الله وبيناته
واين اولئك اولئك والله الاقلون عددا الاعظمون خطرا بهم يحفظ الله حججه
وبيناته حتى يودعها نظرائهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقائق
الامور وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا
بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل
الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا الى رؤيتهم

انتهى الحديث

انتهى الحديث وفيه اشعار بامور الاول ان العالم الحقيقي له الولاية على الدين والآخرة فيه ظاهر الثاني
ان سلسلة العرفان والولاية المطلقة لا ينقطع ابدا والثالث ان عمارة العالم الارضي
ووجود افراد الانسان وسائر الحيوانات وغيرها من الكائنات انما يكون بوجود العالم الرباني وقد
يقام عليه البرهان في الحكمة المتعالية فيلزم منه الاعتراف بوجود امام حق لله في كل زمان الرابع
ان هذا القائم بحجة الله لا يجب ان يكون ظاهرا مشهورا كمولينا امير المؤمنين عليه السلام في ايام
خلافته الظاهرة بل ربما يكون خاملا مستورا كهو عليه السلام قبل ذلك الوقت وكاولاده الاحد
عشر عليهم السلام بعده سيما القائم المنتظر امامنا الهادي سلام الله عليه وعلى ابائه الطاهرين
في قولهم ذرية بعضها من بعض وفيما روى عن النبي صلى الله عليه وآله لا يزال امتي بخير ما وليهم اثنا عشر
خليفة كلهم من قريش الخامس ان من خواص اولياء الله وحججه ان يكون علومهم ومعارفهم
حاصلة بحدس تام والهام من الله تعالى من غير تعمل وكسب كما دل عليه قوله عليه السلام هجم بهم العلم على حقائق الامور
وباشروا روح اليقين اي اطلعهم الله على حقائق الموجودات وقذف في قلوبهم نورا من لدنه يريهم
الاشياء كما هي وهذه هي الحكمة الحقيقية التي من اوتيها فقد اوتي خيرا كثيرا السادس
انه قد علم شرف الحكمة الالهية ومنزلة حاملها حيث اشتاق نفسه الشريفة عليه السلام الى القائمين مع كونه
قادة الربانيين ومقدم السائرين الى الله بقوة الحكمة والعرفان وبه ينتهي سلسلة اكثر
اصحاب الطريقة والصوفية ويعتقد جمهورهم في التابعين والعرفاء الاخذ والرياضات البدنية وحلول الصوف
ولبس الخرقة اذ لا كمال فيه بعده وذلك لان الجنسية علة الضم والجنس يميل الى الجنس ولان
الطرق الى الله تعالى متعددة واذواق الكاملين مختلفة مع اشتراكهم في غلبة جانب التوحيد وغلبة العلم والفناء

قوله ص

والبقاء فلا يبعد ان يكون الاشتراك في جهة الكمال المطلق ومظهرية الذات الاحدية يوجب اصل المحبة
والاختلاف في بعض المظاهر الاسمائية والصفاتية وخفاء بعضها يوجب الشوق بجهة خفاء اسم
او صفة الى جهة ظهور اسم او صفة فان تجليات الحق بحسب الاسماء والصفات غير متناهية عددا
فكذا يختلف المظاهر والمجالي اختلافا غير متناه شخصا ومما يدل على وجود الامام الظاهر
في الاحكام في جميع الازمنة ما اتفقت روايته بين الخاص والعام من قوله صلى الله عليه وآله من مات ولم يعرف
امام زمانه مات ميتة جاهلية وقد اتفقت الامامية على ان الامام في زماننا هذا هو المهدي عليه السلام
الموعود ظهوره في آخر الزمان واستبعاد اهل السنة في وجوده وبقائه الى الآن في غاية
السقوط اذ الادلة الطبية والنجومية على امتناع بقاء الانسان بعد مائة وعشرين غير تامة
ومع ذلك منقوض بوجود الاعمار الطويلة للنبيين كما هو المشهور من آدم ونوح عليهما السلام وغيرهما
وببقاء دجال اللعين من الاعصار المتقدمة مدة طويلة من زمن الرسول صلى الله عليه وآله الى وقت خروج المهدي عليه السلام
ويسقط من ذلك تشنيعهم على الفرقة الامامية بان اي ثمرة في وجود امام لا يمكن التوصل
اليه واخذ المسائل الدينية منه فان مجرد المعرفة بامامته ووجوده والتصديق بوجوده وانه
خليفة الله في ارضه ثمرة ينتفع بها وليست الفائدة منحصرة في مشاهدته او الاخذ عنه الا ترى ان
من كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله وصدق بوجوده وبرسالته كان مؤمنا حقا وان لم يشاهده
كاويس القرني فكذا ههنا وقد روى جابر بن عبد الله الانصاري ان النبي صلى الله عليه وآله ذكر المهدي عليه السلام
فقال ذلك الذي يفتح الله على يده مشارق الارض ومغاربها يغيب عن اوليائه غيبة لا يثبت فيها
على القول بامامته الا من امتحن الله قلبه للايمان قال جابر فقلت يا رسول الله هل للشيعة انتفاع به في غيبته فقال عليه السلام اي

والذي بعثني

والذي بعثني بالحق انهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس
وان جللها السحاب والعجب انهم حملوا الامام في قوله عليه السلام على اهل الشوكة الظاهرة من ملوك الدنيا
كائنا من كان عالما او جاهلا عادلا او فاسقا فتشنيعهم على الامامية مقلوب عليهم باوجه بان اي
ثمرة تترتب على معرفة الجاهل الفاسق ليكون من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية واما رجوعهم
عن هذا الحمل لغاية سخافته الى ان المراد بالامام في ذلك الحديث هو الكتاب ففيه ان الامامية يلزمهم
بعض الاعلام منهم بقوله ان اضافة الى زمان ذلك الشخص تشعر بتبدل الائمة في الازمنة والقرآن
لا تبدل له بحسب تبدل الازمان فان المراد بمعرفة الكتاب اريد بها معرفة الفاظه او الاطلاع على
معانيه اشكل الامر على كثير من الناس حيث ان يكون موتهم ميتة جاهلية وان اريد مجرد التصديق
بوجوده فلا وجه للتشنيع علينا اذا قلنا بمثله اعلم انه ذكر الشيخ محيي الدين الاعرابي في الباب
الثلاثمائة والست والستين من كتاب الفتوحات المكية كلاما يدل على ان هذا العارف بالله
كان معتقدا بوجود المهدي عليه السلام وقد نقل بعض الاعلام من الكرام تمام هذا الكلام
في كتاب ولا بأس من اراد الاطلاع عليه فلينظر فيه ونبذ منه هذا وهو ان لله
خليفة يخرج من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله من ولد فاطمة عليها السلام يواطئ اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله
جده الحسين بن علي عليهما السلام يبايع بين الركن والمقام وعد بعض نعوته واوصافه الشريفة
الى ان قال يبايعه العارفون من اهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف الهي له
رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه لولا ان السيف بيده لافتى الفقهاء بقتله
ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيخافون ويطيعون ويقبلون حكمه من غير ايمان

علا

ويظهرون خلافه ويعتقدون فيه ذا حكم فيهم بغيرهم بحسب اعتقادهم انه على ضلالة في ذلك انتهى ما علم كل عالم
رباني ذو مكانة يعرف طريق التبتل الى الله تعالى وكيفية التخلص عن ورطة التعلق بالمهلكات
والموذيات النفسانية فان اتباعه وتعلم السلوك منه واجب عقلا كما ان اتباع الرسول والائمة
واجب عقلا وسمعا فكما ان المريض ومن به داء مهلك عند التساهل عنه اذا وجد طبيبا
حاذقا يعرف معالجة ذلك المرض المهلك يجب عليه اتباعه وقبول ما امره به بحسب ما حصل عليه نفس
من التحفظ على الحيوة البدنية فكذلك من به مرض الجهل وداء الخلق الردي النفساني الذي به تفوت
الحيوة السرمدية يجب عليه بالضرورة ان يتبع العالم الواقف بكيفية ازالة الجهل وسائر
الاخلاق الذميمة ويتعلم منه طريق الاستكمال ويتأسى به ويسلك مسلكه ويقبل منه
النصايح في كيفية التقرب الى المبدء الفعال وكما ان من يتيسر له حضرة عالم متأله من ثنا هل
في ملازمته وتحمل المتاعب منه خوفا من سقوط منزلته عند الناس محفظا على جاهه
الحقير لدى العوام الناقص فيه شك انه اذا خرج الامام الهدى الذي وجبت اطاعته عقلا
ثمرة حكمه وتحاشى عن اطاعته اذا انحطت عنده الاهم مرتبة عند الناس يسقط به جاهه
اللهم الا خوفا او طمعا لا تقربا الى الله تعالى والا لاطاع كل من له قدم راسخ في العلم بالله وملكوته
وذلك لمرض نفسه وخبث جوهره وقصور ذاته بحسب نفس الامر وسقوط منزلته عند الله
حيث يعدم المنزلة عند الخلق محصل المنزلة عنده ويرجح عنده رضاء الخلق على رضا
الخالق وتقدم الحجاب ورضوان من الله اكبر قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم

آه الكفل

آه الكفل النصيب يا ايها الذين آمنوا اي اعتقدوا توحيده وعلمه وقدرته وصدقوا
اتقوا الله فيما نهاكم عنه من قبايح الافعال ورذايل الصفات وآمنوا برسوله محمد ص او يا اهل
الكتاب الذين آمنوا بموسى وعيسى ع آمنوا بمحمد ص وعن ابن عباس يا ايها الذين
آمنوا ظاهرا آمنوا باطنا يعطكم نصيبين من رحمته نصيبا لايمانكم بمن قبله من
الانبياء عليهم السلام ان كان خطابا للمؤمنين اهل الكتاب ولا يبعد ان يثابوا بما عملوا في دينهم السابق
وان كان منسوخا هكذا قيل وفيه تفصيل فانهم ان لم يكونوا معاندين بل كانوا منقادين للحق
ظهر عليهم فكل ما عملوا سابقا طلبا لمرضاة الله كانوا مثابا به الى ان وصل اليهم صيت الاسلام فاذا
في تحقيق الامر حتى ظهر لهم فلا شبهة ان لهم كفلين من رحمة الله وان لم يكونوا كذلك بل كانوا متعصبين
لدينهم متصامين عن استماع الحق فلا اعتداد بالاعمال التي فعلوها الانسان تعصبا وتجاهلا
من غير طلب البصيرة وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عهده ص وان كان خطابا لغير اهل الكتاب
فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسوله يؤتكم ما وعد مؤمني اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك
يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في انه لا يفرقون بين احد من رسله ويجعل لكم
يوم القيمة نورا تمشون به اي هدى تهتدون به وعن ابن عباس النور القرآن لما فيه من الادلة النيرة على كل
حق والهداية الى كل خير وبه الاتصاف وحصول الفضائل في الدنيا التي يمشى به يوم القيمة ويغفر لكم اي
يستر عليكم ذنوبكم التي اسلفتم من الكفر والمعاصي روى سعيد بن جبير بعث رسول الله ص جعفرا
في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم عليه ودعاه فاستجاب له وآمن به فقال ناس ممن آمن من اهل
مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا فنأتي هذا النبي فنسلم به فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد

تهيأ اي النبي ص لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله ص فرجعوا وقدموا
لهم باموال لهم فاسوا بها المسلمين فانزل الله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله
مما رزقناهم ينفقون فلما سمع اهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا
فخروا على المسلمين فقالوا اما من آمن بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم
فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت الآية فجعل لهم اجرين وزادهم النور والمغفرة وروى
ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل
عليهم فنزلت مكان يا ايها المعدود من اهل الايمان اتقوا الله بتكثير الحسنات وتنقيص السيئات
وآمنوا برسوله اي حصلوا لانفسكم ملكة المعرفة بالله وكيفية ارسال الرسول وانزال الكتب
عليه وافاضة الحقايق العلمية على قلبه بواسطة الملك الموحى اليه باذن الله والتصديق
برسالته واطلاعه على الغيبات وحقيقته في كل ما اخبر به وله رعاية الجزء العملي من النفس الانسانية
بمحافظة على حصول الثمرة التي هي تصفية وجه النفس بتقوى الله والزهد الحقيقي عن كدورات
الشهوات الدنياوية من المعاصي والقبايح والتارك رعاية الجزء النظري منها وايصاله الى كماله الذي هو المقصود
من وجود الانسان وهو اكتساب المعارف الحقة الباقية معه ابد الآبدين وحيث كان كمال الانسان ومنزلته
عند الله وحصول المثوبة الاخروية له منوطا بثمرة استكمال الكل من القوتين فلا بد لكل من آمن بالله و
اليوم الآخر ان لا يتوانى عن اكتساب الاحوال والاعمال واقتناء العلوم والملكات المؤدية الى هاتين
الثمرتين اما ثمرة الاعمال الحقة فالتخلص من مآثم الاخلاق ورذايل الاوصاف والتعلقات
الدنياوية المانعة عن الرحمة والهداية والا فالجود مبذول والرحمة واسعة عند عدم المانع واما

ثمرة العقايد

ثمرة العقايد الحقة فمشاهدة الاعيان الشريفة النورية ومنادمة الملائكة القدسية واهل الصفوة
المقربين وقبول التجليات الالهية اما صاحب ثمرة العمل دون العلم فهمته متوجهة نحو لذات الجنان والشهوات
من الحور والغلمان وكل ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين بقوة التخيل وتصل همتها السوال
بان لا يعاقبه ويقصده المقرون به العرفان كالسدر المخضود والطلح المنضود واما صاحب المعرفة
فهمته متوجهة نحو عالم القدس والوحدة ومشاهدة الجمال والجلال فله المثوبة الكبرى والدرجة العظمى
والمشرب الكافوري وما هو فوق ذلك ان اراد كالمشرب الزنجبيلي فلما امر سبحانه اهل الايمان
بالتقوى والمعرفة وكل منهما ينتج ثمرة خاصة ونصيبا مخصوصا من فيضه ورحمته وعد الانسان
الى حصول النصيبين لهم من الرحمة نصيبا لاجل العلم ونصيبا لاجل العمل ولما كانت ثمرة العلم اعلى
رتبة وافضل قدرا من ثمرة العمل فضيلة الادراك على الحركة وشرافة العين على القدم اشار
اولا الى ذكر ثمرة العلم وتعيين ماهيتها بقوله ويجعل لكم نورا تمشون به فان هذا النور بعينه
هو النور المذكورة في قوله يسعى نورهم ثم اشار الى ثمرة العمل بقوله ويغفر لكم ثم اشار الى كون
ذاته تعالى منشأ جميع الخيرات ومبدء فنون البركات بقوله والله غفور رحيم نظرا الى امداد لطفه في
الانسان الى حد ابداله وبقوله رحيم نظرا الى افاضة جوده في ملبس الانسان للفضائل قوله عز وجل
لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم آه لا في لئلا يعلم زائدة وان في ان لا يقدرون مخففة من الثقيلة
واسمها محذوف وهو الشان او ضمير راجع الى اهل الكتاب اي لان يعلم اهل الكتاب انه لا يقدرون
على شيء مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيل شيء منه لان جمعهم شروط

بالاعتقاد الصحيح في حق الله ورسوله وهم لم يؤمنوا برسول الله فلا ينفعهم ايمانهم بغيره من الانبيا
بعدما فرقوا بين رسل الله وليعلموا ان الفضل بيد الله وقدرته يؤتيه من يشا كتشريف بعض
وادادته الازلية المنبعثة عن علمه باختلاف القوابل وتفنن المهيئات والله ذو الفضل العظيم
باقاضة الوجود على هياكل الممكنات وقيل ان المراد بفضل الله ههنا هو النبوة اي لا يقدرون
على نبوة الانبيا ولا على صرفها عمن شاء الله ان يخصه بها فيصرفونها عن محمد الى من يحبون بل النبوة
الفضائل الموهبية بيد الله لا مدخل لتعمل الناس في استجلابها يعطيها من يشا ممن هو اهل لها
وقيل لا ههنا مزيدة وقيل ان ثبات والمعنى لان لا يعتقد اهل الكتاب ان النبي والمومنين لا يقدرون على شي
من فضل الله ولا ينالونه فعلى هذا يكون الضمير في يقدر للنبي والمومنين ويكون ان الفضل عطفا على
ان لا يعلم او لان لا يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون ان يؤمنوا ويكون المراد لكي يعلموا انهم لا يقدرون
على الايمان وطلب الفضل والثواب وقرء الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون اليا وروي بكسر اللام
البضم وتوجيهه على ما قيل بان حذفت الهمزة من لان لتعلقها فصار لين ثم ادغمت النون في اللام
للتجانس فصار للا بالكسر ثم ابدلت اللام الثانية المدغمة في الثانية ياء كما ابدل الميم الواو الملاغمة وغير
المدغمة ياء في ديوان وقراطان الانتقال من الكسرة الى الفتح عفيف في العمل متعارف عند اهل اللسان واما الفتح
في قراءة الحسن فعلى ان الاصل لام الجر هو الفتح وروي لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام
في اليا وليعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في اليا كما ذكر في الكتاب مكتابه بما يستشعر من الاية
الكريمة ان لاهل الايمان اقتدارا على استجلاب فضل الله وتمكنا من سببه ورحمته وهو خلاف وان لم يكن
معتبرا عند الاكثر سيما في مثل هذا المقام حيث عقب بقوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشا

الا انه مما يمكن

الا انه مما يمكن تصحيحه ههنا بوجه عقلي فان الفضل وان كان كله عند الله مجبيا مشيته بلا تاثير لغيره
في الايجاد وتوسيط الماسواه في الافاضة لكي لا يتم تعلق المشية بواحد دون واحد بمخصص لا مفتاح
الترجيح من غير مرجح كما هو المذهب المنصور فللعبد اختيار في اكتساب المرجح بتحصيل المعارف الايمانية والعقائد
الحقة اولا ثم العمل بمقتضاها ثانيا ثم الانتظار لهبوب نفحات رحمة الله وفضله ثالثا فان من حصل المعرفة بالله
ورسوله واليوم الاخر والاعتقاد بالثواب للمحسن والعقاب للمسيء وان كان على وجه التقليد والظن
حصل للنفس تشوق الى تكميل جوهرها بتحصيل اليقين والتوسل الى ثواب الله والتقرب اليه فيبعثه ذلك
على قمع الشهوات الظاهرة عن النفس اولا ثم على قلع الصفات الذميمة الباعثة عن القلب ثانيا ثم يختار العزلة
والخلوة عما يشوش فكره ويوسوس طبعه فيجلس للمراقبة والذكر والفكر ثم يؤدي به ذلك الى ان يجعل
همومه ومقاصده واغراضه واحدا هو التشوق الى طلب الحق واذا غلب ذلك على قلبه فهو بعد ناقص
محروم مالم يكن من المتفكرين واهل العلم فان كان مجال التفكر وحركة معنوية في الباطن شغله ذلك عند التجرد
عن مجادلة الشيطان ووساوس الوهم بابداء الشبهات والشكوك في قلبه حتى يضله ذلك عن الطريق
وان لم يكن له سير في الباطن وحركة معنوية في الملكوت فلا يحتاج لا الاوراد المتواصلة والصلوات المتنفلة
بل يحتاج منها الى تكليف الحضور لقلبه بالافكار المعنوية فان التفكر بالباطن هو الذي يستوفي
القلب ويسخر النفس دون الاوراد الظاهرة ومع ذلك لم يسلم مع ذلك من الافات الشاغلة في
بعض الاوقات عن الفكر والذكر ضرورية كانت او غير ضرورية كمرض وخوف وايذاء من مجاهم او طغيان
من مخالطة ضرورة المعيشة او اشتغال بمطعم وملبس مما يحوجه الى الشغل تولاه بنفسه
فان تيسر له قطع هذه العلائق ليسلم له اكثر الاوقات فيصفو قلبه وينتشر فكره في عالم الملكوت

وينكشف له من اسرار الله ما لا يقدر على شيء قليل منه جملة الاذكياء المشتغلين بقلوبهم بالدنيا وعلائقها
وهذا النص للمقامات التي لاختيار العبد مدخلية في نيلها بالاكتساب والجهد فاما ما وراء ذلك مما ينكشف
له من فضل الله ومبالغ ما يرد عليه من نعمته فهو خارج عن اختياره واقتداره فانه يجري مجرى الصيد
وهو بحسب الرزق والطالع الاسمائي الذي هو طالع العالم السمائي فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول
الجهد ويقصر الحظ فالمعول بعد ذلك على جذبة من جذبات الحق التي توازي عمل الثقلين وليس بالاختيار
العبد فان كان له اختيار في ان يتعرض لتلك الجذبة بالاكتساب من الرياضات الفكرية والعملية واليه
الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك بان يقطع
عن قلبه جواذب الدنيا فان المجذوب الى اسفل سافلين كيف ينجذب الى اعلى عليين وذلك لان تلك
النفحات والجذبات ارزاق معنوية بمنزلة الرزق الصوري فلها اسباب سماوية روحانية كما ان
للرزق الصوري اسبابا سماوية جسمانية اذ قال وفي السماء رزقكم وما توعدون فان هذه السماء الجسمانية
مثال وظل لمبدع روحانية تعالى المنبعث عنها الارزاق الصورية والمعنوية كلها واليه الاشارة
الاشارة بقوله الرحمن على العرش استوى وهذا الكلام لا مناسبة له الا لجل مراتب الرزق المعنوي
فهو ايضا من اسباب سماوية قدسية والامور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى يسر الله
اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ محل القلب والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله كالذي
يصلح ارض الزراعة وينقيها من الحشيش ويبث فيها البذر وذلك لا ينفع المريد القلب عن ذمائم
الصفات ويبث فيه بذر المعارف الالهية وكل ذلك لا ينفع الا بنزول المطر متى يقدر الله
اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله وسنته في ان لا يخلي الارض سنة عن مطر فكذلك قلما يخلو قلب

وينبت

المريد الصافي

المريد الصافي شهرا او يوما عن جذبة من جذبات الحق وبالجملة فقد علم ان تطهير القلب عن حشيش الشهوات
والتبذير فيه ببذر الايمان بالله ورسله وملكوته وجعله عرضة لمهب فضل الله مما للاختيار
العبد فيه مدخل الا ان يكون في غاية الجمود والقساوة لسبق الكفر المتمادي والفسق
المتراكم كالجاحدين من اهل الكتاب واما نزول امطار الفضل وهبوب رياح الرحمة
فلا اختيار للعبد فيه بل كله بيد الله يؤتيه من يشاء فقوله ليعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون
على شيء من فضل الله يعني عليهم بابعاد وويل لهم حيث لا يمكنهم تطهير الباطن وتصفيته عن الرذائل
لاستمداد رحمة الله وفضله وذلك لجمود قرائحهم الجاسية وقساوة قلوبهم القاسية كما قال
فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله خاتمة هذه السورة مدنية وهي تسع وعشرون آية
وقيل ثمان وعشرون والاختلاف في قوله من قبله العذاب وآتيناه الانجيل وعدد كلماتها
خمسمائة وثلث وسبعون وحروفها الفان واربعمائة وتسعون وانتظام ختم الواقعة
بافتتاحها انها في التسبيح وانتظام السورتين ان تلك السورة في ذكر السابقين واصحاب اليمين
والمكذبين الضالين وهذه السورة في كيفية الارتقاء الى درجة السابقين واصحاب اليمين
بالمعارف الحقة والاعمال الصالحة وضحت الفائزين بالوصول الى درجة المقربين او السعداء
بسبب الايمان على تقويته وتوسيع دائرته وتكثير فوائده ودفع المطففين لانواره والجاحدين
لو اراده من الكفرة الفجرة وترغيب المؤمنين في مجاهدة الكافرين والانفاق على المجاهدين فافتتحت
السورة بتقديس الله سبحانه عن النقائص وصفات الممكنات وسمات الحادثات بلسان كل من في السموات
عالم الملكوت وما في الارض عالم الملك ويذكر ان جميع ما وقع عليه اسم الوجود ملكه وتحت تسخيره جار عليه

سلطانا نافذا فيه حكمه ساريا فيه امره يتصرف فيه كيف يشاء بالاحياء والاماتة ثم ذكر انه منشئ مملكة

السموات والارض وباينهما مع تمادي ازمنة بقائها واتساع امكنة ارضها وسماواتها

مما لا يغيب عنه زمان عن زمان ولا يفوت لديه مكان عن مكان بل جميع الازمنة والزمانيات والاحياز

في حكم ان واحد في الحضور لديه وكافة الامكنة والمكانيات المتمادية الانهاية في حكم نقطة في

المنزل الجليل بري عن تجدد وتغير في ذاته ولاحتمال التجزي وتكثر في صفاته وذلك لانه هو الاول في

اخريته وهو الظاهر في باطنيته ولما كان هذا مستلزما لشمول علمه بجميع الموجودات واحاطة شهوده

بجملة الكائنات ذكر عقيبه وهو بكل شيء عليم ثم اشار الى ان علمه بكل شيء نحو العلم باسباب ذلك

وعلله الذي هو اجل مراتب العلم واوثقها واتقنها ليعلم ان علمه بالاشياء ليس نحو حصول

وليعلم انه ليس باحساس ولا انفعال والا لزم استكمال الكامل بالناقص وانفعال العالي عن

السافل فذكر انه مبدع الاشياء وخالق الارض والسماء في اقل عدد كما هو الستة اعني

ثم لما كان اسباب وجود الكائنات وشرائط حفظها وبقائها من الارزاق والاجال نزل من

عنده بواسطة السموات وقواها المحركة لها شوقا الى طاعته بابانها فنون الحركات وصنوف

اختلاف الاوضاع والنسب التي تنشأ منها الكائنات وينبعث منها الحيوان على ما جرت عليه سنة الله

التي لا تبديل لها وجملة الحركات السماوية والاكر الكوكبية في فلك واحد عظيم مشتمل على الجميع

اشتمال الشخص الانساني على اعضاء وجوارح وارکان هو المحدد بجسميته للجهات والابعاد

حركته للازمنة والحركات فهو بنفسه وعقله يدبر الكل ويسوس الجميع باذن مبدعه ومحركه

وموجد نفسه ومحركها تحريكا شوقيا بالحركات النفسانية والاوراد والاذكار القدسية

والانفعالات

والانفعالات العلمية والطاعات الملكية كل ذلك تشوقا الى جنابه وتقربا الى طاعته وامتثالا

لامره وتضرعا وابتهالا نحوه وتشفعا لديه لانجاح مقاصد الملهوفين واستغاثة

لاغاثة المحتاجين واصلاح احوال الهابطين الى مهبط الظلمات واعلى مرتبة النازلين

في مهوى عالم الجهالات من اهل الاستعداد واصعادهم عن مرتبة السافلين الى اوج العليين

بالهامهم معرفة المبدأ والمعاد وتوسط الجبر كسيرهم وخلاصهم فاريد التنبيه على ان هذه

هذه الوسائط مما لا مدخلية لها في الايجاد والاعطاء بل هي مظهر الرحمة ومستوى الرحمن ومواطن

استوى على العرش لانتظام ما في الكون بتسبيب الاسباب وتهييج الاشواق وانشاء القوى

الهوى الفعالة ووضع القوابل المنفعلة كل ذلك على سبيل العناية بالسافلات وترشح الخير

الدائم على المنفعلات الكائنات بواسطة عالم الحركات العاليات الصادرة بامره تعالى عن الملئكة المدبرات

وعباده الساجدات الراكعات كما اشير اليهم بقوله غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون

ما يؤمرون ثم عاد الى بيان علمه بالجزئيات بزيادة استيضاح على هذا الوجه المذكور بسبيل

اخرى فاشار الى ان من هو شانه هكذا الابداع لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض

ولا في السماء بل يعلم ما يلج في الارض من اسباب قابلية الوجود للكائنات كالبذور والنطف

وغيرها من المقادير والكيفيات الاستعدادية والخارج منها كاجسام المواليد الثلثة وابدانها

من الجماد والحيوان والنبات والنازل من السماء كقواها وصورها ونفوسها وما يحصل

من اعطائها واحيائها كالامطار والثلوج وغيرها والعارج فيها من العقول الصافية

الانسانية والارواح الصادرة طيورا سماوية طائرة اليها من اقفاص الابدان بجناحي العلم والعمل

بخلاف النفوس المعلقة المقيدة بشهوات هذا العالم التي تكون ابدانهم بالقياس الى نفوسهم البهيمية

اصطبل الدواب لا اقفاص الطيور فليس لهم قوة الارتقاء الى ملكوت السماء ولا اليهم سبيل

الى عالم التقديس والمخرج ثم لما تقدم انه سبحانه مما لا يتجدد عليه شيء من بالغيبة والحضور

والوجود والعدم ولا يفوته شيء من الاشياء بل الماضي والمستقبل كالان في الحضور لديه ومع

ذلك هو القائم على كل شيء بما كسبت بتدبيره لاستوائه على عرش وجود الحوادث والكائنات

واستقلاله بالافاضة والايجاد من غير تاثير لغيره الا في الاعداد فظهر ان لا واسطة

بينه وبين كل موجود ولا فاقة لشيء لوجد على وجوب ابهى بوحدته ذاته الجميع ومفردات

مهية الكل اثبت معيته لنا اينما كنا ومتى كنا على الزاوية سابقا او لاحقا فاذا كان

علمه حضوريا شهوديا اشراقيا نوريا فعبر عن ذلك بانه بما تعملون بصير ولما علم ما

سابقا كونه مبدعا فاعلا للجميع اراد التنبيه على انه المبدأ الغائي ايضا للكل وحيث كان

كاشفا عن التمام مستلزما له ذكر رجوع الامور اليه بعدما اعاد ذكر نسبة ملكوت السموات

الارض اليه ليعلم انه الغاية القصوى للكل كما انه المبدأ الفاعلي للجميع بتوسط المنافع

الجزئية وتسبيب الاسباب المتوسطة لوجود الاشياء على الحصر الذي اراد وشاء ثم لما مر

الى الاسباب القابلية الارضية والفاعلية السماوية لخلق المركبات العنصرية واداء تاثير الى

ما تأثر الاسباب الفاعلة في القوابل السافلة متوقف على الحركة المتجددة لتقرب المعلول الى علته

فان الامور مرهونة باوقاتها اشار الى حركات اسبابها وتغيراتها فاختلاف الحركات والاوقات

سبب لاختلاف الحوادث والكائنات كما يشاهد من تبدل الفصول الموجب لتخالف الليالي

والايام المستلزم

والايام المستلزمة لاختلاف احوال الخلائق والانام عبر عن تفاوت الليل والنهار على الوجه

المشاهد المستلزم لاعتدال الكائنات بولوج كل منهما في صاحبه كوميا الى المنافع والغايات المترتبة

على تفاوتهما في المقدار واختلافهما في الانام وبين ان الجاعل لهما على هذا الوجه المقرب

والمولج لكل منهما في الاخر هو سبحانه المدبر للكائنات ومصلح الموجودات فانه سبحانه لو لم يجعل الاول

الكوكبية ذات حركة سريعة مشتركة واخرى بطيئة مختصة ولم يجعل دوائر الحركات الطبيعية

مائلة عن دائرة الحركة السريعة لما مالت الى النواحي شمالا وجنوبا فلم ينتشر نفعها

على بقاع الارض ولولا ان حركة الشمس خصوصا على هذا المنوال من تخالف سمتها

الحركة الشهرية لما حصلت الفصول الاربعة التي يتم بها الكون والفساد ويصلح بها امزجة

البقاع والبلاد ولما كان القمر نائبا للشمس خليفة لها في النضج والتحليل والاصلاح

والتعديل اذا كان قوي النور جعل مجراه بخلاف مجراها فالشمس تكون في ايام الشتاء جنوبية

والقمر شمالية لئلا ينعقد السحاب وفي الصيف بعكس ذلك لئلا يجتمع المسخنان ولما

كانت الشمس في ايام الصيف الطوال شمالية الحركة وفي ايام الشتاء القصار جنوبيتها

ولها اوج وحضيض متقابلان بينهما نصف دور جعل الله تعالى بحكمته البالغة اوجها في الشمال

وحضيضها في الجنوب لينجبر قرب الميل عن سمت الرؤوس ببعد المسافة لئلا يشتد التسخين

بالتنوير وينكسر بعده بقربها لئلا تضعف القوة المسخنة عن التاثير كل ذلك لحكمة

العلم القدير الحاصلة من تخالف الليل والنهار وتفاوتهما في المقدار ولما كان

بين وجود الاسباب المؤدية الى خلقة الانسان بدنا ونفسا صورة ومعنى كما علمت بعضها

الظاهرة البدنية وملكات الباطنة النفسانية فذكر انه عليم بذات الصدور ليعلم

انه ناقد بصير لا يخفى عليه قليل ولا كثير لا فيجازي على كل عمل قلبي كما يجازي على كل حركة بدنية ولما

تبين انه سبحانه متصف بغاية العظمة والجلال له منعوت بكونه مبدأ اعلى وغاية قصوى للكل

يتوضح لذوي البصيرة ان الكل محتاجون اليه في الوجود خصوصا المعلول الذي تضاعف

فيه وجوه الحاجة وكثرت تعدد جهات الامكانات الذاتية والاستعدادية ولا شبهة في ان

من هو موصوف بغاية الفقر والفاقة من شانه التشبث بمن هو منعوت بالكرم والافضال

ودوام التضرع والابتهال وطلب التخلص عن القصور والوبال مع وصوله على غاية التمام والكمال

واستدعاء الاستمداد والاستكمال ممن هو في نهاية العظمة والجلال متبرئ الذات

عن النقص والعدم والزوال كما ينبئ بذلك الفردانية الاحدية ممنح كل صورة وكمال ومفنى

كل حيز وحال ثم لا يخفى ان كل ناقص يسوغ له الانتقال من حضيض النقص الى ذروة الكمال فله

طريق خاص ومنهج معين في الترقي الى الاوج الرفيع والاقبال الى الافلاك الاجسام بما هي اجسام بحصول

في مطلق الحيز والفضا وللعناصر في الكمالات الاسفل والاعلى وللنبات في الاغتذاء والنماء وللحيوان

الحيوان في حيوته الدنياوية بانفاسه وحركته بارادته واحساسه وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه

الادون شانه البلوغ الى اقصى ما يمكن في ذاته ما لم يعقها عائق وللنوع الانساني كمال مختص

وهو الايمان بالله وافعاله القريبة بحسب جنبتي العلم والتجرد عن الدنيا واللذات البهيمية بحسب جنبة العمل

ولهذا وقع له الامر بالايمان بالله ورسوله والانفاق مما ناداه على ضرورات بقائه الكوني

ثم بين سبحانه عظم اجر الانسان الذي سلك مسالك المعرفة والتجرد بقوله لهم اجر كبير لانه بعنايته الابدي

يقرب من الملكوت ويتخلص عن الناسوت ثم اظهر سبحانه الاستنكار والتعجب ممن لم يتفطن

بالمعرفة بالله عند تحقق الرسول المعلم للبشر الداعي طريق الحق مع قابلية الذات ومناسبتها

لمعرفة الحق بحسب الفطرة الاصلية المعبر عنها باخذ الميثاق ثم بين عظم وعبر عن العلم البشري وكيفية

ارتقائه صلى الله عليه وآله الى مرتبة الرسالة ودرجة التبليغ وهو انما يكون بتنزيل الله تعالى

على عبده المستجمع للفضائل والملكات البشرية الآيات البينة والمعارف الحقة ليتنور ذاته بالانوار

القيومية ويستشرق عقله المنفعل بالاضواء الاحدية ويستضيئ نفسه التي يكاد زيتها

يضيئ ولو لم تمسسه نار الاشراقات الصمدية ويصير عند امتلائه بالانوار والشعلات

الجبروتية نورا على نور ولينور بعد وفاته المستضيئة بانوار المنكسين في دياجير

الجهل والظلمات الغائرين في مهوى الغفلة والشهوات المترحجين لضعف الاحداق عن عالم الانوار

ويخرجهم من ظلمات عالم الاجسام الى نور عالم الارواح ومرجع نفوس السعداء والكرام ولما كان

ارسال الرسول وانزال الوحي وتنزيل الآيات الا فضلا منه تعالى على وجه لطيف حيث صار موجبا

لنظم امور الدنيا ونعيش الناس على ابلغ نظام مع تحصيل الاهبة في سفر الآخرة له واتخاذ الزاد

وربح التجارة في المعاد والفوز بارفع مقام ومراد فقد كان غير نفع العام شعورا عاجلا

الاجل اشار لاهذا التلطف في الهداية والتكمل بالاخبار عن تعلق صفتي الرافة والرحمة

بالعباد الذين يتيسر لهم الوجود والبقاء من جهتي المعاش والمعاد ولما امر اولا بالايمان والانفاق

الذين هما خلاصتا الكمال العلمي والعملي ثم اخذ يسئل شبه المتعجب المستفهم عن التاركين للايمان

في تركهم اياه مع دعوة الرسول واخذ الميثاق اي وجود العلم وقابلية التعلم ونابيد سبحانه

هذا المعلم بصنوف اسباب الهداية والتعليم فعاد ثانيا شبه المتعجب المستفهم عن التاركين للانفاق

في تركهم اياه محتجا عليهم في استقباح هذا البخل والامساك منهم بان ما في ملكهم ليس باقيا لهم

بل في معرض الزوال والذهاب عنهم وهو عنه وان الجميع بالحقيقة ملكه يعود اليه وله ميراث كل شيء سوى

المال وذي المال ثم ذكر تفاضل المنفقين والمجاهدين قبل الفتح وبعده وتفاوتهم في درجة

الجزاء والثواب بان افضل الاعمال احمزها مع انه وعد الجميع بالحسنى لاشتراكهم في اصل الفعل

الحسن وذكر انه خبير بما يناسب الاخلاص في العمل وحسن النيات كما انه خبير بظواهر الاعمال التي هي الافعال

ثم وعد الاجر الكبير مع المضاعفة في مقدار الثواب لمن يقرض الله قرضا حسنا ثم بين الموضع الذي

يتحقق فيه المجازاة على الاعمال ويتبين فيه الدرجات والاحوال ويتميز فيه السعداء عن الاشقياء

فذكر شيئا من احوال المؤمنين وشيئا من احوال المنافقين في ذلك اليوم وذكر تخلف المنافقين

عن المؤمنين في سلوكهم طريق النجاة بنور المعرفة والسداد وتمنيهم الاقتباس من نور معرفة المؤمنين

مع استحالة ذلك ببطلان استعدادهم الفطري وزوال قابليتهم الجبلي وذكر رد المؤمنين عليهم

ومفترهم بالتنبيه على فقدان القبول لهذا الاقتباس والاستعداد بما يوجب لهم الخذلان والياس

ثم ذكر انه وقع عند ذلك حاجز ذو باب باطنه يلي عالم القدس والرحمة والنعمة وظاهره يلي عالم

الظلمة والغضب والنقمة ثم اشار الى نداء اهل الجحيم لاهل النعيم وسؤالهم اياهم بسبب علو مرتبتهم و

انحطاط مرتبة هؤلاء مع الاتفاق بينهم في ظواهر الاعمال البدنية والتساوي في مزاولة العلوم الدينية

وبطلان ترجيح احد المتساويين على الآخر بلا مرجح فحكى الجواب لهذه الشبهة الواهية هي اوهن من بيت

العنكبوت من قبل الحبار عن في العلم من افاضل المؤمنين ان ملاك التقرب الى الله تعالى والصعود الى

معارج القدس انما هو بالاخلاص في النيات والسير المعنوي في الملكوت والتفكر في بدايع الفطرة مع صدق

الطويات وانتم سلكتم مسلك الامالي والشهوات والاغترار بالدنيا واللذات بتسلط الغاوي

المغوي عليكم واراءة الشيطان لكم الباطل في صورة الحق حتى رسخت فيكم ذمائم الصفات ورسخت

في قلوبكم رذائل المعاصي والشهوات فلن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم ولا يسمع منكم معذرة ولا يؤخذ منكم

فدية ولا من الكفار النار مأويكم والجحيم مولكم اذ كل شيء يصير الى اصله وكل مريض يلوذ ببقاع

بلده ومولكم بئس المولى ومصيركم بئس المصير ثم لما ذكر من احوال المخلصين ومخامرة

عاقبة المنافقين لاجل اغترارهم بالدنيا عاتب المؤمنين المشتغلين باكتساب الدنيا وقلة التشوق

الى دار الآخرة حيث تطرقت فيهم قساوة القلوب لطول الامد كما في بني اسرائيل ونهيهم عن

مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلب ثم تداركهم باللطف بعد هذا التوبيخ بان قلوبكم وان

قست وفترت عما كان في سابق الاسلام وماتت بسبب المعرفة وقلة تلاوة الآيات والذكر

هكيم لكن يحييها بنور المعرفة والتلاوة والذكر لبقاء قابليتها بثبوت اصل الايمان فيها كما يحيي

الارض بعد يبسها لبقاء جوهرها وان عدمت عنها الطراوة التي هي بمنزلة تذكر الآيات

في الانسان والقلوب التي لم يبق فيها اصل الاعتقاد بمنزلة الارض التي فسد ذاتها واوضتها

وانقلبت سبخة او رمادا او ملحا لا يمكن احياؤها وهذا بانوار المعارف الحقة ومياه الاعمال

الصالحة كما لا ينبت الملح للعشب باضواء الشمس ومياه المطر ثم رجع الى الترغيب والحث

على اكتساب العلم والعمل بحكاية حال العاملين والعالمين مذكر الوعد لكل المتصدقين

واقرضوا الله قرضا حسنا بتضعيف جزائهم وكرامة اجرهم وبذكر الفضيلة للمؤمنين

متوليكم
ومتوليكم بئس المولى مولهم

بالله و رسله ايمانا حقيقيا بانهم هم الصديقون والشهداء عند ربهم والوعد لهم باجر و نور
مخصوصين بهم لمزيد شرفهم ومنزلتهم عند الله لمكان المعرفة اليقينية والعمل المنبعث عن
محض المعرفة والاخلاص الذى لا يوجد مثله فى غيرهم اما الاجر فهو مقابلة اعمالهم الخالصة واما النور
فمن لوازم معرفتهم المحضة بلا شوب غرض ورياء فى الاول ولا ظلمة شبهة وريبة فى الثانى
ثم ذكر لتوضيح هذه المنزلة فى الاعتقاد والعمل وشرافته بذكر ضدها فيهما وهو الكفر الذى هو
افسد مراتب الجهل بازاء فضيلة المعرفة بالله والتكذيب بايات الله الذى هو اقبح القبائح
العملية بازاء فضيلة العمل الصالح وذلك لان الاشياء تعرف باضدادها واخبر بانهم اصحاب
الجحيم بحسب غريزتهم الاصلية كما انهم من اهل هذه الدنيا بحسب طبيعتهم الفطرية اذ الجحيم مسخ هذه الدنيا
الفانية الهالكة الباطلة ولهذا وقع الاشتراك بينهما فى الخصائص والاحوال الا ترى ان
شأن كل منهما الاحالة والتحليل ودأبهما الامانة والتبديل اشخاصهما ابدا فى الذوبان
والانتقال واجسادهما دائما فى الحركة والاشتعال حال الساكنين فى الدنيا نظيرها حكى الله
عن حال سكان الجحيم بقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فاشتركا
فى الاستحالة والذوبان وكذا حال اهل الدنيا فى تضاد عناصرهم فى الكيفيات المحسوسة
وتباغض نفوسهم فى الاغراض الخسيسة الناشئة والدواعى القبيحة الدنية وتخالفهم
الناشئة عن المخاصمة والعناد والمنافسة فى الحسد والالداد كحال اصحاب الجحيم فيما ذكره
سبحانه بقوله كلما دخلت امة لعنت اختها وبقوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار
الى غير ذلك من الخصائص الجامعة للدنيا والجحيم والصفات المشتركة بينهما التى تدل على ان

الدنيا منها

الدنيا بعينها صورة الجحيم والجحيم بعينها حقيقة الدنيا وعلى هذا الرأى شواهد عقلية ومؤيدات
نقلية واشارات قرانية ورموزات نبوية ونصوص الهامية وبراهين حدسية
من يعرفها ويستنكرها من ينكرها واذ قد ثبت جهة الاتحاد بين الجحيم والدنيا وان
اصحاب الجحيم هم باعيانهم اصحاب الدنيا اشار سبحانه الى بيان مهية الدنيا ليعلم كيفية عذاب
النار واستلزام اللذة بشهواتها للتعذيب بعقوبات الجحيم فامر بمعرفة مهيتها
وحقيقتها وحقيقة زهراتها ولذاتها بكونها لعب ولهو وما ينبعث منها كالتفاخر
فى الامور الخسيسة والتكاثر فيها وهى امور باطلة وهمية لا حقيقة لها كما لا حقيقة
للنار الا كونها قطاعة نزاعة مفرقة للاتصال معدمة للكون والحيوة وجميع ما ذكرناه امور
عدمية لا حقيقة لها وهذه الاشراق والنورية والتلوين التى يرى من هذه النار
الدنياوية ليست داخلة فى حقيقة ناريتها لانها ليست نارا صرفة بل نار مخلوطة بنور
ولها مرتبة فى الكون والتحصل واما النار الصرفة الاخروية فهى ليست الا اهلاكا
وايلاما ولذلك قيل هذه النار الدنياوية غسلت بسبعين ماء عند نزولها
الى هذه الدنيا ليمكن الانتفاع بها رحمة من الله والنار الاخروية مخلوقة من غضبه
على من يستحقها ثم ذكر مثالا مناسبا للدنيا وزهراتها وزوالها اشارة الى الذين ركنوا اليها
المطمئنين اليها انهم اهل الجحيم حيث عقب ذكر التمثيل فناءها وفسادها واعجاب الكفار
بزينتها بقوله تعالى وفى الاخرة عذاب شديد ولما كان من عادة القران ان لا يتجرد ذكر الغضب
العذاب عن ذكر الرحمة والمغفرة عطف عليه قوله ومغفرة من الله ورضوان ثم رجع الى تاكيد ذم الحيوة

الدنيا بانها متاع الغرور ثم اكتفى بيان الاجتناب عن الدنيا بالامر بالمسابقة فى السباق عنها الى اللواحق
الى المغفرة والجنة كما هو شان السابقين فى المضمار وذكر تشويقا للعباد فى هذه المسابقة بوصف عظم
الجنة وسعة ملكها بما يتصور من البسطة والسعة وانها معدة للعارفين بالله ورسله وانها
من مواهب فضل الله ودرجات تجليه على الافعال والاثار وتطوره بالاطوار وفضله ذو الفضل
العظيم فان جميع العوالم والنشآت من فضائله فانه تعالى عن الشبه والنظير ومن تجليات
فيضه المتعالى عن القصور والتغيير وهذه الفضائل فعالة ابدية على شؤونات ذاته وتجلياته
فى غيب غيوبه التى لا يحيط بها العد والاحصاء ولا يمكن لها النعت والثناء فلهذا
ذكر عقيبه ان كل ما يوجد فى هذا العالم سواء كانت خارجية او ذهنية آفاقية او نفسية
فهى مما كان قبل خلقها فى كتاب علمه الذى هو مرتبة شؤونه الصفاتية تفصيلا او الذاتية
اجمالا وذكر ان من نتائج هذه المعرفة عدم الاساء على الفائت ونفى الفرح على الاتى و
نتائج الجهل بها الخيلاء والفخر المبغوض الناشئ من الهيئات الدنيئة والافعال والصفات
الذميمة والاخلاق الردية كالبخل وحمل الناس عليه وجميع ذلك مما يورث البعد
عن الحق والروغ الى الامور الباطلة وبضرة فى معاد الشخص من غير نقصان فى سلطان الحق
وملكه فلذا عقبه ذلك بقوله ومن يتول فان الله غنى فى ذاته حميد فى صفاته حيث يمكن ان
يختلج فى قلبه ان صفة الغناء المطلق ينافى طلب الصدقات والطاعات وساير حقوق الله بالسنة
الرسل والكتب اشار الى دفع هذا الوهم بان الغاية فى ارسال الرسل بالمعجزات وانزال الكتب
وقانون العدالة فى الافعال والصفات ليس الا استقامة الناس واصلاح نفوسهم بملكة العدالة

وحصول المعاملة

وحصول المعاملة بينهم بالقسط والانصاف من غير تعد وجور وتفريط ونقص ليدوم معيشتهم
الدنيوية مؤديا الى اسعاد معادهم الاخروية وكما ان فى خلق اسباب الهداية من الرسل والكتب
والقوانين ليس المقصود الا تقوية الناس بحسب الدارين لا منفعة يعود الى الله تعالى عن ذلك
علوا كبيرا كذلك فى خلق الاسباب الجسمانية من ادوات الحرب وغيرها ليس المقصود الا منفعة
العباد لا غيرها ولذلك عقب ذكر المقصود من الاول بذكر المقصود من انزال ما هو من قبيل
الثانية وذكر ان فى انزال الحديد وخلق آلات الحروب والات الصنائع فيه ليس الداعى الا
ما يرجع الى الخلائق اذ الفائدة فيه بأس شديد ومنافع للناس ولان فى استعمال الالات
المتخذة منه يتبين درجة حال المجاهدين فى سبيل الله والناصرين له ولرسله حين غيبة
عنهم لا الى حاجته تعالى عن ذلك الى الناصرية فى اهلاك اعدائه لان القادر اذا اهلاك
قوى على ذلك عزيز لا نقص فى قدرته ولا قصور فى عزته وللاشعار بان المقصود من ايجاد
الممكنات وهدايتهم طريق الحق بارسال الرسل ونصب الادلة والايات ليس غرضا يعود الى
ذاته بل انما هو بمجرد عنايته بالفياض اليهم وفيض رحمته عليهم على سبيل الترشح ونظم
للامور وترتيب للاسباب مؤداة الى المسببات مترتبة عليها الغايات الجزئية ومصالح
للعباد من غير التفات جنابه الى السافل اخبر سبحانه انه قد خلق الانبياء وارسلهم وذريتهم الى
الخلق مع تأييده اياهم بجنود لم تروها من الملائكة وتنويره قلوبهم بالوحى والكتاب والحال انهم
مع ذلك لم يقع الاهتداء بهم الا من بعض الناس دون بعض وكثير منهم فاسقون ولو كان
له تعالى ارادة جزافية واغراض جزئية ومقاصد سفلية كما يتصوره العامة لم يتصور ذلك

ولما كان اولياء الله واحباؤه ممتحنين بيد الاعادي مقهورة بقهر الكفرة الفجرة ممنوعين عن
ارشاد الخلق معوقين عن هدايتهم مدة مديدة بسبب كيد المنافقين واغواء الظلمة ثم الكهنة المعتنين
بالاخبار عن انفصال سلسلة الرسل والمصطفين الاخيار على ما هو مقتضى حكمته
البالغة من عدم تخلية العالم عمن يوحده ويمجده ويعظمه ويعرفه ويصفه بصفات العظمة
والجلال ويثنيه بنعوت الكبرياء والجلال من الانبياء والاولياء والعرفاء ثم الامثل فالامثل
الى ان لحقت نوبة الاجادة والافضال الى الاراذل والارذال من غير تعلق قصد وجود
هذا القسم الاعلى سبيل الاستجرار والاستتباع كما ان الصانع الحاذق والنجار الحاذق
اذا تمت صنعته من موضوع معين لها كالخشب مثلا للسرير اعطى الباب وبقى من الموضوع
شيء لا يضيع حق قابلية هذه الفضالة بل يصنع منه ما هو ادون منزلة من الاول
كالوتد والخلال الى ان لا يبقى شيء من الموضوع الجسماني فهكذا الباري تعالى وهو شرف الصانعين
يقع من صنعه وجوده الاشرف فالاشرف الى الاخس فالاخس حتى ينتهي الى وجود الاشرار
والفسقة والكفرة فكان الغرض المقدم في ايجاد المكونات خلقه اشرف نوع الانسان
فلم من فضالته سائر الاكوان لئلا يفوت كل ذي حق حقه ولا يضيع عن اهل
مستحق كل ذلك على سبيل الحكمة والعناية الخالية عن النقص والشين وذكر انه
عقب الرسل بالرسل وقفى بعضهم على اثر بعض مؤيدا بالآيات من لدن نوح وابراهيم
الى عيسى بن مريم عليهم السلم وكان في كل اثر الغلبة للفساق والنجاة للمهتدين وهم الاقل
عددا من المتوسطين والهالكين وكذا في اثر عيسى كان بعضهم ممن اتبعوه
وكان في قلوبهم

وكان في قلوبهم رافة ورحمة فآتى اجرهم وكثير منهم فاسقون ولما اخبر تعالى عن ارسال
الانبيا متصلين الى عيسى عم وذكر حال قومهم الغابرين وقومه الغابر شرع في ذكر نبينا
صلى الله عليه واله وحال قومه الحاضر فخاطبا اياهم امرا لهم بالتقوى والايمان واعد لهم
كفلين من رحمته ونصيبين من فضله وجوده لشرافتهم وفضيلتهم على سائر الامم
لقوله كنتم خير امة اخرجت للناس جاعلا لهم نورا يمشون به يوم القيمة وهو نور المعرفة
جزاء ايمانهم بالرسول وجزاء تقويهم المغفرة لذنوبهم السالفة لان العلم شرف وتحلية
والعمل نجاة وتخلية وهذه المراتب السنية لهم فوق سائر الامم لاجل اسنيهما فهم الذات
وصفاء قرائحهم الفطرية فان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة بعضهم
اصفى وبعضهم اكدر ولهذا اشار سبحانه تنبيها على تفاوة طبقاتهم الخلقية الكاملة
بحسب الجواهر والاستعدادات بقوله لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على
شيء لخسة جوهرهم ونقصان قابليتهم والفاعل الفياض وان كان متشابها في فيضه
وجوده كما اشار اليه بقوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
لكن يختلف آثاره باختلاف القابليات يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا اما ترى ان الماء
حقيقة واحدة فعله من جانبه متشابه لكن يختلف آثاره بحسب اختلاف المواضع كما
في قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت
لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية
لقوم يتفكرون والشمس ذات واحدة وفعلها الخاص بها الاضاءة والاشراق

خوش است بعبارت ارجوانه است

ومع ذلك يكون لفعلها الوحداني آثار متضادة كتبييض ثوب القصار وتسويد وجهه
فهذا ما خطر بالبال المنكسر وحضر في الذهن الفاتر القاصر من النكات المتعلقة بهذه الكريمة
مع تضيق المجال وتغير الحال وفشو داء الجهل والوبال في الاطراف والاكناف
وترفع حال الجهلة والاراذل وتصدرهم على الاخيار والاشراف وخلو البقاع
والبلاد عن معرفة المعاد والاسرار الفائضة على قلوب العباد من خبايا علوم المبدأ
والمعاد والى الله المشتكى من زمان شاع فيه الجهل والعناد وكثر فيه الحسد واللداد
وانسد طريق المعرفة والسداد واستكبر الناس عن تعلم الحق بسبب ما حصلوه بالتقليد
وسموه علم المذهب ليتوصلوا به الى مراجعة الخلائق في البيع والاستيجار ولذلك فهم
اخرجنا الله عن مضائق ظلمات الجدليات والكلاميات الى افضية انوار الالهية
القرآنية ولرسوله الهادي الى طرق التوحيد بالبراهين ورموز آياته محمد وآله العقلية
والدعاء كفى ارشادهم الخلق وافضالهم وجزاء هدايتهم للناس واكمالهم
اولا وآخرا وظاهرا وباطنا قد تم تفسير هذه السورة المباركة بعون الله
وقدرته وعونه والحمد له والشكر له بسم الله الرحمن الرحيم
سبحانك اللهم وتبارك اسمك وتعالى ذكرك وعظمت قدرتك وعلت كلمتك
استهدت كل اشارة الى غير وجهك الكريم باطلة وكل حركة وطلب دون تحصيل مرضاتك
عاطلة انت الغاية القصوى والمبدء والمنتهى صل على وسائل جودك ووسائط
قوافل طريقك وهداة سالكي سبيلك خصوصا سيد الكل وسابقهم وذريته
وسابقهم الى عيلكم

وسابقهم الى المبدء عليهم وخاتمهم محمد المصطفى وآله المطهرين عن ادناس الملائق المقدسين عن
ادناس العوائق وبعد فهذه جملة من نكات قرآنية ذوقية ودقائق فرقانية كشفية شوقية
من اذواق السالكين الى الملكوت الاعلى واشواق الصاعدين الى الدرجة القصوى متعلقة بتفسير سورة
الاعلى واردة على قلب اقل العباد فيوضات دين الجواد ابتغاها الكل من لم حجة عقلية وسمع
باطني وبصر معنوي وفرصت عن غشاوات اصحاب القبور وحرمت بذلها الكلمة العمى الحيارى كانما
في غلم الدثور مورد اجملها في عدة تسبيحات مشتملة على دلائل صمدانية خالق الارض والسموات وكاشف
الحقائق والمهيات التسبيح الاول في الاستدلال على تقدس ذاته وتجرده وتخلق الحوادث قال عز وجل
سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى اعلم انه ليس المراد من صيغة الامر مجرد
مجرد التلفظ بما يدل على وقوع معنى الحمل بل المراد ايقاع هذا المعنى واحداثه في الوجود بحيث يتأتى
من المخاطب المأمور فكما ليس المطلوب لفظ سبح ههنا مجرد قولك سبحان ربي الاعلى والا لكان الامر
مجرد قولك سبحان ربي العظيم فقط نظرا الى ظاهر ما روي في الحديث انه لما نزلت فسبح باسم ربك
العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وآله اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال
اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت بل المقصود الاصلي
منه تحصيل العلم والمعرفة بتنزيهه تعالى عما لا يصح فيه من النقائص الامكانية وتقديسه عما لا يجوز
من المثالب الجسمانية وكل ما يوجب نقصا او حاجة في ذاته ويلزم نقصا على وجوب وجوده من التكثر والتغير
والتجسم والتصرم وسائر مذاهب الجاهلية في ذاته وصفاته والالحاد في عظمة اسمائه وحيثياته
كالجبر والتشبيه والتسفر والتعطيل الناشية من قصور او خلل او فساد في البصيرة الناشئة من كون الفلاسفة

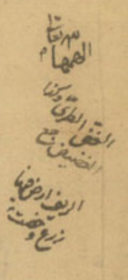
دعوى المعتزلة وعلى الاشاعرة وكذا الحنابلة ونحو ذلك ومثل ان يفسر العلى في هذه الاية بمعنى الارتفاع عن درجة الامكان والعلو عما يصل اليه العقول والاذهان بقوة الدليل والبرهان لا بمعنى العلو المكاني والاستواء على العرش حقيقة ويحتمل ان يكون المراد من اسم ربك المعلول الاول الاعلى والملك المقدس الروحاني فان اسم الحق جل شانه ليس من جنس الاصوات وعلامة ذاته لا يكون كعلامة سائر الذوات من الهيئات والتشكلات العارضة للهواء الخارج من المخارج بل علامة ذاته واسمه المقدس مما يناسب الحقيقة الاحدية والعبارة التي لا اسماء غيره هذا اذا الامر بتسبيح الاسم بمعنى الصوت فانه يسبح به لا يسبح له بل المامور به هو الاعتقاد بكون الفعل الرباني والاسم موجود روحاني مقدس عن الاجسام والجسمانيات مجرد عن الاحيان والمكانيات وذلك لان الصانع الحق سبحانه يجب ان يكون مرادا واحدا بالفعل مستقلا في الوجود والتاثير وغير الجوهر العقلي لا يكون كذلك لانتفاء ذلك من الجسم والفعلية من الهيولى واستقلال الوجود من الصورة والعرض والتاثير من النفس ويؤيد ما ذكرنا قوله سبحانه تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام لان وصف الشيء بذلك يدل على انه عاقل الذات واعلم ان اليمين واليد والامر والقلم في قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه وقوله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى والسماء بنيناها بايد وقوله عز شانه وما امرنا الا واحدة كلمح وقوله اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم انه كلها عبارات عن هذا الملك القدسي الروحاني الذي هو يمين الله وواسطة فيضه وقلم كتابة الحقائق على الواح النفوس وحجاب ذاته وسرادق عليه الذي ينتهي اليه سير السالكين الى الله تعالى فلهذا امر سيدهم وقائدهم بتسبيحه وتمجيده الدال على علو الحق ومجده فمن جملة الطرق الموصلة الى معرفة علوه وكونه في رفعة وجوده عن درجة الاجسام

الاستدلال عليه

الاستدلال عليه بخلق الحيوان الذي هو ثمرة نطفة العناصر والاركان بنوع من العناية بحسب تركيب حقيقته من النفس والبدن اما الاستدلال على علو ذاته وسمو صفاته عن درجة الاجسام بخلقه الحيوان فهو الذي اشار اليه بقوله الذي خلق فسوى وذلك ان بدن كل حيوان مقدر بمقدار معين وكيفية خاصة يتعين له ويختص به لاجل صدور افعاله المختصة وحركاته وانفعالاته الناشئة عن قواه التحريكية والاحساسية فلا جرم قدر البارئ بعنايته الحكيمة لكل حيوان مقدارا من الجسم الصالح لصدور افعاله واثاره الحيوانية وهذا التقدير هو الخلق لان الخلق في اللغة هو التقدير وايضا كل بدن حيواني مركب من عناصر واجزاء بعضها حار خفيف وبعضها بارد ثقيل وبعضها رطب لقبول الهيئة والتشكيل وبعضها يابس لحفظ ما استفيد من التقويم والتعديل فيجب ان يكون لكل منها قدر معين ليقع بينها التصالح والتقاوم حتى يتولد من كيفياتها المتعادلة المتقاومة المزاج المخصوص لو زادت تلك الاجزاء او نقصت لكان الحادث غير مزاجه الخاص وهذا هو التسوية فعلم ان ايجاده قدرا معينا من افراد الجسم لايقا لخلقه نوع من الحيوان وقدرا معينا اخر منها لايقا لخلقه نوع اخر منه تساوي نسبته الى جميع الاجسام وكل ما كان كذلك لا يكون جسما ولا جسمانيا اما الاول فلظهور انه لو كان جسما لكان فرد خاصا منه له مقدار معين اذ العام لا وجود له في الخارج وهو ثابت تساوي نسبته الى جميع الاجسام فيلزم الترجيح من غير مرجح ولانه لو كان جسما لامتنع كونه موجدا لجسم لامتناع تقدم بعض افراد طبيعة واحدة على بعض وان كان منه جسما تقرر في مقامه واما الثاني فلان افتقاره الى الجسم فيه تقيضا عنه وعلى من التسوية تصرف في الاجسام كيف شاء بالتركيب والتفصيل والنضج والتحليل فلا يكون جسما ولا جسمانيا

واولوية ان

واما الاستدلال بنفس الحيوان فهو قوله الذي قدر فهدى لان معناه انه سبحانه قدر لكل واحد من اعضاء الحيوان واجزائه المخصوصة قوة مختصة بذلك العضو مصدرا لافاعيله ومبدءا لاثاره ومنافعه ومصالحه مثل القوة الباصرة للعين والسامعة للاذن والهاضمة للمعدة والنفسانية للدماغ والحيوانية للقلب والطبيعة للكبد فقدر لكل مزاج حيواني نوعا من القوى وجعل كل مركب مزاجي الة لقوة نفسانية او طبيعية وهداها الى خصايص افاعيلها وخصوصياتها مما ينفعل عنها والهمها واوحيها الى ما ينتفع منها فانظر الى النحل كيف اوحى الله تعالى اليه فصنع بيوتها على هيئة المسدسات والى العنكبوت كيف هداها الى وضع المشكال لاقتناص ما يتقوت به من الذباب والبعوضة ومما يحكى فيها ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك بها عينها وترجع باصرة باذن الله تعالى وهداية الحق والهاماته للحيوانات في اطعمتها وجماعها وطيورها وهوامها الى ما لا يحد من مصالحها ولا يعد من حوائجها في اغذيتها وادويتها وفي ابواب اوليها واخريها ودينها ودنياها باب واسع من معرفة الله لا يحيط به العقول والاوهام بل ان لكل جسم طبيعي وفلكي مبدءا فاعليا وجوهرا نفسانيا وصورة محركة طالبة لفعل خاص يكون بصدده متوجها الى كمالها الخاص بها محصلة به كونها على اشرف حالاتها مهتدية الى ما يقربها الى باريها وجاعلها ومتشبهة في افاضة الخير والنفع على الغير بانيها وفاعلها جلت عظمته و



الهيئة فايجاده

وتقدست الهيئة فايجاده بعلمه وحكمته لكل جسم من الاجسام امرا ملكوتيا وقوة باطنية تكون مقوم نوعه وحافظا كالخدمة لبارئها وطاعة لربها وعبادة لمعبودها دليل واضح على علو ذاته عن الملك والملكوت وسمو درجته عن الخلق والامر وبعد سمكه عن عالم السموات والارضين وارتفاع حضرته عن جملة الاجسام والجسمانيين فسبحان ربي الاعلى من العاليين واعظم رتبة الى القدسيين والكروبيين التسبيح الثاني الاستدلال على عنايته وحكمته وتنزيهه وتمجيده بوجود النبات واحوال الدواب انما قدم الاستدلال باحوال الحيوان على احوال النبات لان الحيوان اشرف فكان اولى بالتقديم قوله عز وجل والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى ام الغثاء بالضم الدريس اليبس الذي يحمله السيل والاحوى الاسود فاحوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى وانبت العشب فجعله بعد طراوته وخضرته هشيما دريسا اسود ويحتمل ان يكون احوى حالا من المرعى اي انبته اسود لشدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته ووجه الاستدلال به من وجوه الاول هو ان النبات جسم مؤلف من عناصر متضادة متداعية الى الانفكاك والافتراق الى اماكنها الطبيعية فلا بد في اجتماعها في مكان واحد من قاهر جابر يجبرها على الالتيام ويحفظها عن الافتراق وليس هو نفسها النباتية لان وجودها مسبوق بحدوث المزاج المسبوق بحدوث الاستحالات في كيفيات المتضادة وحركات لا تقع الا في زمان مسبوق بحالة اجتماعها فلو كان الجابر لها على الالتيام والحافظ لها عن الافتراق هو النفس النباتي لزم تقدم الشيء على نفسه بمراتب ولا نفس حيوانية لتقدم النبات على الحيوان طبعا فلو كان نفسه سببا لاجتماعها لزم الدور وهو محال فثبت ان الموجد لاجزاء النبات

القدسيين اصر

والمتصرف فيها بالجمع والحفظ عن الافتراق والانبات موجود مقدس عن التركيب والامتزاج مرتفع عن عالم
الاجسام والاحياز وعن التخصيص بالامكنة والجهات النوع الثاني الاستدلال باختلاف احوال العرض في عالم
وطراوته ولا تغيره وفنائه وانحرافه ان المحيل له من حال الى حال والمتصرف فيه من جهة الحدوث
والزوال موجود باق متعال عن التجدد والانتقال اذ لو جاز فيه التحول والتغير وكل محول لا بد له من
محول محول وهكذا ينقل من حال الى حال فلو لم ينته السلسلة الى محول غير محول والى مغير غير متغير يلزم
الدور او التسلسل وكلاهما مستحيلان فثبت وجود موجود مقدس عن التغير والزمان متعال عن
التحدد والمكان اذ الزمان والمكان متلازمان فان قال قائل لم لا يجوز ان يكون المؤثر في خلق الحيوان والنبات
النبات شئ من طبايع الافلاك والكواكب بحسب الاوضاع والانوار لا الفاعل المختار قلنا هذا
مستحيل عند العقل لان المني الذي يتولد منه الحيوان والبذر الذي يتكون منه النبات جسم متشابه
في نفسه ومجتمع وضعه عند الفلك وقبوله لنور الكوكب لكونه مع سائر الاجزاء الارض والمركبات
التي فيها وعليها كنقطة واحدة بالقياس الى الجرم الاثيري البسيط المتشابه طبعا وتاثيرا
فالجسم البسيط المتشابه اذا اثر في جسم متشابه الذات متشابه النسبة الوضعية والاستعداد
تاثيرا متشابها فيستحيل ان يتولد ويتكون منه احوال مختلفة واعضاء متباينة في الصورة
والكيفية الا ترى اذا وضع احد شمعا مضيئا وكان ما يضيء منه خمسة اذرع من
جانب وجب ان يضيء بهذا المقدار من سائر الجوانب واما ان يضيء من احد الجوانب خمسة
اذرع ولا يضيء من الجانب الاخر الا نصف ذراع من غير حاجز ولا مانع ولا اختلاف في الجسم
الذي حوله بالشفافة وعدمه واللطافة والكثافة فهو غير معقول فثبت ان مؤثرات الطبايع الجسمانية

يجب ان يكون تاثيرها تاثيرا متشابها فلما رأينا ان تولدت من بعض اجزاء النطفة العظام ومن
بعض اخر منها اعصاب وعضلات وعروق ورباطات ورأينا ان تكونت من بعض اجزاء البذر الاوراق
ومن بعضها الاغصان والعيدان والقشور والثمار علمنا وتيقنا ان التاثير فيها ليس تاثير
مؤثر يفعل بالطبع والايجاب والاجبار بل تاثير مؤثر قادر يفعل بالعلم والاختيار حكيم
يؤثر بالجهات والحيثيات حسب ما اقتضى علمه بوجوه المنافع والخيرات وافاد حكمته الداعية
الى اخراج ما عينه وقضائه من الكونات الى الفعل بحسب مصالح الممكنات في المواد والاوقات فسبحان
العليم القدير الذي حكمته افادت هذه المكونات وقدرته اوجدت هذه المركبات بالعلم
الذي انه عالم مقدس عن عالم الاجسام والجسمانيات المنزه عن الامكنة والجهات القسم
الثاني في الاستدلال على مجده انه وتنزه صفاته عن النقايص الامكانية فضلاء المباحث
من جهة تقرير النبوات قوله عز وجل سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى و
نيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى اه اعلم ان هذا المطلب يتوقف على معرفة مقاصد
ثلثة اولها صفة النبي في ذاته وجوهره والثاني كيفية تكميل الناقصين منه والثالث اختلاف
الناس في قبول هذا الكمال منه اما الاول فاعلم ان النبي من حيث هو نبي انما يتحقق نبوته بكمال
وشرف يتعلق بنفسه وروحه لا بقوة وحشمة يتعلق ببدنه وجسمه وكمال النفس يكون
بوجهين احدهما توجهه الى الحق وهو الذي يعبر عنه بالقوة النظرية وهو ما يكون كمالا لها
بحسب هويتها وذاتها وعند رجوعها الى بارئها وعودها الى عالمها وفنائها وبقائها والثاني
توجهه الى الخلق الذي يعبر عنه بالقوة العملية وهو ما يكون كمالا لها بحسب نسبتها الى امور خارجة

الشرع في حكمها ولا اختلاف بين ملل الانبياء عليهم السلم بحسبها واما التي لم تكن بهذه المثابة فهي العقليات
التي بمنزلة الفروع والفضول فيجوز فيها الاهمال والنسيان واختلاف الشرايع فيها ونسخها بحسب اختلاف
الازمنة واحوال الامم واما قوله انه يعلم الجهر وما يخفى اشارة الى اثبات العلم له تعالى والتخلص عن
ذميمة الجهل والنقص وبيانه انه لما وعد نبيه صلى الله عليه وآله ان يجعل جوهر نفسه الشريفة عالما
بحقايق المعلومات متصفا بالعلوم الحقة المطابقة لما هي عليها في الواقع محيطا بها وفي تحقيق الصفات
الكلية والمقامات العقلية ان المؤثر في كل كمال وجمال للموجود بما هو موجود لا بد ان يكون كماله
اقوى واجل من الاثر والعلم لا شبهة في كونه كمالا للموجود من غير ان يلزم منه تغير في جسم او
تركب فاذا وجد متحقق في الخلق فلا بد وان يتحقق في الخالق بوجه اعلى واشرف فلو لا يكون
الباري سبحانه عالما بالمعلومات كلها لما قدر على جعل روح النبي صلعم مبرا من السهو والنسيان
مقدسا من الجهل والنقصان وقد ثبت في العلوم الحقيقية ان كل من كمل في العلم الحقيقي لا بد
وان يكون كاملا في جميع الصفات الكمالية للموجود بما هو موجود ومبرا عن جميع النقايص التي بازائها
فيعلم من هذا ان الباري منزه عن جميع النقايص فسبحان من تقدست كبريائه وتعظمت آلاؤه و
في الكشاف فيه انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبرئيل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في
نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من
اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فينسي من الوحي
ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء واقول كلا الوجهين لا يخرج عن بعدهم الاول والاصح الى ماذكرناه والثاني
الاشارة الى تكميل نفس النبي صلعم في القوة العملية وبحسب نسبته الى الخلق هو قوله تعالى ونيسرك

لليسرى لان معناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل ونعبر ذلك ان الناس كلهم
مشتركون في اصل القدرة على الفعل الحسن والفعل القبيح والعفة والفجور والورع والفسق
الا ان من الانسان من يكون وجه تحصيل الملكات الفاضلة عليه اسهل وطبعه عن الصفات الرذيلة ابعد
ونفسه على سلوك طريق الخير والسعادة اقدر والاجتناب عن طريق الشر والشقاء عليه ايسر لكونه
شريف النفس نجيب الطبع وهذه السهولة في الطبع عبارة عن العصمة المسماة بالخلق فمن كان سعيد الطبع
الذات شريف النفس طاهرا زكيا ذكيا تقيا نقيا كانت نفسه سهل القبول للسعادات يسير التفهيم
لوجوه الخير في الاعمال والافعال سريع الانقياد لطاعة الحق شديد الانفعال عن المبدأ الفعال
قوي الاتصال بالواهب الفياض المتعال فلا محالة يكون بما استفاض ويتعلم الحكمة الغاية من
والعلوم والكمالات مفيضا على بني نوعه ومعلما لقومه وهاديا ومرشدا لمن دونه من امته فقوله سبحانه ونيسرك
لليسرى اشارة الى هذه الدرجة كما ان قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم اشعار باستحقاق نبينا صلعم
بحسب خاصية ذاته وقوة نفسه وصفاء فطرته ونور عقله مرتبة النبوة والرسالة فقد وقعت
الاشارة الى اتصاف النبي صلعم بمجموع الكمالين اللذين لا بد للنبي من حيث هو نبي ان يجتمعا فيه صلعم واشير
اولا الى كمال القوة النظرية التي بحسب حاق جوهر نفسه ثم الى كمال القوة العملية بحسب نسبته الى غيره
وتدبيره لما دونه فقوله ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض
وقيل المراد باليسرى الشريعة السمحة التي هي ايسر الشرايع واسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة
وهذين الوجهين مرجعهما الى ما ذكرنا فتأمل فيه واما المقصد الثاني من النبوة فهو الاشتغال
بدعوة الخلق الى طريق الحق وسياقتهم الى جوار الله وعالم الملكوت وقد اشير الى ان من كان

عنها بتاثيرها فيهما وعدم انفعالها عما دونها وبتكميلها وامدادها ونفعها فيما سواها وعدم
قبولها النقص والافة والشر من اضدادها واعدائها فنفس النبي صلى الله عليه وسلم لكونه متوسطا بين الحق والخلق
لا بد وان يكون كاملة في هاتين القوتين جميعا وان كان الكمال الحقيقي والقرب من الحق تعالى يمكن
ان يتحقق بمجرد استكمال العقلية مع التوسطة في العملية كبعض اولياء الله المقربين واما الكاملين
في العمل دون العلم فهم لسوا الكاملين في الحقيقة بل لهم نوع نجاة وصلاح حال في الاخرة وليس
لهم رتبة النبوة والخلافة عندنا خلافا لجماعة من المتكلمين حيث لم يشترطوا الا العلم بما يتعلق بالاحكام
السياسة والجمعية والحكومات الفصلية في الخصومات وساير ما يتعلق بحفظ الحيوة الدنيا وتمهيد ذلك
لذهولهم عن الغرض الاصلي من بعثة الانبيا وانزال الكتب السماوية والصحف الالهية الكونية سياقة
الخلق الى جوار رحمة الله وجوده بتعليمهم طريق المعرفة ليتنوروا ذواتهم وتصير مناسبة لعالم الاخرة
ومجاورة البارئ لا مجرد حفظ حيوتهم الدنياوية مدة بل الدنيا مزرعة الاخرة والغرض من التعيش
الانسان مدة امهله الله تعالى فيها هو تحصيل زاد الاخرة بالعلم بحقايق الامور بشرط قطع علائق
وعوايق علم الزهد بالتقوى فبالتقوى يحصل الخلاص والنجاة وبالعلم يحصل القرب والمنزلة
عند الله والمتوسط بينه وبينها لا بد ان يكون كاملة العلم الحقيقية بالهام الحق وسائط
بعض ملائكته العقلية لا بالتعليم والا لم يكن متوسطا بين الخلق والحق بل بين الخلق والخلق ثم
ما فرضناه نبيا نبيا هف ولا بد ان يكون كاملا فيما يتعلق بالاحكام والسياسات الدينية مؤيدا
بالمعجزات الظاهرة ليكون دعوة للخلق مسموعا لهم خوفا من سطوته وسيئته والا فالجحود والانكار
والاستكبار عن سماع الحق والاستغال بطلب الشهوات غالب على اكثر الخلق فلا يمكن ايصال المعاني

القطيفة

اللطيفة الى قلوبهم الا بعد ان تلين قلوبهم ويسكن انكادهم ويزول استكبادهم فثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم
لا بد وان يكون كاملا في القوتين العقل والعمل فوق باقي الناس ليمكن الاخذ من الحق والتبليغ
الى الخلق ولما ثبت بالبرهان ان القوة العاقلة وكمالها اشرف من القوة العاملة وكمالها لاجرم
وجب تقديم العاقلة من جهة شرفها في الذكر على العاملة واليه وقع الاشارة بقوله عز شانه سنقرئك
فلا تنسى والمعنى انه سبحانه بشره باعطاء قوة ملكوتية ونور عقلاني يتقوى بها جوهر روحه
ويكمل بحيث يصير نفسا قدسية ونورا ساطعا منيرا مشرقا بالعلوم الحقيقية والمعارف الالهية ويصير
بحيث اذا عرف شيئا لا ينساه ويكاد زيت نفسه الناطقة يضيء بنور عقله المستفاد من جوهر الفائق
العقلاني الذي هو نار معنوية من نور الله ولو لم تمسسه نار التعليم البشري فهذا هو الذي فهمنا من قوله
سنقرئك فلا تنسى لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبرئيل عليه السلام فقيل له لا تعجل فان
جبرئيل مامور بان يقرئك قراءة مكررة الى ان تحفظ ثم لا تنسى وقوله تعالى الا ما شاء الله قيل الغرض
منه نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء
شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة يعني فلا تغفل
قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه بنسخ من رفع حكمه وتلاوته وقد علم من هذا
ان الانسان نوع من النسخ وقيل ان جوهر النفس الانسانية ما دامت في هذه النشاة الظلمانية
الهيولانية لا يصير عقلا صرفا لا يكون فيه ما بالقوة فلا جرم قد يلحقها فتور في قدرتها وضعف
في حفظها واما احاطة المعقولات واقول يمكن ان يقال ان المعقولات التي هي بمنزلة الدعائم والاركان
في المعارف الالهية كالتجنيب لا يتطرق اليها الغفلة والنسيان عنها في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي

بقراءه عليك

المتذكرين واما قدرته في جهة خلقه للجاهل والاشقياء المتجبرين فوله تعالى سيذكر من يخشى ويتجنبها
الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى اه وبيان ذلك ان الخلق في كيفية قبول
دعوة النبوة وبلاغ الرسالة واخراجهم بتعليم الهداية عن ورطة الضلالة ينقسمون الى قسمين منهم
من ينتفع بتعليم الانبيا ويتذكر بتذكير المرسلين لاجل رقة قلبه ولين طبعه وخوفه وخشيته عن سوء
العاقبة ومنهم من لا ينتفع ولا يتذكر وذلك لغلظة قلبه وجمود طبعه وغفلته عن عواقب الامور ونسيانه
امر الاخرة وامر النفس وكيفية عوده الى النشأة الثانية فالقسم الاول هو المشار اليه بقوله سيذكر
من يخشى فان الخشية والذكر متلازمان كل منهما يوجب الاخر فان من سمع دعوة الانبياء ثم خطر
بباله ان هذه الدنيا واهية فانية دائرة فاسدة على كل حال فلو لم يشتغل بعمارة النشاة
الاخرة وبما دونها في الهلاك السرمدي فقد حصل له الخوف فاذا حصلت له هذه الخشية حملته على
النظر في دعوة الانبيا والتامل في امور الاخرة ومراتب سعادة النفس وشقاوتها وما يرتبط
او هلاكها وهو التذكر وهذا التذكر يبعثه على الاجتناب عن المعاصي والرذائل والاكتساب
للطاعات والفضائل خوفا من الهلاك والعذاب وطمعا للنجاة والراحة فهو الذي ينتفع بدعوة الانبيا
واما القسم الثاني الذين لا ينتفعون بدعوتهم ولا يحملهم الخشية على تحصيل الدرجات وطلب
الخلاص عن العقوبات فاليهم الاشارة بقوله عز وجل ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى يعني
لان من اعرض عن ذكر الرحمن لاجل تسلط الشهوات الدنياوية على قلبه واستيلاء الحرص في طلب
المآرب الحيوانية من المال والجاه والنساء والبنين وغيرها على طبعه لا يكون بصدد
استكمال النفس بالعلم والعمل ولا تشتغل بفعل الطاعات وترك المعاصي والشهوات فيتوغل

في الدنيا الدنية

الاخرة م

في الدنيا الدنية ويخلد الى الارض ويستحكم علاقته مع البدن والشهوات وتقوى محبته لها
وكل من اشتدت محبته وعلاقته لشيء فان زال اشتدت محبته ومصيبته عند مفارقته
ومزايلته عنه فاذا مات الانسان الذي استحكمت علاقته الشوقية مع الدنيا ولذاتها فقد فارق
ما كان محبوبا وذهب الى موضع ليس له به معرفة ولا له باهل الاخرة انس ومعارفة فبالضرورة
كان له اذى عظيم اعظم من احتراق هذه النار الدنياوية التي هي النار الصغرى كل ذلك لاجل
اعراضه عن الذكر في امر اخرته عند رجوعه الى بارئه كما في قوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة
ضنكا وقد ظهر بالمشاهدة الروحانية للانبياء ومن تبعهم حق المتابعة ظهورا اوضح من المعاينة
الحسية ان اصناف الالام الاخروية من المعاصي على روح من اثر الحيوة الدنيا منحصرة كلها روحانية
واقصر قبل مقاساة عذاب النار الجسمانية التي تكون في اخر الامر وهي حرقة المشتهيات وخزي خجلة
المفضحات وحسرة فوت المحبوبات وبيان كل منها يحتاج الى بسطة الكلام ولا يسعه هذا المقام وجملة
العذاب والالم ليس منحصرا في الاحراق بالنار والتجميد بالزمهرير الذي مرجع التالم فيهما الى التفرق
الاتصال في جوهر مباين لجوهر الروح التي لها نوع تعلق به وارتباط شوقي به وبسبب
ذلك يتالم بفقد حال التعلق بالاتصال وبالحقيقة منشأ هذا التألم الحاصل من النار الجسمانية الذي يكون
اشد من الالام الحسية هو المحبة والالف بالبدن وهو جسم من الاجسام خارج عن حقيقة
الروح فاذا كان هذا حال الروح لاجل فقد الاتصال او الامتزاج بين اجزاء هذا
المحبوب المباين عن ذات الروح فكيف يكون حالها عند وجدان الخلل والنقص
والافة في جوهر ذاتها عند فقد الات الوصول الى مشتهياتها ومحبوباتها كلها كما

يكن

كاملا في مجموع القوة النظرية والقوة العملية في الغاية بحيث يقدر على تكميل غيره فهو النبي صلى الله عليه وسلم وان لم
كاملا في المجموع بل في النظرية فقط مستغرقا في شهود جمال الحق وجلاله بحيث لا يسعه الاشتغال عنه
الى ذاته المستنيرة بنور الله فضلا عما هو خارج عنه وعن مولاه فهو الولي والعالم المضمحل في مقام الفنى
اعيان مقام وحدة المحض فهو دون الرسالة لان الكمال المطلق انما يتحقق بان يكون الشيء بما فوق التمام
وضيق الصدر عن احد الجانبين وهو حجاب الخلق مع سعته لجانب الحق نوع قصور والكامل المطلق
من كان جامعا للحد المشترك بين عالم الامر وعالم الخلق واسعا صدره للخلق والحق ويكون تارة مع الله
بالعبودية والتبتل وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة عليهم فاذا رجع من ربه الى الخلق
صار كواحد منهم كانه لا يعرف الحق واذا خلا مع ربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق
فهذا سبيل المرسلين والصديقين فلما حصل تمام نفس النبي صلى الله عليه وسلم بسبب كمال الجانبين وتمام القوتين
العلمية والعملية وجب ان يصير في التمام بافاضة الكمالات على الناس وفي اشراق الانوار على
وجوه المستعدين وذلك هو دعوة الخلق الى طاعة المبدأ والمعاد وسياقتهم الى سبيل النجاة من
افة النقص والوصول الى منبع الحيوة وهي المسماة بالرسالة وملاكها التذكير والتعليم بقوله تعالى
فذكر وهو امر فالنبي مأمور من الله بفعل الرسالة اي بتكميل الناس على قدر استعدادهم وتعليمهم على قدر
قوتهم وطاقتهم لدرك العلوم الحقيقية واكثر الخلق لا يدرك الحقائق الكلية واصول الموجودات
الا على سبيل التمثيل والتشبيه والانبياء مأمورون بدعوة الخلق والتكلم معهم على مبلغ عقولهم
لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وعقول اكثر الناس بمنزلة
الخيال والوهم ولذلك كان تعليمهم حقائق الايمانية على رتبة التمثيلات انسب لطبائعهم الغليظة

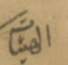
الناس اصد

خصوصا الاعراب

خصوصا الاعراب والبدويين وربما بلغ بعضهم في الغباوة والبلادة بحيث لا ينجع لهم نصح
ولا ينفع فيهم وعظ وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم لاجلهم انك لا تهدي من احببت وبقوله تعالى انك لا تسمع الموتى
ولا تسمع الصم الدعاء فقوله سبحانه ان نفعت الذكرى وان كان بحسب الظاهر شرطا للتذكير لكن ليس
الغرض منه ان تذكيره صلى الله عليه وسلم اياهم مشروط بالنفع بل الرسول صلى الله عليه وسلم مأمور بالوعظ والتذكير سواء
نفع او لم ينفع كما ان الشمس شأنها الاضاءة سواء قبلت الاجسام التي تحاذيها ام لم تقبل فنفس
النبي صلى الله عليه وسلم في افاضة الانوار العلمية على النفوس بمنزلة الشمس في افاضة الانوار الحسية على الاجسام
المختلفة الاستعداد لقبول النور ونفوس الناس بعضها بمنزلة القمر وبعضها بمنزلة الاجسام
المستنيرة كالمرائي الصيقلة وبعضها بمنزلة الاجسام المظلمة الكدرة بل الغرض منه الاشعار
بغباوة بعض النفوس وتحصيهم عن ادراك الحقائق والاخبار عن غلظة طبائعهم وجمود قرائحهم
والاستبعاد لتأثير الذكرى فيهم والتسجيل على قلوبهم بالطبع والرين كما يقول الواعظ
فلانا ان سمع منك الوعظ وقبل النصيحة قاصدا اياه بهذا الشرط مجرد استبعاد للتأثير
لو تحقق لا غرضه تعليق حيث ان الله تعالى كما يعلم الكليات والعقليات يعلم الجزئيات والحسيات كما
يعلم الجهرية النورية العقلية يعلم الخفيات الظلمانية الحسية وكما انه واقف باسرار القلوب مطلع
على ضمائر العقول كذلك بصير باعمال العباد سميع باقوال الخلق في البلاد فسبحان الذي لا يجري شيء في ملكه
وملكوته الا بقضائه وقدره وسبحان من تقدست ذاته عن ان يغفل عما يفعل عباده من خيره
وشره ونفعه وضره التسبيح الرابعة الاشارة الى اختلاف نفوس الخلق في السعادة والشقاوة
بحسب الكمال العلمي وعدمه ليستنبط منه العارف الذكي علمه تعالى وقدرته اما علمه فمن جهة ايجاده للعالم

الصقيلة

في قولهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون فهذه نار الله المعنوية الموقدة التي تطلع على الافئدة
التي نسبة ايلامها الى ايلام هذه النار الجسمانية نسبة الروح الى البدن في الوجود والادراك
وساير الاشياء التي يتصف بها الروح بالاصالة والذات والبدن بالتبعية والعرض فقوله سبحانه
يصلى النار الكبرى يمكن ان يكون اشارة الى النار المعنوية التي ملاكها عدم الايمان الجحود
والجهل المضاد للعلم بالمعارف الحقة الالهية التي بها قوام الروح الانساني ووجودها الاستقلالي
كما برهن عليه في مقامه مع اكتساب الرذائل في ايثار الدنيا على الاخرة وهي عذاب الجحيم المعنوي
التي يعظم ايلامها الى الايلام الكبرى فان الم الكبرى يتعلق بالروح لاجل ترك التذكر لمعرفة
الله والجهل المركب والرذائل النفسانية والصغرى تتعلق بالجسم لاجل المعاصي البدنية والمظالم الحسية
التي تشهد بها الجوارح والاعضاء ويؤيد ذلك انه قيل الكبرى نار الاخرة والصغرى نار الدنيا
وقوله ثم لا يموت فيها ولا يحيى يوضح ما ذكرناه واشرنا اليه فيها وجه اجمالي ان حيوة الاخروية
وما به قوام الروح في النشأة الاخروية انما يكون بالمعرفة باحوال المبدأ والمعاد وكيفية انزال
الكتب وارسال الرسل والاعتقاد بحقيقة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه النصوص الشرعية و
الاحكام العقلية وقد بسطنا القول فيه في بعض كتبنا الحكمية الالهية وهذه الحيوة الثانية
للروح لاجل المعاد حيوة روحانية وما به يزول هذه الحيوة عنها هو الجهل المضاد لها
هو نار معنوية لا محرقة فاقل مراتب الحيوة المستقرة للروح الانسانية انما يحصل بتحصيل
هذه المعارف الايمانية على وجه يطمئن به القلب وان لم يبلغ الى درجة البرهان القطعي
ولم يتجاوز عن الظن الغالب كما في اكثر عوام اهل الاسلام بشرط السلامة عن



الهيئات الخبيثة الشديدة والرذائل الراسخة في القلوب وذلك اقل مراتب النجاة ثم كل
ما ازداد يقينا وانكشافا ازدادت حيوته قوة واستقرارا حتى يلتذ بلذات النعيم على وجه
الكمال كانسان تام الاعضاء صحيح المزاج قوي القوى الادراكية واما فاقد اصل الايمان و
العمل رأسا فهو بمنزلة انسان مقطوع الاعضاء والاطراف الذي لا استقرار لحيوته الجسمانية
فكما ان من هذا حاله في الدنيا يقال له انه متوسط بين الحيوة والموت في الدنيا فكذلك الروح
التي ليس لها معرفة حقيقية ولا اعتقاد حق حالها في الاخرة انها لا تموت فيها ولا تحيى فقد ظهر
ان الله تعالى لسابق قضائه الازلي نظم ترتيب العالم الاخروي على وفق نظامه للعالم
الدنيوي فكما ان بعض الناس بحسب الحالة الدنياوية سعيد وبعضهم شقي فهكذا في
الاخرة بعضهم سعداء اخيار وبعضهم اشقياء اشرار وكل ذلك يدل على علمه بوجه
النظام الاوفق وقدرته على ايجاد كل مرتبة من الوجود واعطائه لكل شخص ما هو اللايق
وكما ان السعادة قسمان دنيوية واخروية والدنيوية قسمان داخلية كالصحة والسلامة
وخارجية كترتب اسباب المعاش وحصول ما يحتاج من المال والجاه والاخروية ايضا
قسمان علمية كالمعارف والحقائق وعملية كالطاعات والخيرات فكذلك يتعدد اقسام الشقاوة
باضدادها لكن السعادة والشقاوة بحسب العلم والجهل ذاتيتان ازلا وابدا مخلدتان
دائما وسرمدا واما بحسب الاعمال الحسنة والسيئة فيترتب عليها المكافاة والمجازاة
ويتقدر بحسبها المثوبات والعقوبات كقوله تعالى جزاء بما كانوا يكسبون فلا يكون بهذه
الشقاوة مخلدة الا ما شاء الله ويتركب بعضها مع بعض ويتفرد الاان اكثر ا بسطنا

واكبرها بتبع الجهل المركب وغلبت الحسنات واعظمها بتبع العلم ولهذا الله وقعت اولا
الاشارة الى قسمة الخلق بالسعادة والشقاوة اللتين بحسب العلم والجهل المعبر عنهما
بالتذكر والتجنب لامر يخشى بسبب تذكرة الامور العاقبة والى من يتجنب لجهله وغفلته
عنها او يلتبث وخامة عاقبة الموصوف بشقاوة الجهل المسند حيث عبر عنه بصيغة
التفضيل المشعر بان شقاوة الجهل اعظم من شقاوة المعاصي البدنية واوعد عليه بصلى النار
الكبرى المعنوية التي ايلامها اشد من ايلامات لا ايلام ثم اخبر بانه لا رتبة له في الوجود لكونه
كسائر الاشياء الضعيفة القوام في الوجود كالهيولى والزمان والحركة التي لا قوام لها
في انفسها الا بامر خارج عن ذاتها كالمحل وغيره وذلك لان قوام الدار الاخرة بالمعارف
فمن لا معرفة له لا حيوة له ولا موت ايضا لان الروح الانسانية الناطقة لا تفسد بالكلية
كما برهن عليه فلها عند قصورها عن درجة التمام حالة متوسطة بين الحيوة
والوجود الاستقلالي وبين الموت والعدم المحض واجمل بيان عاقبة الموصوف
بسعادة العلم لعدم امكان تفهيم الناس كيفية ما وعد للعرفاء الالهيين واعد لهم
مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فبعد ذلك وقعت الاشارة
منه تعالى الى قسمة الناس بالسعادة والشقاوة بحسب العمل كما توضحه انشاء الله سبحانه
التسبيح الخامس في الاشارة الى اختلاف الخلق بالسعادة والشقاوة العمليتين في قوله عز
قوله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحيوة الدنيا تزكى
اى تطهر من الشرك والمعاصي والمراد تنقية القلب والباطن عن الرذائل الاعتقاد

الصلوة العقلية

الصلوة العقلية واستفاضة المعارف الحقيقية بالتكلم الحقيقي مع الله فان الصلوة معراج
المؤمن والمصلي مناج ربه او تطهر للصلوة هذا بحسب تنظيف الثوب وتهذيب البدن عن الاخباث
والاحداث لاستعداد الصلوة الجسمانية التي هي رياضة جسدانية للمؤمن بحسب حيوته
الحيوانية ونسبة الصلوة المعنوية الى هذه الصلوة الظاهرة نسبة الروح الى البدن بحيث يحتاج
كل منهما الى الاخر ما دامت الحيوة الدنيا باقية واما عند الاخرة فلا ينقطع عن العارف تلك
الصلوة الروحانية ابدا وقيل معنى تزكى تكثر في التقوى لانه من الزكا وهو النماء او تفعل
من الزكاة كتصدق من الصدقة فصلى اي فصلى الصلوات الخمس وغيرها كذا قال الامام للصلوة
والى الزكاة وعن امير المؤمنين عم اي اعطى زكوة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلوة
العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى
انها مغايرة للصلوة لانها معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه تعالى
عز وجل وعن ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له ولعمري العرفاء في
هذه الاية ان الصلوة الجسمانية وان كانت عبادة بدنية لكن صحتها موقوفة
على معرفة المعبود وتذكره باسمائه وصفاته التي يليق به بل الاعمال كلها لا تتم شرعيتها
وصحتها الا بنية التقرب اليه تعالى والطاعة لامره تعالى وكفيه وخصوصا من جملتها
لانها عماد الدين وهما عبارة عن هيئة الانسان في ظاهر الامر عن هيئة الحيوانات
التي لا خضوع لها فذكر الذكر ههنا من باب المقدمة لما ذكرنا ان سوق الاية
لبيان قسمة حال الانسان الى السعادة العملية والشقاوة التي بازائها المحسوس المقابلة

بينهما فبين قسمة حاله الى السعادة العلمية والشقاوة التي بازائها فيما تقدم والنكتة
في اختصاص الصلوة والزكوة من بين الاعمال الصالحة هو ان الغرض من الاعمال
والرياضات البدنية ليحصل للروح هيئة التنزه عن الاغراض الخسيسة والتجرد عن الامور
الكثيفة المادية الظلمانية وصفة الاستعلاء لها على القوى الادراكية والتحريكية ليتجرد بها
بالتعويد من عالم الغرور الى عالم السرور ومن معدن الجور والزور الى
منبع الحيوة والرحمة والنور حيث لا يزاحمها في مطالبها بل تشايعها في مآربها و
تقتدي بهديها وتطيعها وتسلم لها في اوامرها وزواجرها حتى تخرط معها في
سلك طاعة الله وعبوديته ثم لا اشتبهت في ان مبناء تمرد القوى وعصيانها
عن طاعة النفس انما يكون باحد امرين احدهما ميلها الى الشهوات والمرغوبات
الحسية المضادة للامور الروحانية والاغراض العقلية وثانيهما الكسل والتثبط
عن طاعة العقل واذا الكل منهما انما ينقطع بسببه وحسم مادته او بعد ضده
عليه وعمدة اسباب الوصول الى الشهوات هو المال لان بالمال يتمكن الانسان من تناول
كل لذيذ ومباشرة كل مشتهى فبترك المال يقطع جميع اسباب الشهوات الدنيوية
وهو المراد بقوله قد افلح من تزكى ومنشأ الكسل لرزق الطبع هو انما يكون
لاجل استيلاء السكون والضعف وعدم النشاط والانبعاث في القوى المحركة
فيعالج هذا المرض والافة فيها بفعل ضده وهو التحريكات البدنية كالصلوة
والصوم والحج فالصلوة عمدة الجميع فاكتفى بذكرها اذ مع كونها متضمنة للاذكار

والاوراد مشتملة

والاوراد مشتملة على الحركات البدنية من القراءة والقيام والركوع والسجود حتى قيل ان بدن
الانسان لاجل قواه النفسانية بمنزلة خشبة جامدة يراد انعطافها ولينها فعرضت على النار
فلانت فلذلك يجعل البدن منحنيا بالركوع ثم مرة للمستقيم مرة اخرى ثم يجعل اشد
انحناء بالسجود مرتين فان هذا البدن متين فاوغل فيه بالرفق ولا تبغض طاعة الله
على نفسك وقيل ايضا اذا وقعت السجدة الثانية فتحصل ثلثة انواع من
الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع تنجو من عقبة الشهوات وبالسجود
الاول من عقبة الغضب الذي هو رئيس المؤذيات وبالسجود الثاني من عقبة الهوى الداعي
الى كل الضلالات فاذا تجاوز نفس الانسان عن هذه الدركات وتخلصت عن هذه المهلكات
المهلكات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات الصالحات واما الحج فاشتماله
على الحركات الشديدة في البراري والرياضات البدنية وغيرها لا يحتاج الى البيان لظهوره واما
الصوم فانه وان كان في ظاهر الامر من باب السكون الا انه يحرك الباطن حركات عظيمة
ويشوقه الى طلب المعارف والسلوك الى الجنة العالية كما يحكم به الوجدان فالحاصل ان
فعل الصلوة وايتاء الزكوة عمدتا الاعمال الصالحة البدنية وهما مستلزمتان لسائر الخيرات
والطاعات العملية التي بها يحصل للانسان السعادة الاخروية واما الشقاوة التي
تكون بازائها فهي انما يحصل للانسان لاجل فعل المعاصي وترك الطاعات ومنشأ ذلك
انقياد القوة العقلية وطاعتها للنفس الامارة وهو بعينها الشيطنة وقوتها
الشهوية والغضبية والعقل الانساني في طاعته وخدمته لهذه القوى المتنزلة اي

الهوى والشهوة والغضب بعينه بمنزلة انسان يخدم شيطانا مريدا وكلبا عقورا وخنزيرا نجسا ويرود به في تحصيل مطالبهما ويصرفه في تيسير ملاذهما ومرغوباتهما ومثل هذا الانسان لو بقي هكذا مدة عمره ولم يرجع الى طاعة الحق بالتوبة والانابة والتدارك فما فرط في جنب الله تعالى ولم يسع في تلافي ما وقع منه فمنزلته اخس من منزلة الحيوانات الهالكة لقوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل لان خادم الشيء ادون منزلة من المخدوم والغاية فسبحان من اناط حوز السعادة بمصائره وسنته واحدث الشر والشقاوة بقضائه وحكمته جل جنابه تعالى عن النقص والقصور في صفات والافعال وتقدس ذاته تعالى عن تخييل الاشباه والامثال وتمجد جنابه عن تصوير الاضداد والانداد وغير ذلك مما يتوهمه الفكر والخيال من المحال وتعالى عما يصفه العقلاء فضلا عن الجهال

پاک ازانچه عاقلان گفتند پاک تر زانکه غافلان گفتند

التسبيح السادس في تقرير امر المعاد واختلاف حال الناس بحسبه لاجل اختلاف هممهم في طلب اللذات اذ النفوس الخسيسة الدنية يطلبون العاجلة والدنيا والعقول العالية الزكية الشريفة يطلبون الاجلة والعقبى قوله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى اه فهذه الاية اشارة الى مطلبين الاول بيان ان سبب اعراض اكثر الخلق عن اكتساب المعارف الالهية واقتناص الحقائق العقلية ايثارهم الحيوة الدنيا وشهواتها على الحيوة الاخرة وخيراتها وذلك لاستيلاء الدواعي الجسمانية من القوى الوهمية والشهوية والغضبية على القوة العاقلة فبحسب تسلط قوى

عس م

القوة الجسمانية على القوة العقلية تكون قوة الرغبة الى الدنيا وشدة النفرة عن الاخرة ولا يخفى عليك ان دنياك ليست الا حالتك قبل الموت من جهة استعمال الحس والحركة في جلب المنافع البدنية ودفع المضار الجسمية بقوتي الشهوة والغضب واخرتك ليست الا حالتك بعد الموت وقطع علاقتك عن هذا البدن المظلم من جهة الاستعمال المشاعر الاخروية من السمع والبصر وغيرهما حسب ما يناسب اعمالك وافعالك وشرح ذلك مما يطول وبالجملة كل من غلب عليه الميل الى مزخرفات الدنياوية لابد ان يكون اعمى القلب عن ادراك الامور الاخروية بعيدا عن تذكر الايات الالهية ولذا لا ينفع التذكير والنصح لهم كما اشير اليه سابقا المطلب الثاني ان نيل السعادة الاخروية ودرك اللذات الاجلة التي تنال بمشاعر في ذلك العالم اجل وادوم والدليل على هذا المطلب امور اولها ان كل واحد من اللذات العاجلة كالفوز بالشهوات البهيمية والرياسات الحيوانية لا يخلو من نقايص جمة كشوب بكروه ووصمة انقطاع وانقضاء وتعقب بلا ايلام فقد فواتها ونقص الخصايص الحاصلة منها الاول كما في تقاضي الشهوة وداعية الغضب فانهما سريعة الزوال وسريعا والثاني كالملك فان الملك وان يمل بداية لكن لا ينفك عن الاملاك في المقاصد التي يطلب لاجلها الملك غالبا واللذة الاخروية بالخلاف في جميع ما ذكر لبراءتها وخلوصها عن شوب مكروه ووصمة نفاد وتعقب ايلام لا في ذاتها ولا في ما يصحبها وثانيها ان كل مرتبة نيلت من لذات الدنيا لن يقنع المصيب لها دون البلاد الى الاحاطة بما

لغور خ

وذلك م

فوقها والتشوق الى الوصول الى ورائها مع استحالة الوصول الى لذة لا يكون وراءها لذة فوقها وهذه بخلاف لذة الاخرة اذ فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ولكل من اهل الاخرة ما يبلغ اليه همته ويصل اليه قصده وشهوته وثالثها ان اللذة الدنياوية مشتركة فيما بين الناس والبهائم والديدان والخنافس واللذات الاخروية مشتركة فيما بين افاضل الناس من الانبياء والاولياء والسعداء وافاضل الملئكة ورابعها ان هذه اللذات الدنياوية لو كانت بنفسها خيرات حقيقية وسعادات كمالية كان الاكثر كان الفائز بها اكمل وسعادته اكثر ومعلوم انه ليس كذلك لانا لو فرضنا رجلا من العقلاء لا همة له الا الاكل والشرب والوقاع وكان مدة عمره مقصورا على تحصيل هذه المهمات لكان عند العقلاء منسوبا الى الخسة والدناءة والى انه كالبهيمة واما من كان اعراضه عن هذه الاحوال اشد وبعده عنها اكثر كان الى الكمال والشرف اقرب والى الروحانيات واهلها انسب فعلم من ذلك ان اللذات الاخروية وما عند الله خير عند اولي الالباب وذوي الاراء الصحيحة من اللذات الدنيوية ولهذا السبب كان الانسان لا يقدم على الجماع عند حضور الناس فلو كانت تلك اللذة من باب الكمال لكان اظهوره اولى من اخفائه لا محالة وكذا لا يفتخر العاقل بكثرة الاكل والشرب ويفتخر بالعلم ولو في شيء خسيس ويفرح به ويغتم بالجهل ولو في شيء حقير وحتى ان الانسان لا يكاد يتجاوز بالعلم عن التحدي بالعلم والافتخار بمعرفة الاشياء الحقيرة فالعالم بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم واظهار

بعلم

المعرفة فيه كل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كونه كمالا حقيقيا فان العلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال او ما ترى ان الانسان كيف يرتاح اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند ذلك جمال ذاته وحسن نفسه حسنا لا يناله ابدا فيتعجب بنفسه ويلتذ بها فليس لذة العلم بالمتغيرات والعلوم الجزئية والصنائع كالنحو والصرف والعروض وصنعة الحراثة والخياطة كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض لان لذة العلم بقدر شرفه وشرفه بقدر شرف المعلوم وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واشرف واعظم من الحق المعبود وصفاته وملائكته وملكوت سمواته وارضه وكتبه ورسله وبهذا يتبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم بالله وصفاته وافعاله وتدبيره من ملكه ولهذا اعتنى بتحصيله الانبياء والحكماء والعرفاء وهو الذي تتجوه شرفهم وكمالهم وفضيلتهم على سائر الخلائق لا بنفس الاعمال الجزئية والافعال البدنية والعلوم التي تتعلق باصلاح تلك الاعمال والافعال التي وجودها بقدرتنا واختيارنا وبالجملة العلم كمال الروح والعمل كمال البدن وكما ان جوهر الروح اشرف من جوهر البدن كان لذتها وكمالها اشرف ولذة من كمال البدن فالابتهاج بمعرفة الله وهي اصل المعارف اشرف من الابتهاج بالمطعم الشهي والمنكح الشهي والملبس البهي والظفر بالاستيلاء على العدو الذي هي حيوتي والمعرفة من الامور الاخروية التي تظهر للنفس بقدر ظهور سلطان الاخرة عليها وكما ان الدار الاخرة موجودة الان كما عليه المحققون وظهورها يتوقف على رفع الحجاب بالموت فكذلك المعرفة وان كانت حاصلة للعرفاء لكن قدر اللذة بها خافية في الدنيا لاجل الحجاب والحجاب بينك وبين الله هي انيتك

المهني ل

ودنياك اشتغالك وتعلقك بعلايق الدائرة الفانية من ما ضدنا مكث قيامته
الى القيمة الصغرى فعلم مما ذكرنا ان حصول اصل المعرفة بالله تعالى في الدنيا يوجب اللذة العظيمة
الوافرة الدائمة عند رفع الحجاب اى في الاخرة بل التحقيق ان نفس المعرفة الحاصلة ههنا بالبرهان
اليقيني هي التي تستكمل بعينها في الوضوح والجلاء عند زوال الغشاوة وكشف الغطاء وينقلب
مشاهدة ولا يكون بين المعلوم في الدنيا بالعلم البرهاني والمشاهد في الاخرة الا من حيث شدة
الوضوح وضعفه ولهذا قيل المعرفة بذر المشاهدة وكما ان اختلاف البذر يوجب اختلاف
المزروع والثمرات حيث يحصل من البر البر ومن الشعير الشعير فكذلك الدنيا مزرعة الاخرة و
معارف الناس في الدنيا مختلفة فيكون مشاهداتهم في الاخرة مختلفة نوعا وعددا وقوة و ضعفا
فمن لم يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الاخرة بالشهود العقلي والبصيرة العقلية وكما انك
ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المنكوح والمطعوم وترى من يؤثر لذة العلم لانكشاف
مشكلات ملكوت السموات والارض وساير الامور الالهية على الرياسة وعلى المنكوح والماكول اجمع فكذلك
يكون في الاخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المنكوح
والمطعوم وهؤلاء باعيانهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثار لذة العلم والمعرفة
والاطلاع على اسرار الربوبية وقال الجامي الدار فلا التفات لهم الى الجنة بل الى رب الجنة
فكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا ينظر اليه في الاخرة ولا يتجلى الله له اصلا اذ ليس يستأنف
لاحد شيئ في الاخرة ما لم يستصحبه من الدنيا فلا يحصد الا ما زرع ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى واضل سبيلا   هر كه امروز نبيند اثر قدرت دوست   غالب آنست كه فرداش نبيند ديدار

نبيند ديدار

فقد علم من جميع ما ذكرناه وما فصلناه ايضا في مواضع من كتبنا ورسائلنا
ان العيش عيش الاخرة وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون لانها دار العلم وما
الحيوة العقلية وان منشا ايثار الحيوة الدنيا على الاخرة انما يكون الجهل بلذة المعارف والعمى
والحرمان وكثافة الطبع وغلظة القلب وخبث النفس حتى ان نفس بعض الادميين بمنزلة بدن
مقطوع الاعضاء الذي لا ثمرة له في الحيوة ولا حاصل له في الكون وكل من انتهى حاله الى ادراك
المعرفة الالهية فلا بد ان يلتذ بالمعرفة ويحب لقاء الله ومشاهدة ذاته بالبصيرة العقلية
فيحب الموت ولا يكرهه البتة الا من حيث ينتظر زيادة استكمال فيها لان بحر المعرفة لا ساحل
لها ولا احاطة بكنه جلال الله وعظمته مما لا مطمع فيها وعلامة عدم العرفان عدم حب اللقاء
وعلامة عدم الحب كراهة الموت وايثار الحيوة الدنيا مع كون الاخرة خيرا وابقى في نفس الامر وعند
اولي الالباب قال الله تعالى يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين فجعل سبحانه تمنى الموت علامة صدق الولاية والمعرفة وقال سيد الموحدين وامام العارفين
علي بن ابي طالب عليه السلام والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه وقال عليه السلام
عند وقوع الضربة من ابن ملجم عليه اللعنة على راسه الشريف فزت ورب الكعبة لعلمه اليقيني بان الاخرة
خير له اذ بها الظفر بالمقصود ومشاهدة جمال المعبود فسبحان من تجلى لقلوب اوليائه بنور
الجمال وكشف عن بصائر احبابه حجب الجلال فتاهت ارواحهم في الملكوت وبقوا حيارى في
كشف الجبروت فخاضوا في بحر اليقين واصبحوا في جمال الذات هايمين وبحق العباد الذاكرين
القايمين اللهم الطف اسرارنا باشراق الحضرة وارواحنا بشوق الدوام الى شهود جمالك

بقائها حتى تحيرت في سبحات وجهك الكريم وطاشت ودهشت عند تجليات حسنك وتلاشت
في حكم الشهود عليها بنفي الرجوع والزمها الاعتراف بلا اله الا الله الواحد الاحد المعبود المشهود
التسبيح السابع في ان هذه المعارف المذكورة في هذه السورة التي هي اصول الحقايق ومعاظم
المطالب اعني معرفة الالهيات اولا ثم معرفة النبوات وسطا ثم معرفة الاخرة اخيرا هي الدين الالهي
والصراط المستقيم المتفق عليه جميع الموحدين والمجمع عليه كل الانبياء والمرسلين ولا يختلف باختلاف
الاعصار والنحل ولا يتغير بتعاقب الاديان والملل ولذلك قال تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف
ابراهيم وموسى اه يعني ان هذه المعارف المسطورة في هذه السورة والمسائل والمباني التي في
هذه الكريمة الالهية واردة من الله في الصحف الاولى للانبياء فايضة على صحايف ضماير الاولياء
لان سعادة الانسان وكرامة نفسه الا بالاشتغال بهذه المطالب وخلاصه عن شقاوة
الجهل منوط بالاعراض عن الدنيا وساير الغايب وروى صاحب الكشاف عن
ابي ذر رضي الله عنه انه سأل رسول الله صلعم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب
منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلثون صحيفة
وعلى ابراهيم عشر صحايف والتورية والانجيل والزبور والفرقان وجميعها مشتركة في
طريق واحد ومسلك جامع هو العلم بالله واسمائه وافعاله وكتبه ورسله واليوم
الاخر مع الخلوص عن غشاوة الدنيا باصلاح الجزء العملي من النفس وهذه سبيل الموحدين
جميعا من الانبياء والاولياء والعرفاء قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله انا

صحايف
صحف

ومن اتبعني

ومن اتبعني وسر هذه المعارف هو علم حقيقة النفس وكيفية استكمالها وتطورها
من لدن حدوثها وكونها عقلا هيولانيا الى غاية تمامها وكمالها عقلا بالفعل متصلا بعالم
وحضرة الالهية والغرض الاصلي من بعثة جميع الانبياء والمرسلين هو رجوع الناس الى
التجرد عن العلايق والاستكمال بالحقايق قال بعض العرفاء وكما ان الاسم الالهي جامع لجميع الاسماء
مشتمل لها مع احديته كل طريق بنوعه فانه ودعوته جامع طرق جميع الاسماء كلها دون عوتها
وان كان كل من تلك الطرق مختصا بالاسم الذي يربه مظهره ويعبده المظهر من
ذلك الوجه ويسلك سبيله المستقيم الخاص بذلك الاسم وليس الجامع لها الا
ما سلك عليها المظهر المحمدي والنشأة الجامعة الاحمدية صلوات الله وسلامه عليه
وآله واتباعه الى يوم القيمة وهو طريق التوحيد الذي عليه جميع الانبياء والاولياء
ومنها يتفرع الطرق ويتشعب ومن هنا رسول الله صلى الله عليه وآله لما اراد
ان يبين ذلك للناس خط خطا مستقيما ثم خط من جانبيها خطوطا خارجة من ذلك
الخط وجعل الاصل الصراط المستقيم الجامع والخطوط الخارجة منها جعل سبيل الشيطان
كما قال ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله واعلم ان المعارف والحقايق التي بها تستكمل
الانسان ليس عند جمهور الناس شيئ منها الا الخيالات والاشباح ولذلك لا يحصل
لهم منها بعد تقليدهم من الانبياء واعترافهم بها تسليما وانقيادا الا شبح الكمال ومثاله
دون حقيقته لانها علوم واسرار لطيفة لا ينكشف لاحد الا بعد تلطف نفسه
وتنور روحه وتقدس جوهره وصفائه فههنا اما بحسب الفطرة كما للانبياء والاولياء

او بحسب الرياضة والمجاهدة كما للحكما والعلما ولهذا قال بعض الحكما من اراد الحكمة
الالهية فليستحدث لنفسه فطرة اخرى فالانبيا الغاية صفا اذهانهم وفرط ذكاء
عقولهم اخذوا هذا العلم عن الملائكة الفعالة وحيا والهاما بتاييد الله عز وجل
واما الجمهور من الناس فليس لهم طريق الى هذه المعرفة الا ايمانا وتسليما او تصديقا
بل يريدون طريق الكشف والبرهان والوصول الى الحقايق واستيضاحها بالبصيرة
العقلية التي نسبتها الى العقليات الحقيقية المنورة بنور الحق نسبة البصر الى الحسيات
المادية المستنيرة بنور الشمس فهم يحتاجون الى ان يكون لهم نفوس ذكية وقلوب صافية
واذن واعية واخلاق طاهرة وان يكونوا غير متعصبين لمذهب دون مذهب
في هذه الاراء التي لا تختلف باختلاف الاديان والملل كما نبه عليه قوله تعالى آمن الرسول بما
انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد
من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا
الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فهذه الاية اشارة الى هذه المراتب الثلثة
للانسان في الاعتقاد بالمعارف الالهية فقوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه اشارة
الى مرتبة الانبيا وهي الدرجة الاعلى في الايمان والمعرفة لانها حاصلة من جهة نزول المعارف
الالهية وفيضان الحقايق الربانية على عقولهم الذكية النورية التي يكاد يضيء زيت
نفوسهم الناطقة لفرط استعدادها نورا وعلانيا ولو لم تمسسه نار التعلم البشري
كالكبريت الذي ربما يشتعل بنفسه بادنى وصول حرارة النيران المحرقة اما من

غير تخلف مادة ومادية

غير تخلف مادة ومادية لا يقبل المادية والنفوذ كما هو حكم نفوس الانبيا حيث
ابدانهم المكتسبة لها خاصية الروح من جهة الادراك والصعود الى عالم الافلاك
والولوج في علم الجنان ودار الحيوان مع الابدان وقوله تعالى والمؤمنون كل آمن الى قوله و
اليك المصير اشارة الى مرتبة الحكما والعلما الربانيين حيث بلغوا الى مراتب العلم و
العرفان ووصلوا الى حقايق الايمان من العلم باحوال المبدء وكيفية الصنع والابداع وكيفية
خلقه للملئكة الروحانيين وافاضة العلوم والمعارف الحقة على الالواح العقلية المحفوظة
عن الفساد ثم على الكتب السماوية المحروسة عن النسخ والافات ثم على قلوب انبيائه الكاملين
المعصومين عن الخطا بحسب مصالح العباد على وجه كلي يؤدي الى اسعادهم في المعاد من غير
اختلاف لاحد من الرسل واصحاب الاديان في اصول الحقايق الحاصلة لهم من الله سبحانه بقوة
ملكوتية ولخواص اممهم بقوة الذكاء والوجدان وتصفية الباطن بالرياضات العلمية
والعبادات القلبية واتباعهم للانبيا صلوات الله عليهم اجمعين في طريق السلوك الى الله
بتكميل ذواتهم بصفة الكمال الذي ينحصر في المعرفة بالله وصفاته وافعاله بعد اصلاح الجزء
العملي من نفوسهم بسماع الايات والذكر الحكيم وطاعة الملكوت وتسخير القوى الشهوية والغضبية
والوهمية واستخدامها في اوامر الله ونواهيها بحسب ما يقتضيه الشريعة الحقة ابتغاء
لحضرات الله ورضوانه عند المصير اليه والانقطاع عنها وعما تعلقت به وقوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها اشارة الى النفوس الساذجة التي ليس فيهم ما يوجب التمرد والاستكبار
عن قبول الحق من دواعي الشر والفساد وطلب الدنيا والغنا واللذات كعوام اهل الاسلام

حيث اجابوا دعوة الحق انقيادا وتسليما وقبلوا النصايح والمواعظ في فعل الطاعات البدنية
والعبادات الجسمانية وترك المعاصي والافراط في اللذات والشهوات لئلا يكونوا هائمين
غافلين بالكلية عن الله واليوم الاخر غير مقرين بالثواب والعقاب والجزاء في الاعمال
والافعال يوم الحساب فلا محالة لهم نصيب من الرحمة الالهية التي وسعت كل شيء فان
الاستحقاق للرحمة المبذولة انما يتحقق بمجرد عدم المضاد للرحمة المنافي للمغفرة اي
الهيئات الردية والاخلاق الظلمانية الحاصلة للنفوس بسبب تكرر الاعمال القبيحة والتمرد عن طاعة
الحق والاستكبار عن سماع الايات والاعراض عن تعلم الكلمات والداء العضال الذي لا علاج
معه يوم الاخرة حب الرياسة وطلب الدنيا الذي هو راس كل خطيئة فيفقد قوة ذلك يكون
الانسان بعيدا عن درك الحق ونيل السعادة الاخروية اعاذنا الله سبحانه عن الركون
الى عالم الغرور والزور وعافانا عن صحبة المؤذيات والظلمات في معدن الافات والشرور
وصعدنا بالمساعدة والتقوى الى منبع النور ودار الرحمة والسرور وانه ولي الجود
وغاية الوجود وصلى الله على مظهر الاسم الاعظم ومصباح السبيل الاقوم محمد واهل بيته
المقدسين عليهم اجزل تسليمات المصلين وكتب هذه السورة لسطور مؤلفها الفقير
المحتاج الى رحمة ربه الحق رب الملك والملكوت محمد بن ابراهيم المشتهر بصدر الدين
الشيرازي مسلما مستغفرا قد تمت هذه النسخة الشريفة بعون الله وحسن توفيقه
الشريفة في ليلة الجمعة سابع عشر شهر رجب المرجب في
المعظمة المحرمة المحرمة الثانية والثلثين بعد الالف الهجرية على مهاجرها التحية

العشق على اقسام ثلثة الاكبر والاصغر والمتوسط الاصغر عشقنا ومحبتنا للمبدع وجاعل جدنا
والاكبر محبته لعباده كما اشار البهائي في قوله يحبهم ويحبونه واما العشق المتوسط فالعبارة
قاصرة عن بيانه الا بالرمز والاشارة واعلم ان الذ الاشيا واجبها للقوة الباصرة
مشاهدة النور الشمسي الحسي ولكن متى كانت الشمس في غاية اشراقها في ذاتها من غير احتجاب
بسحاب او تواري خلف جدار فلا يمكنها الالتذاذ والابتهاج بمشاهدة النور وذلك لضعف
والقصور فاذا احتجب وجهها بحجاب رقيق امكن لها ان رائها كالشمس تنكسف احيانا كحجب
فاذا انكسفت برقيق غيم امكن فاذا اشتد ظهور البصر يحتاج الى حجاب الكشف والكدرة من
الخفاش الذي لا يحتمل الا ظلاما شبيه الظلام بعد خفاء الشمس عن اعين الانام وتواريها تحت
الافق الغربي فعلى هذا القياس مشاهدة الذات الاحدية اما للكاملين في نور الايمان والمعرفة و
البصيرة فبوساطة الحجاب الرقيق من الحقيقة المحمدية عليه وآله افضل الصلوة والتحية واما للمتوسطين
فبحسب مقاماتهم ودرجاتهم وقلة وسائطهم وكثرتها واما للكاملين فبوساطة احكام الاجرام وصفات
الجسمانيات من التمكن على العرش والاستواء ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو كشفها
لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره وهذه الحجب النورانية والظلمانية المشار اليها في
هذا الحديث انما هي للخواص واما الخواص الخواص فحجابهم الصفات والاسماء الالهية واما العوام
فلهم حجب كثيرة غير هذه كلها وحجب العوام اما الظلمانية فكالشهوة والغضب والحقد والحسد والبخل و
الكبر وحب المال وحب الجاه واما النورانية فكالصلوة والصوم والصدقة والطواف
وبناء القناطر والاوقاف وحجب الخواص اما النورانية فكالعلم والتقوى والزهد والوعظ

والنصح ونظائر ذلك اما الطلاب فكالعجب والميل الى الشيخوخية والتدريس وسائر ما شابه ذلك
واعلم انه لا يمكن للسالك المنتهي مشاهدة الذات الاحدية الا خلف حجاب الحقيقة المحمدية
فمن رام ان ينظر الى نور وجه الله وشمس جلال الاحدي بلا واسطة نور وجه الاحمد وحجاب الاستحجاب
المحمدي صلعم فليحرق بصره او ما سمعت ما روي عنه صلى الله عليه وآله ما بينهم وبين ان ينظروا
الى ربهم في جنة الا رداء الكبرياء على وجهه ولما نزلت ولقد رأى من آيات ربه
الكبرى سئل عنه صلعم بيان تلك الايات فقال على ما هو المنقول رايت ربي عز وعلا و
ولبس علي الاحجاب من ياقوتة بيضاء في روضة خضراء من افاداته قدس سره
من الدرة الناصعة اعلم ان العلوم كثيرة شجونها متشعبة فنونها تنقسم الى عربية وعجمية ورياضية
وفلسفية فالعلوم الشرعية وضعت لاصلاح النفوس ومعرفة الآخرة وهي خمسة انواع الاول
علم التنزيل وعلم التأويل وهو ينقسم الى خاص وعام فمنهم من قنع بالتفسير اللغوي عن التاويل النبوي صلعم
وبالظاهر عما بطن ومنهم من خاض في غمرة امواجه فظفر بالكبريت الاحمر والاكسير الاعظم ومنهم
من غاص في اعماق اغواره فاستخرج اليواقيت الاحمر والدر الازهر ومنهم من سلك في لجج جوانبه
فالتقط العنبر الاشهب الاذفر والعود الانجح والانضر ومنهم من تعلق في جزائر سواحله فاستخرج
من جوها الترياق الاكبر والمسك الاذفر قال النبي صلى الله عليه وآله لكل آية منها ظهر وبطن
الى سبعة ابطن وقال امام الثقلين امير المؤمنين القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق
لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه وقد قيل ما من آية في القرآن الا ولها سبعة معان
ظاهر وباطن واشارات وامارات ولطائف ودقائق فالظواهر للعوام والبواطن

للخواص

للخواص والاشارات لاخص الخواص والامارات للاولياء واللطائف للصديقين والدقائق للمحققين
والحقائق للنبيين ثم تحت كل كلمة بل تحت كل حرف بحر حكم عجاج ذات قعر مواج فاذا فرغ
الشاهد من العارفين والصادق من الموقنين اعطي لكل حرف فهم ولكل فهم
الف فهم ولكل فهم الف فطنة ولكل فطنة الف عبرة والعبرة الواحدة لا تقوم بها السموات
والارض فذلك

قال لقمن الحكيم خدمت اربعة آلاف نبي في اربعة آلاف سنة فاخترت
من بين كلامهم ثمان كلمات الاولى اذا كنت في الصلوة فاحفظ
قلبك الثاني اذا كنت في بيت الغير فاحفظ عينيك الثالث
اذا كنت في المائدة فاحفظ حلقك الرابع اذا كنت في المجلس
فاحفظ لسانك اذكر اثنين وانس اثنين اما الله ان تذكرهما ا
الله والموت واما الذي ان تنسيهما احسانك في حق الغير
وسيئة الغير في حقك ومنه حديث علي ابن الحسين ع كان ليلة من الليالي
متعلقا باستار الكعبة وهو يتململ ويقول يا ذا المعالي عليك معتمدي
طوبى لعبد يكون مولاه طوبى لمن بات خائفا وجلا يشكو
الى ذي الجلال بلواه اذا خلا في الظلام مبتهلا اكرمه ربه ولباه
فقد ان اتقا رجا به يقول لبيك لبيك انت في كنفي وكلما
قلت قد سمعناه صوتك تشتاقه ملائكتي وعذرك اليوم قد
قبلناه سل بلا رهبة ولا وجل ولا تخف انني انا الله
نقلت في مجمع البحرين من باب ملك در يوم دوشنبه سيزدهم شهر ذيقعده
الحرام كتب الفقير محمد علي ... نضير اكتساب علامي فهامي
ابو طالب در ... مدرسه اشرفزاده در زمانيكه ارشد
... دكرت ... در راه ... رسيده ... رفتن بردن

وكم لله من لطف خفي … يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عسر … ففرج كربة القلب الشجي
وكم امر تساء به صباحا … وتأتيك المسرة بالعشي
اذا ضاقت بك الاحوال يوما … فثق بالواحد الفرد العلي
توسل بالنبي فكل خطب … يهون اذا توسل بالنبي
ولا تجزع اذا ما ناب خطب … فكم لله من لطف خفي

الهي ليس لي ملك المجير … بعفوك من عذابك استجير
انا العبد المقر بكل ذنب … وانت السيد الصمد الغفور
فان عذبتني فالذنب مني … وان تعفو فانت به جدير

قرح القلب من فرط الذنوب … تخيب الجسم من شوق الحبيب
اضر بجسمه سهر الليالي … فصار الجسم منه كالقضيب
وغير لونه خوف شديد … لما يلقاه من طول الكروب



بسم الله الرحمن الرحیم

ای آنکه بجز تو نیست در هر دو جهان   برتر ز خیالی و برتر از گمان

هر چند که عین هر نشانی لیکن   این نکته نگر زانی بی‌نشان

نه عقل بکنه لایزال تو رسد   نه فکر بغایت جلال تو رسد

در کنه کمال تو رسد غیر تو کس   کو غیر تو کس تا بکمال تو رسد

یا من تنزّه ذاته بذاته عن مجانسة مخلوقاته و یا من خصّت الوحدانیة بذاته و اشرقت مشکاة اسمائه من هیاکل آیاته

ای برون از وهم و قیل و قال من   خاک بر فرق من و تمثیل من

رحم فرما بر قصور فهمها   ای ورای عقلها و وهمها

دیده بخشی تا بینا شوم   دانشم آموز تا دانا شوم

اللهم یا قدوس یا باری النفوس نور قلوبنا بمعرفتک و استعمل ابداننا بطاعتک و اصرف نفوسنا عن سواک انت الذی اشرقت الانوار فی قلوب اولیائک حتی عرفوک و وحدوک

وانت الذی ازلت الاغیار عن قلوب احبائک حتی لم یحبوا سواک واحشرنا
مع النبیین والصدیقین سیما محمد المبعوث الی کافة الخلایق اجمعین چون خدا
اندر بیامد در عیان تاب حق شد این مغزان قفلهای ناگشوده مانده
بود از کف انا فتحنا برگشود هست بشارات محمد للمراد اهل معنی را که اشعار
اندر کشاد مع آله الذین هم بروج شبیهة مدار شمس سما الرسالة اثنی عشر
قمرا یدور مشارق فلک النبوة والجلالة چونکه شد از پیش دیده وصل یار
ناگهی ماند از او مانا یادگار چونکه گل بگذشت و گلشن شد خراب بوی گل را از که
یابیم از گلاب سیما مع هر یک لب بالالفة الجسمانیة بالاصغر والاسد الغالب
کل الغالب بالقوة الروحانیة الالهیة فی الجهاد الاکبر و ذات خاتم الاسما
کف هر کو را منم مولا و دوست ابن عم من علی مولی اوست کیست مولی
آنکه آزادت کند بند رقیت ز پایت برکند صد هزاران آفرین
بر جان او بر قدوم او و فرزندان او علیهم افضل الصلوات
وازکی التسلیمات المسلمین بالعلم یقول الفقیر الی رحمة ربه العالم [illegible]

هذه

هذه فقرات منی علی قصیدة المشهورة المعروفة من نتائج طبع الفاضل الکامل
العالم العامل العارف الربانی میر ابوالقاسم الفندرسکی عطر الله بعطر الغفران
مرقده الی یوم القیمة فشرعت فی المقصود بعون الله الملک المعبود وهو حسبی ونعم
الوکیل چرخ با این اختران نغز و خوش و زیباستی صورتی
در زیر دارد آنچه در بالاستی ناظم عنوان کلام را فلک قرار داده
باعتبار کمال ظهور شان بحسب جمیع جهات حتی از خفاب و ستارگان زینت
زینت تعبیر از فلک بچرخ نموده بجهة کمال مبالغه که با نفس چرخ خنداند قسطاس
عدل و اشارة لطیفة باشد بدوام حرکت اینها و اینکه اینها تحرکی دارند که
صورت زیرین عبارت از او است چه هر متحرکی محرکی دارد و محرکی غیر متحرک است
فلکی بوده باشد یا عنصری بسیط باشد یا مرکب و تخصیص محض قضای نظم است
لهذا در مصرع ثانی را بر سبیل عموم ادا فرموده و صورت یعنی ما به الشیء بالفعل است
نه جز بکه شیء بواسطه او بالفعل میشود [illegible] مراد از نفس است
هر جسمی نفس بالفعل است و اشاره است باینکه نفس جمیع سماویات و ارضیات

بسیطة کانت او مرکبة تعلق گرفته است لهذا بر سبیل عموم فرموده است که صورتی
در زیر دارد هر چه در بالاستی و برهان بر این اولا از راه حرکت است چه جسم فلکی
باشد یا عنصری بسیط باشد یا مرکب متحرک است یا بر مرکز یا از مرکز یا بسوی مرکز یا
از مرکز بسوی مرکز نمو و ذبول یا سمن و هزال یا غیر اینها هر متحرکی را زیرا که او محرکی
غیر محرک است بجهة آنکه محرک افاده حرکت میکند و متحرک استفاده حرکت میکند و
مفید هر شیء فاقد او نتواند بود که همین مستفید باشد چه مفید هر شیء واجد آن شیء است
و مستفید فاقد او و عادم آن شیء است و جایز نیست که شیء واحد از جهت
واحد هم واجد آن و هم فاقد آن باشد پس محرک عین متحرک باشد لازم آید
اجتماع نقیضین و او محال است و اما ثانیا آنکه هر جسمی مصور است و متشکل و از برای او مصور
و مشکلی مصور و مشکلی او غیر صورت و غیر ذی صورت بعین برهان اول و
چون محرک لازم نیست که خارج از متحرک باشد چه حرکات غیر منحصر است در قسریه
بلکه گاه باشد طبیعیة و نفسانیة پس میگوییم که جایز نیست محرک غیر قاسر صورة
حاله در جسم متحرک باشد زیرا اگر بوده باشد انجنین لازم می آید که متحرک نفس

محرک

محرک نفس خود هم باشد و این محال است پس ثابت شد که محرک
در جمیع حرکات طبیعیة و نفسانیة نفس است پس معلوم شد که هر جسمی نفسی دارد
که او صورت جسم است و جسم با او بالفعل است لهذا ناظم فرموده صورتی در زیر دارد
هر چه در بالاستی تعبیر از نفس بصورت کرده است بجهة آنکه مخفی است و تعبیر از جسم بالا
نموده باعتبار آنکه محسوس و آشکار است پس نفس باطن است و جسم ظاهر و محسوس صورت
و باطن جسم نفس است که جسم بنفس بالفعل است و نفس [illegible] است که باطن و صورت
عقل است که عقل بالله تعالی بالفعل است و لهذا در بعضی از کتب سماویه است
که الله تعالی صورة الصور الظاهر والباطن وقال بعض العلماء والعرفاء العالم صورة
وهو روح فی العالم صورت زیرین اگر بر نردبان معرفت برود
بالا همان با اصل خود یکتاستی در این مقام بجهة تحقیق ابیات تفصیلا ضرور است
که آن بیان عقل کل و نفس کل و اقسام شان بنفوس جزئیة بدانکه حقیقة
جعل عبارت از اظهار کردن جاعل است مثال ذات خود را و مثال ذات نتواند
بود که عین ذات باشد والا [illegible] جعل و جاعل و مجعول منه غیر ذات الا امثال او نخواهد

خارج از ذات است

بود پس ناچار از وجهی با هو هو واز وجهی لیس هو چون از ذات ناشی است هو هو گفته
لیس هو این الی نسبت سوای نقصان و این نقصان نیست سوای العدم
پس غیریت نیست سوای عدم بمعنی اینکه ما به الغیریة والامتیاز نیست سوای فقدان
آن مرتبه پس ناچار در مجعول ترکیبی است از وجود و عدم و مراد بوجود فعلیت است
نه بمعنای بدیهی واین است معنی قول ارسطو الممکن زوج ترکیبی واز این تحقیق ظاهر
شد که صادر اول عقل است زیرا که مبدأ اول تعالی چون فوق تمام است معلول
بتوسط او باید که تام باشد زیرا که تمام با او فاقد مرتبه فوق تمام است والا
ناقص خواهد بود واز این لازم میآید طفرة در افاضه والطفرة محکم سواء کانت
حسیة او عقلیة باطلة بالبدیهة واز این ظاهر شد که جهت غیریت مجعول بالذات
نیست بلکه بالعرض مجعول است و امکان مستند بهمین جهت است و معلوم
همین نسبت که وارد تعلیقه خود شرح علتش است به مبدأ اول یکذا با بعد خود بهمین
نسبت تا اینکه منتهی شود ترتب وجود معلول بلکه انقص از او متصور نشود و باید دانست
که وجود و بعد از او هبة اعود است بعکس بعد و خذ النعل بالنعل تا اینکه منتهی شود دایره

دی

وجود با ماهیة بعد و بعد از آنکه جعل مجرد از او را تعقل است پس مبدأ اول تعالی مدرک
ما ادراک ذات خود کرده وهر چه از او صادر میشود اشیا بمحض ادراک ذات خود
مدرکی از ذات او ظهور کرده چه ذات با ادراک غیر ذات است بدون
ادراک پس مدرک غیر مدرک نیست این را علم حصولی بمعنی حضوری میگویند
نه علم حصولی بمعنی ارتسامی تا اینکه خواجه نصیر در شرح اشارات بر بو علی کرده است
وارد آید پس مدرک الهی تعالی صورت علمی جمیع اشیاء است چه ذات او چنین ادراک
کرده است که ذاتی است که از او صادر تواند شد اشیا بترتیبی که موجود است
والا لازم میآید که ذات را بتمامه و کماله درک نکرده خواهد بود پس ناقص در
علم خواهد بود و همین صورت علم بسیط است العلم نقطة کثرها الجاهلون چه شیء
در عالم تجرد چه قدر که بسیط است علمش اوسع است و همین صورت علمی تعالی
عقل کل است پس حقیقت عقل اهم موضوع فعل الهی تعالی و اهم موضوع علم الهی تعالی لهذا
حکما علم الهی را فعلی میگویند نه انفعالی بمعنی که متاخرین فهمیده اند پس علم عین فعل
او است مجعول ثانی مرتبه نفس کل است چون نفس فوق او است تعالی علم ذاتی

عقل او بالفعل بودن او در او جمیع کمالات مشتاق شد بشوق ذاتی تشبه
بعقل را و نیافت امری که بان متشبه شود باو سوای کردن این عالم را چه عقل
فاعل است پس نفس مشتاق شد بکردن این عالم و متوجه شدن نفس این
عالم زیرا که نفس بهر چه متوجه شود همان است و این سخن را جمعی بمجاز بنا کرده
نعم ما قال صاحب المثنوی ای برادر تو همین اندیشه ما بقی تو استخوان و
ریشه گر بود اندیشه ات گل گلشنی ور بود خاری تو هیمه گلخنی واز این
تحقیق معلوم گردید که علة و معلول نمیباشد موجود بوجود جدا از دیگری بجهة آنکه
اگر چنین بودی پس هر دو متباین مثل انسان و حجر پس جایز نیست صدور احد
ایشان از دیگری بجهة عدم مناسبة والا لازم میآید صدور هر شیء از هر شیء
واین باطل است و هر گاه مشارک هم باشند در جنس یا مثل باشند لازم آید
جعل شیء خود را بنفس خود و هر دو باطل معلول هر گاه جدا از علة باشد قائم بذات خواهد
بود پس معلول نخواهد بود پس نسبت میان علة و معلول از وجهی هو هو واز وجهی لیس هو
یعنی از وجهی اتحاد واز وجهی مباینة پس معلول وجود کذائی علة است و علة هم

او

بابا فغانی

او است مثل اینکه نفس کل بالذات نفس است و بالعرض نفس است وطبیعة بالذات
نفس است و بالعرض طبیعة گویا این سخن مدرک باریتعالی عقل است که مرتبه
علم الله تعالی است و عقل مدرک ذاتی کمال علة را دریافت شوق تشبه در او پیدا
گردید پس تنزل نمود مرتبه تنزل نفس است و نفس مرتبه ارادة الله تعالی و مرتبه
فعل الله تعالی است و تنزلات باین نحو متصور است فظهر کل یوم هو فی شأن
حق جان جهان است و جهان جمله بدن صاف
ملائکه حواس این تن افلاک و عناصر و موالید اعضا توحید همین است
دگرها همه فن چون علة واحد است پس باید معلول نیز واحد باشد تا کثرت در ذات
علة واحدة لازم نیاید پس نفس هم که معلول عقل است میش از ابدان واحد باشد
و بکثرت منسوب شده و باده و جسم و چون نفس کل ایجاد این عالم کرد پس ماده
بهم رسید مصور بصورت جسمی که نام او جسم است مقدار عارض جسم شد چه
حقیقة جسم بعد است در جهات ثلث واین لازم دارد مقدار را پس خلاف
و کثرت لازم آید چه جزوی از اجزای جسم غیر جزو دیگر است زیرا که جسم قابل انقسام است

الی غیر النهایة و هر جزو دیگر غیر جزو دیگر است پس هر جزی بحسب قابلیت اقتضای دیگر کرد
غیر جزو دیگری چه محیط اقتضای حرکت کرد و مرکز اقتضای سکون و عناصر با هم
امتزاج یافته اند و هر ترکیبی اقتضای مزاجی کرد پس کثرت در اجسام بهم رسید
پس کثرت بالعرض سرایت بنفس کرد که هر جزوی اقتضای نفسی کردند لاتحاد العلة
والمعلول پس نفس ملکش از ابدان واحد است نه بوحدة جنسی و نه بوحدة
نوعی و نه بوحدة شخصی چه جوهر را جنس نمیدانیم بلکه بخود موجود است بلکه نفس را وحدت
بوحدتیکه مندرج است در او وحدت [illegible] است بوحدة الهیة و متکثر
است بتکثر ابدان بالعرض بحیث لا یکون لبعضها حکم بعض بلکه مختلف الآثار
والاحکام چنانکه سرایت نمیکند شقاوة شقی بسعادة دیگری پس نفس کل تعلق
گرفته است بجمیع جسمانیات از محیط تا مرکز و در هر شیئی بحسب آن شیئی پس نفس کل
ذو شعب گردید بحسب اختلاف قابلیات مختلفه و جزئی شد بالعرض نه بالذات
چه ذات در مرتبه کمال است چه شمس نور او واحد و متعدد شعاع نظر بقابلیات
مختلفه پس چون نفس جزئی بود آن است که [illegible] بلکه جسمانیه بلکه [illegible]

شوقیه

شوقیه طبیعیه حاصل که جسم عالم از مرکز تا محیط مرکبا کان او بسیطا
متصل واحد است در اصل جسمیت و انواع البسائط و مرکب بمنزله اجزاء
این شخص است و همچنین نفس مشتاق شد بسوی اظهار کردن کل عالم پس نفس
کل نفس عالم شد پس نفس کل بمنزله او است و هر یک از نفوس جزئیه بمنزله
قوه است از برای آن شخص کل مثلی است بجزوی از بدن کل پس نسبة
نفوس بسوی نفس کل مثل نسبة حواس است بسوی نفس ما پس چه قدر [illegible]
در توجه ببدن بیشتر است حجاب نفس زیاده است از اصل و کمال [illegible]
در کمی شوق است بزخارف دنیا و خسته نفس زیادتی شوق است بآن
زخارف چه اول اقتضای قرب و علام حجاب میکند و ثانی بعد و حجاب
و چون معلوم گردید که نفس کل ذی شعب گردید که اول نفس [illegible] بعد از او
نفس فلکی در جزئیات نفوس این مراتب ترکیبیه و شرافت منفاد شده
پس چه قدر که برای نفس ترقی حاصل میگردد حاصل میشود و مرتبه فوق مرتبه ترقی
بکمی شوق و انقطاع او است از علایق دنیویه تا آنکه [illegible] نفس کل

از این مرتبه تجاوز نماید متصل میشود بعالم عقل و نفس کل را دو جهت است جهتیکه علو دارد
عقل است و جهتیکه سفل دارد نفس است و آن جهت علو در نهایه شرافت است
و چون ترقی حاصل نمیشود از برای نفس بدون معرفت و ریاضت و ریاضت هم بدون
معرفت ممتنع لهذا ناظم فرموده   صورت زیرین اگر با نردبان معرفت
بالا رود با اصل خود یکسانستی   و چون حقیقت و کنه و حقیقه این سخنان نتوان رسیدن
بدون ریاضت و مجاهده شرعی ممکن نیست تا آنکه از مرتبه حواس و وهم و عقل رسمی بگذرد و بمرتبه
عقل حقیقی نرسد بنظر عقل حقایق اشیا را کماهی که بوضع الهی موجود است نمیبیند
بحقیقت این سخنان نمیرسد لهذا ناظم فرموده در خصوص [illegible]
این سخنها در نیابد هیچ وهم ظاهری   گر ابونصرستی و گر بوعلی سیناستی
ابونصر از فاراب که شهری از شهرهای ترک است در مملکه ماوراء النهر اسمش
محمد بن محمد بن ترخان المعلم الثانی صاحب تصانیف و ابوعلی بن سینا رئیس صاحب
شفا و اشارات و این دو فیلسوف از جمله حکمای مشائیند هر گاه این دو عظیم
باین کلام نرسیده باشند تا دیگران بطریق اولی نرسند مگر آنکه

ابند و مردم

مؤید

مؤید بتایید حضرت خداوند عز و علا باشند   جان اگر نه عارضستی زیر این
چرخ کهن   این بدنها نیز دائم زنده و برپاستی   جان عبارت از نفس است
یعنی اگر نفس عارض بدن نباشد البته ذاتی خواهد بود و چون فنا بر نفس محال است
پس نفس باقیست ببقای علتش و هر گاه نفس ذاتی بدن باشد پس فنای بدن
نیز محال باشد لکن بقای بدن دائمی نیست و همیشه در تحلل و اضمحلال است پس نفس
ذاتی ابدان نخواهد بود بلکه بالعرض باشد چنانچه سابقا نیز معلوم گردید باز ناظم
میفرماید   هر چه عارض باشد او را جوهری باید نخست   عقل بر این دعوی ما
شاهد گویاستی   چه هر چه بالعرض باید منتهی شود بما بالذات و الا بالعرض نخواهد بود
و این خلاف فرض است پس معلوم شد که نفس بالذات عقل است و بالعرض نفس
پس جوهر اینکه ناظم فرموده عقل است با آنکه جوهر نفس کل است که جمیع نفوس جزئیه از او
منشعب شده اند بمنزله شعاع گلشن و تشبیه کرده اند معقول را بمحسوس
می‌توانی گر ز خورشید این صفتها کسب کرد   روشن است و بر همه تابان و خود
گویا باین اشاره فرموده صاحب المثنوی المعنوی   مفترق شد آفتاب جانها

در درون روزن ابدا نهان · چون نظر در قرص خور داری کمی است

محجوب ابدان ذرشکی ست پس از این ابیات معلوم گردید که هر ظاهر را باطنی

میباشد و هر صورت جسمی باید تا منتهی شود بصورت عقلی پس مجرد محض میباشد لهذا ناظم

میفرماید در صفت مجرد محض که عقل است · صورت عقلی جهان بی پا و جا و بدن بود

با همه و بی همه مجموعه و یکتاستی · معلوم شد که عقل مرتبه علم الله است

چنانچه ناظم ره در کتاب صناعیه فرموده است ذات عقل اسم موضوع علم الله تعالی است

و هم موضوع فعل لهذا حکما علم الله تعالی را فعلی میگویند باعتبار آنکه علم الله تعالی عین فعل او است

پس صورت عقلی بسیط است والّا لازم میاید کثرت در ذات فاعل حقیقی که باریتعالی است

و این محال است و از بسیط ما فوق ماده و جسم است مجرد میباشد چه ترکیب منسوب

بماده است پس از جهت بساطت علمش اوسع است چه بساطت وحدت

جمعی است منافی نیست او را کثرت از جهت آنکه منزه است از حصر و تقید

پس هیچ پایان است یعنی غیر متناهی است و باعتبار آنکه مرتبه علم الله تعالی است و

علم الله تعالی غیر متناهی است یا بی نهایه الیس صورت عقلی با وجه وحدت بساطت غیر متناهی

فتأمل

متناهی است بلکه آنکه صورت علمیه جمیع اشیا است و مقدورات الهی غیر متناهی

پس اشیا غیر متناهی است والّا لازم تناهی قدرت الهی و این محال است

چون وحدت الله تعالی منافی با هیچ کثرت نیست لهذا معلم ثانی فرموده و هو الکل فی

وحدته و او ببساطتش کل الاشیاست فما من ذرة الّا و هو محیط بها

قاهر علیها و چون صورت عقلی مجرد است فنا بر مجرد محال است و باقیست

ببقای علتش زیرا که تخلف معلول از علت تامه محال است پس صورت عقلی دائم

بود و چون سابقا معلوم شد که معلول متحد با علت است و مباین نیست بلکه

صورت عقلی بالعرض نفس شد با همه خواهد بود چنانچه از مقدمات سابقه معلوم شد

ناظم خود باینمعنی اشاره نموده است · جان عالم گویمش گر ربط جان و تن

در دل هر ذره هم پنهان و هم پیداستی · با وجود این همه است که

بحسب ذات و فعل احتیاج با تحت ندارد بلکه من جمیع الوجوه مستغنی از ماتحت

و مجموعه است باعتبار آنکه صور علمیه جمیع اشیا است در جمیع اشیا و بی تجرد

عقلی در ذات متعقل و یکتا است آنکه وحدت و بساطت قال علی علیه السلام

العلم نقطة کثرها الجاهلون و عقل رتبه علم است اعلی است چنانکه سابقا
معلوم شد هفت ره بر فرق ما از آسمان فرمود حق هفت در
از سوی دنیا جانب عقبا ستی مراد بهفت ره همان است جناب الله تعالی
فرموده ولقد خلقنا فوقکم سبع طرائق وما کنا عن الخلق
غافلین مراد بهفت در همان است که در آیه دیگر مذکور است ان الذین
کذبوا بایاتنا واستکبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء
و قوله تعالی لو فتحنا علیهم بابا من السماء فظلوا فیه یعرجون پس مراد
بسبع طرائق سموات سبع مراد است چنانکه مفسرین تفسیر کرده اند و تعبیر
بطرائق کرده که جمیع طرائق است بجهة آنکه ممر مرور ملائکه و محل مرور ارواح انبیا و خواص
است و محل مرور کواکب سبعه سیاره است پس لهذا تعبیر بطرائق شده است
لهذا در تفسیر آیه ثانی در کتاب مجمع البیان از امام محمد باقر علیه السلم منقول است
اما المؤمنون فترفع اعمالهم وارواحهم الی السماء فتفتح
لهم ابوابها واما الکافر فیصعد بعمله وروحه حتی یبلغ

السماء

الی السماء و نادی منادی اهبطوا الی السجین پس مراد بهفت ره که
ناظم فرموده از راهها است که در افلاک سبعه علیا که عبارت از نفوس ایشانست
و چه بهشت عبارت است از اعلا علیین که عالم عقل است و جهنم عبارت از سجین
که عالم طبیعه است و طریق عروج باعلی علیین از راه حواس متصور است که
منشاء و آله ادراکند و تحصیل علوم حقه و اعمال و فضائل و رسیدن بحقائق اشیا
بوساطه اینها است و چون نفوس سماویه از حواس عاریند و مدرک کلیات اند
و اشرف نفوس اند سوای نفوس قدسیه که پس از آنکه عارف سالک از حواس خلاصی
یافت نفوس ایشان بنفوس سماوی اتصاف می یابد چه کواکب سیاره مدبر
ابدان انسانند که هر عضوی از انسان بیکی منسوب است این کواکب را قوه است
روحانی بعالم پیوسته است و چون ارواح را اتصال باین ارواح سبعه سیاره
واقع شد و از عالم طبیعه خلاصی یافت و این مرتبه ایست از بهشت لیکن از این مرتبه
باز تجاوز کرده بعقل میرسد چونکه معلوم شد هفت ره آسمان و ره لازم دارد
بار این ظاهر گردید معنای مثنوی و محکی است مراد با آسمان نفس شد چه عابر

از نفس تعبیر بسیار میکنند و میگویند شمائل عقل چنانچه در اثولوجیا مکرر
مذکور است و از جهة علو و کمال شرافة اجسام سماوی و عاری بودن این
از کیفیات فعلیه و انفعالیه و عدم ضدیه و منع تغیر و مناسبة میانه سماء
و نفس کرده پس مراد از هفت ره قوی خمس ظاهره و حس مشترک و خیال خواهد
بود که مجموع هفت است و سایر قوی باطنی از واهمه و متصرفه و حافظه بخیال مرجع
میشوند و احتمال دارد که مراد در قوی حواس خمس ظاهره و قوی محرکه و مدرکه باشند
پس همین هفت در مذکر عالم طبیعه که دنیا است بجانب جنبه که عقبات گشوده‌اند
باز ناظم سفر باید میتوانی از ره این آشنا شدن بر آسمان راست
باش و راست رو کانجا نباشد کاستی بعد از آنکه سالک تحصیل ملکه عدالة
حاصل کردم که تحصیل آن در کتب اخلاق مذکور است که صراط المستقیم عبارة از
وسط است چنانچه مغضوبین و ضالین عبارت از افراط و تفریط است
و این تحصیل وسط که خیر الامور اوسطها بریاضات شرعی مجاهدات حاصل میشود
بعد از آنکه نفس از هوا و خواهش نفسانی و علایق جسمانی خلاصی یافت بسبب تحصیل

ملکه

ملکهٔ عدالة ترقی میکند بخط مستقیم متصل بعالم سما و نبات میکرد و چنانچه فیثاغورس
در وصایا فرموده یا ابن حجوة انقذنی من دار الطبیعة الی جوارک علی خط
مستقیم فان المعوج لا نهایة له در قول ناظم راست باش و راست رو نشانه
است بملکهٔ عدالة که در آنجا اعوجاجی نیست ره نیابد بر دری از
آسمان دنیا پرست در نبگشاید بروی گرچه در ماوا استی چه فرد
رفتن بعلایق دنیویه و مشغول گردیدن بزخارف آن سبب ماندن است
در مرتبهٔ طبیعه چنانچه الله تعالی فرموده قد افلح من زکیها وقد خاب من
دسیها یعنی رستگاری رو فیروز شد کسیکه تزکیه نفس نمود و نفس را تربیت و نمو
داده و نومید شد کسی که نفس را در خاک فرو نشاند چه دس فرو نشاندن
دانه است در خاک یعنی در مرتبهٔ طبیعه ماندن و محجوب از حق گردیدن قوله تعالی
کلا انهم یومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحیم پس مانع رفتن آسمان
خود این کس است و الا حایلی نباشد و لهذا او میگوید گرچه در ماوا استی چه بحث در
مبدا فیاض نباشد میان عاشق و معشوق هیچ حایل نیست تو خود

حجاب خودی حافظ از میان برخیز چه تا عکس صفحهٔ باطن کنند و زنگ علایق از
خود دور کنند همان نفس آسمان نشود زیرا که تا هستی همان هستی نشود میان این و آن
اتحاد و اتصال حاصل نمیشود لهذا ناظم خود در جای دیگر فرموده هر که فانی شد باو باید
حیاة جاودان در نجود افتاد کار رشتن تا شکست از موهای هستی چه در مرتبهٔ طبیعة
ماندن موقوف نفس است چه فنا عبارت از فنای علایق دنیاوی است غرض حق تعالی
در باطن هر کس ظهوری خواسته باشد حتی هر که غافل از خودی خود میگردد غرض حق را
میدهی ره در حرم دل چرا یک نفس در صفحهٔ باطن خطا هستی چرا این که در
رمز دانایان پیشین گفته اند بهر رمز ما هر کس را او در نماسی بمصداق
کلم الناس علی قدر عقولهم انبیا و حکما حقایق را برمز میفرموده اند
تا بدست نا اهلی نیفتد و جهال در راه هرزه خیال نکنند و غلط نفهمند و عبث
کفر و زندقه شان نشود تا عامه خلق باطل نشوند چنانکه رمزی در ارسطاطالیس
در اول کتاب اثولوجیا فرموده اول البغیة آخر الدرک و اول الدرک آخر البغیة
تا نامی آن کتاب نخوانند و نفهمند ره آن رمز را نخواهند بر داشت و گشود

یک نفس در صفحه راست
خطا باطن چرا

وتا انفصال نفس

و تا انفصال نفس بقطع و عقل بعقل اولی نباشد و باز گشت ایشان را از علة اولی
نفهمند کلید در رمز گشوده نمیشود اما دانا که پرده فعل او بریاضة و مجاهدات که شبها بیفرد
که غرض از چه بهر است حقیقة معنی او چیست زین سخن بگذر را انجوی
اهل عالم است راستی پیدا کن و این راه رو کز راستی بدون ریاضة
نفسانی و مجاهدهٔ روحانی و بدون تحصیل ملکه عدالة کسی خواسته باشد باین رمزها
برسد محال خواهد بود و علم رسمی فایدهٔ نخواهد داشت چنانکه ابو نصر و ابو علی سینا
فکر کردند و کتب تصنیف کردند و بدین حقایق نتوانستند رسید پس باید بریاضات
و مجاهدات خود را از دام و علایق و شبکهٔ آرزو ما خلاص نمود تا نفس از این محبس
خلاص یابد و با روحانیان پیوندد و اتصال یابد و محیط گردد باشیا تا حقایق اشیا را
بنظر عقل ملاحظه کند چنانکه ناظم میفرماید هر چه بیرون است از ذات نیامد
سود مند خویش را کن ساز اگر امروز اگر فرد است قال امیر المؤمنین علیه السلام
أتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر
چه علم الهی غیر متناهی هست بهمهٔ اشیا و عین فرد عقل کل باشد

پس تعقل صور علمیه جمیع اشیا همست در عالم مثالی بخاود تش همین بشوق ذاتی
وشوق ذاتی صورة ذاة نفس است باین جهة امیشود از عقل ونفس جز انه
بعد از خلای ازاشواق محدوده اکثار لعقل کل ونفس علیا بدین حقایق اشیا
کماهی بوضع الهی موجود است میدانتهی است حدی وفنی را کرد کارسان سرا
لی برون از ماوای بی ماوی با ما ستی   و بدانکه وحدة تامه وحدة
شخصی نیست بامعنی در ذات مقدس حقیقة نوعی باشد متشخص بتشخصات اعم ازانکه
نوع منتشر باشد یا محصور در واحد چون حقیقة نوعیه مقدم بر تشخصیه علیا باشد
بتقدم ذاتی پس لازم میاید که باریتعالی پیش ازانکه موجود شود بوحدة شخصی وحدة
نوعی داشته باشد چه نوع محتاج نیست بسوی تشخص در قوام حقیقتش و در ثبوت
وتقرر ماهیتش بلکه محتاج است بتشخص در یافت شدن وحصول افعال وتشخص
عرض ماهیة نوعیه گشت نه ذاتی ووحدة تامه تم بسیط محض وفصل علیه اند بود
باعتبار انکه فصل فرع وجود جنس است چه مابه الامتیاز از برای مابه
الاشتراک است وماهیة جنس محتوی بود چه ماهیة جنس با علتی است

ابهامی

ابهامی در تعین محتاج است بفصل بلکه هر یک از نوع وجنس بجهة ابهام شان
وبالقوة بودن شان محتاج اند در تحصیل وجود بسوی مخصص لذاته ومقوم مر
وجود هر دو با اهابات زنند برای ایشان بنحوی از انحا وجود را پس معلوم کرد
که وحدة تامه تم وحدة شخصی ووحدة نوعی ووحدة جنسی نیست پس حدی ندارد
وچون حدی ندارد جنس وفصلی هم ندارد چه حد مرکب از جنس وفصل است
پس ترکیبی نه فی اجزا ونه خارجا در او متحقق باشد پس بسیط بالذات است
پس وحدة تامه تم وحدتیست که مندرج است در او این وحدات ثلثه
وجامع جمیع وحدانیات است پس وحدة تامه تم وحدة عددی نیست زیرا
که ثانی از برای او نیست بلکه وحدة تامه تم حقیقی است منافی نیست
او را کثرة بجهة انکه کثرة است از حصر وتقیید ووحدة عددیه از مقوله اعراض
است پس متحقق باشد واحد جنسی ونه نوعی ونه شخصی ونه واحد است بمعنا انکه
معروض وحدة است بجهة انکه کل اینها مستلزم امکان است پس
جنسی از برای او نیست ونه فصلی ونه صورتی ونه ماده پس نیست از برای

او جزئی وحدی ندارد و در اسمی ندارد وحدی نداشته باشد پس علتی ندارد پس
نیست از برای او شریکی اصلا پس برهان بر او نیست فلیس کمثله
شیئ پس در جناب سبحانه تعالی جهة نقص نیست اصلا پس غنی و اتم و اشد
و اقدم از او چیزی نیست پس غیر متناهی در غنی و تمامیه و شدة و تقدم زیرا که اگر
بوده باشد متناهی در شیئ از این صفات هر آینه تصور کرده میشود مرتبه
فوق این مرتبات پس باری تعالی فاقد آن مرتبه خواهد بود پس مفتقر خواهد بود و این
خلف است پس حدی و رسمی نیز ندارد و لا یحیطون بشیئ من علمه
و عنت الوجوه للحی القیوم چون علة مباین معلول نیست چنانکه
سابقا معلوم شد و وحدة او عددی نیست پس معیة او با شیا مجازیه
و به اخلة و حلول و اتحاد و معیة در جهة و جهه و زمان نیست پس او اول و آخر
و ظاهر و باطن است قال امیر المؤمنین علیه السلام مع کل شیئ لا بمقارنة و فی
و غیر کل لا بمزایلة و هو معکم اینما کنتم قال ارسطوطالیس اثولوجیا
الاشیاء العقلیة لا یلزم الاشیاء الحسیة و الباری الاول لا یلزم

به علما ص

الاشیاء

الاشیاء العقلیة و لا الحسیة بل هو ممسک لجمیعها عن الصادق علیه السلام
الجمع بلا تفرقه زندقه و التفرقه بدون الجمع تعطیل و الجمع بینهما
توحید . روح تو خالی نیست در هیچ عضوی از اعضای تو با آنکه
هیچ عضوی از او خالی نیست و متقدر بمقدار عضو و متعدد
نیست بتعدد آن و آن لا ینفک قوتی است که مدرک و محرک و مدبر است
و آن اعضا مظهر و کسوه او نیند و او قوام و حقیقه اعضا است
ایم جنس نسبت هویة حق سبحانه تعالی با همه موجودات است
همچو نسبت روح است با اعضا پس حقیقه همه موجودات

روح است با اعضا پس حقیقت همه موجودات است و خالی نیست در هیچ یک
با آنکه خالی نیست از او هیچ یک قال امیر المؤمنین علیه السلام لم یحلل فی الاشیاء
فیقال هو فیها کائن ولم ینا عنها هو منها بائن و متقدر
بتقدر انها و متعدد نیست بتعدد انها و اوست فی الحقیقه مدرک و محرک و متفکر
و مدبر همه و اوست قوام و حقیقه و لوازم ایشان کما قال تعالی بی یسمع
و بی یبصر من عرف نفسه فقد عرف ربه قال بعض العارفین العالم
صورته و هو روح فی العالم یعنی عالم صورة حق است و او روح عالم و تلک
الامثال نضربها للناس وما یعقلها الا العالمون قول زیبا
است با کردار نیکو سودمند   قول با کردار زشت لایق زیبا نیستی
بدانکه کمال انسان در تکمیل قوه نظریه بدانستن حقایق اشیاء است چنانکه
بوضع الهی موجود اند و تکمیل قوه عملیه بریاضات و مجاهدات شرعیه است علم حکمت
متعلق قسم اول است او را حکمة نظری نامند و علمی که متعلق ثانی است حکمة
عملی و علم اخلاق نیز نامند و حکمة عملیه ادون است از نظریه و هر یک ازیشان از زای

احتیاج

احتیاج بدیگری دارند چه عمل فرع علم است و حقیقت و خصوصیت و کیفیت
و غایت کما قال علیه السلام من علم و عمل ورثه الله علم ما لم یعلم لکن علم بحقایق اشیا
حاصل نشود بعد از فراغ قلب و صفای باطن و تخلیه از رذایل و متابعت شرع و ملازمت
تقوی لهذا در شریعت وارد شده است العلم نور و ضیاء یقذفه الله
فی قلب اولیائه و ینطق به علی لسانه و الجوع سحاب الحکمة و اذا
جاع العبد مطر بالحکمة ومن اخلص لله اربعین صباحا ظهرت
ینابیع الحکمة من قلبه علی لسانه و جناب نبی الله اشاره باین فرموده است
بانحصار کمالات انسانی بعلم و عمل جائی که حکایت کرد از ابراهیم علیه السلام رب هب لی حکما
و الحقنی بالصالحین چه مراد از حکم تکمیل قوه نظریه است و از الحقنی
بالصالحین تکمیل قوه عملیه است و یزکیهم و یعلمهم الکتاب و الحکمة جناب
الهی تزکیه نفس را بر علم کتاب و حکمة مقدم داشته چه علم خالص آن است که بعد از
تزکیه حاصل شود و این چنین علم چون جناح اند نفس انسان را از شبکه علایق رهانند
و خلاص بخشد و بوطن اصلی مراجعت نمایند   که گرد و بار سنگین زین سفر نیست

ازو ای هیچ کس مجور تر   گفتن نیکو به نیکوئی نه چون کردن بود   نام حلوا

بر زبان راندن نه چون حلوا ستی   می باید کردار با گفتار موافق باشد نه

اینکه علمش در زبان باشد و اثری از علمش در باطن نباشد الفقیه فقیه

بحاله لیس الفقیه بمقاله و مقاله   ما درون را بنگریم و حال را

نا برون را بنگریم و قال را   الی صدق قول زبیا الکاست که بعد از

تزکیهٔ نفس حاصل شود و خلق و عادات او گردد   در میان و در میان چیزی و در حرف

الصمد   و از میان برداشتن چیزی که را یار استی   معنی الصمد الغنی الذی

یحتاج الیه کل شیء یعنی این راه بسیار صعب است بدون تشبث بجناب اقدس الهی

و تائید او طی این راه را ممکن نیست و جناب الهیه نعم خداست بنده است

می باید دست توکل با و زند از دام کید شیاطین خلاصی یافته و دل از ماسوای او

باید کند بالکلیه معبود حقیقی شده حاصل آنکه در میان و در میان حرف و معبود حرف

غیر را و بر خوان نام نامی او را تا او اعانت کند بر این راه و حقیقت بدون تایید

الهی با وجود این مراتب و علائق و آرزوهای نفس محال است رخ خود را از این ورطه

خلاصی

خلاصی دهد و بوطن اصلی برساند   سلب ایجاب این را نفید و جمله اندر زیر او ست

از میان سلب و ایجاب انجهان بد استی   معلم اول ارسطو فرموده الممکن فی

حد ذاته لیس و بعلته ایس و باز فرموده است الممکن زوج ترکیبی چنانکه سابقا

مذکور شد پس سلب و ایجاب عبارت از وجود و عدم است و در مجعول اول ترکیب

است از وجود و عدم در امکان مستند بجهت عدم است و معلول بمعلول بهمین

نسبت دارد بعلته و هکذا ما بعد او بهمین نحو تا آنکه منتهی میشود ترتیب وجود معلول لیکن

انقص از او متصور نباشد لکن هر چه قدر پائین میاید جهت نقص او و عدم قوی تر

میباشد و وجود و هستی ضعیف تر میشود تا بمادة المواد میرسد پس مراد از سلب و

ایجاب همین است که مذکور شد تا آنکه در هویت الله نعم نه حکم از سلب

و ایجاب نمیکند چه هویت مطلقه بالاتر از این است چنانچه ناظم فرموده

در هویت نیست نه نفی و نه اثبات و نه سلب   زانکه از اینها

همه ان بیگمان بالاستی   احتمال دارد مراد از سلب و ایجاب شبهای کلمه لا اله

الا الله باشد اثبات خدا است نفی ما عدا است الممکن فی حد ذاته لیس و بعلته

باثبات خدا و نفی ما عداه

لیس نیست آنجا زیر و بالا و نه ایجاب و نه سلب   وین چنین گر ایم
بگویی کان بهنجار استی   بدانکه خالق اشیا متجلی شده نه نقص ناقص تا انکه
کامل و تمام شود بلکه از تمامی کاملی ها و کامل و تمام میگردد و او در حد ذات
خود فوق تمام است نسبت ذات او بجمیع اشیا علی السویه است و اشیا
با اختلاف ذات خود بجمیع مراتب خود نسبت مختلف با او هم رسیده اند بعضی در اصل
و بعضی در فرع در وجه توقف بعضی دارند همه پرتو انوار او هستند از اول مراتب
تا اخر مراتب مظاهر و شئون حقند و کو جهی در همه جلوه نموده بحسب اختلاف
تجلیات و تعینات مسمی بمراتب گشته ای سالک قدم پیش نه تا بعلم الیقین
بدانی که لیس فی الوجود الا ذاته و صفاته و افعاله الله نور السموات والارض ای منور
چندین بلها این ره هر که نا بر خیزد   و دست هر پی ره روی بر خیزد
تا او نشوی ولی اگر جهد کنید   جایی برسی کز تو تویی برخیزد   پس انجام در نشیب
در نه ایجاب است و نه سلب نه زیر است و نه بالا چه بیان شد که زیر و بالا از نظر
با اختلاف و اقتضای معلولات و اینجا تعبیر نیست از اختلاف تعیین عین گذ نماید علوی کرا

این جهان

این جهان و آن جهان و با جهان و بی جهان   هم توان گفتن مر او را و
هم از آن با کاستی   از ابیات سابقه معلوم گردید که از جمله صفات او اسم
ظاهر و باطن است پس این جهان نظر بظاهر و آن جهان نظر باطن و با جهان
نظر بمعیة مر اشیا را و هو معکم اینما کنتم و نحن اقرب الیکم من حبل الورید و بی جهان
علی الا انهم فی مریة من لقاء ربهم الا انه بکل شیء محیط   و اما بی جهان
بجهة آنکه ذات مقدس الهی بذاته منقوص الحقیقه است از جمیع اشیا مطلق منزه
و تشابه منزله لیس کمثله شیء   عقل گشته از رو گرداب و دو الشی [illegible]
حق تم ساحل عالم همه دریاستی   بدانکه هر موجی از موجودات بحسب طبیعة اصلیه
با ارزوی ارادت عاشق رو بسوی منتهی الکمال خود دارد و بهر نحو و هر صورة که باشد
دست از جستجو باز نداشته خود را بسوی طبیعی با شوق بار اوردی بغایة الکمال حقیقی
میرساند چه هر نوع از انواع موجودات را که نظر میکنی و استعداد ملاحظه نمایید دیر
اجتهاد در میان نهاده و کرم [illegible] و تعنف و کم کیفیة تا انفق درمی یابید
و جمیع انواع نباتات و حیوان بسایط اینها کرم این تمنای نظامی

گردیده البته خود را بمعراج الکمال خود میرساند مگر عایق و مانع خارجی
روی نموده آنها را از سیر و سلوک خود باز دارد و الا از رسیدن هیچ یک
بغایة الکمال خود ممکن نیست یعنی که به ضعیف راه در سر راه خود نشسته است
اگر نه المنتهی هزار لکد بر سر او خورد آن میرود و میالد تا جائیکه خود بمعراج الکمال
خود میرساند غرض از همه تحریکات و تکاپوی رسیدن است بانتظام
احوال ما حاصل شد و گذشته با فوق خود همچنانکه مقصود نفوس سماوات وارض در تحریکات
خود تاکید نیست نظام عالم سفلی بلکه ما وراء او من طاعات الله و تشبه بجبرائیل قدس
لکن بالعرض نظام ما تحت لازم می آید عالم جبروت لا اله الا هو است
غافل بگمان اند انیم نیست پاک است دریا بجای خویش موجی خس بندارد
راه این کشش با اوست غایة کمال انسان عروج از مرتبه طبیعه و عقل
هیولانی تا جائیکه متصل گردد بعقل کل چنانچه شده از عقل مرتبه علم الله است و معلول
بیواسطه است پس رسیدن بعقل کلی رسیدن باقصه تعم است للکائنات قبل
و المعقول من وجه و تباینهما من وجه آخر و جناب السید غایة الغایات هم
موجودات

موجودات بالطبع و بالاراده در تکاپوی آنند و خود را بغایة الغایات رسانند
و جناب ایشان تمام است رهائی بمعنی نموده انا لله و انا الیه راجعون
یا ایتها النفس المطمئنة ارجعی الی ربک راضیة مرضیة الا
الی الله تصیر الامور و ان الی ربک الرجعی نظر رجوع اینجا
آن است که از جائی که آمده باز رجوع نماید چه رجوع در اصطلاح استعمال میشود
پس دایره نزولی و عروجی با هم متصل گردد لحظه اول است در نزول آخر
در عروج چه خوب گفته جامی رحمه الله در قصیده نفس اول است آنکه
در آخر هر آمد و علمی لهذا جناب مخصوص میفرماید اول ما خلق
الله العقل در مرتبه نزول و اول ما خلق الله روحی باعتبار
روح نبوی صلعم بعالم عقل متصل گردید لهذا انسان کامل مظهر کل گردیده و چنانکه
انسان با نیز نشیه رسید ذات و صفات و افعال خود را فانی می بیند در ذات و
صفات ایشان و افعال پس می بیند خود را که با وجود آن در مخلوق است حاصل
آنکه نفس [illegible] از حدوث ابتدای نفس کلی است و از برای او شوق کمال است
یعنی شوق است ارادة السوی اظهار کردن اشیا کلها و این شوق کل صورة ذات نفس

بطر الدهد

کلی است و بیان تمایز نفس از عقل پس نفس نفس است بشوق چون نفس کل نفس
جمیع عالم است از مرکز تا محیط در جسم اختلاف است بحسب مراکز و محیط اما بنها
و هر یک نظر باستعداد و اقتضای شوق کرده پس شوق منقسم میشود بحسب اجزا
لهذا نفس سماوی و ارضی و نباتی و حیوانی و انسانی بهم رسید یعنی نفس موجب
بوجه تفصیل شد بعد از آنکه اشخاص هر نوع بهم رسیدند پس نفس هر نوع جزو منقسم
شد بحسب اشواق جزئیه پس نفوس نفس جزئی گردید پس معلوم شد که تعدد
نفوس بحسب تعدد اشواق است و معلوم شده که شوق صورت ذات نفس است
با همین معنی هر گاه شوق نفس است و شرافت نفس بکمی شوق است و خست نفس
بزیادتی شوق است چه هر قدر شوق بدنیا و الانس و بنیا کمتر است حجاب نفس از مبدا
کمتر است چون چنین است لهذا ناظم میفرماید عقل کشتی آرزو گرداب
آرزو با شوق یک معنی دارد و الالفاظ مترادفه ملکه شوق عربی و آرزو فارسی است
و مراد از عقل در اینجا عاقله است که ممیز میان خیر و شر است که نفس بواسطه
او خود را از مهلکات که غرق در گرداب فنا است باز میدارد از آرزو
شوقی است که گرداب است چه آرزو سبب فرو رفتن نفس است در گرداب
دلخواه دنیا و باعث گرفتاری او است در مرتبه طبیعت چه غرق در گرداب

طبیعت است

طبیعت است لهذا او را بگرداب تعبیر نموده در بعضی نسخ بجای آرزو آسمان است ظاهرا
غلط باشد و دانش بادبان است جهت آنکه خلاصی از این گرداب آرزو بدون دانش
ممکن نیست چه اکثر طی مقامات و سلوک راه حق تا آنکه برسد بوطن اصلی خود بدون
دانش میسر نیست پس دانش بادبان قوه عاقله است در کشتی است که او را براه
میبرد که تا بمنزل حقیقت برساند حق تعالی ساحل است که همان وطن اصلی است چون گفته شد
که نفس کل نفس کل عالم چه عالم همان نفس است که تنزل نموده عالم شده چه نفس کل
در عقل کل را او تمامیت او را پس شوق بهم رسید نسبت بعقل را چون عقل کل
نفس است نفس هم خواست بهم رسد در فاعلیت نیافت امر جز گردان عالم
پس بمحض توجه نفس کل بگردان عالم عالم موجود شد چه نفس بهر چه متوجه شد همان است
چنانکه بابا افضل کاشی رحمه الله گفته تا در طلب گوهر کانی کانی تا در پی عمر جاودانی
جانی من فاش کنم حقیقت مطلق را هر چیز که در جستن آنی آنی اللهم بلغنا
ای نکته خلاصه چهار ارکانی کو علم سخن ز عالم ربانی دیوی و ددی و ملک و انسانی
با تو است هر آنچه میطلبی آنی این معنی را اجمالی بر جای خود نمی باید کرد پس ملحق شد
سلسله بدو و بماده المواد مصور بصورت جسمی انتهای مراتب بدو و نزول است

وباین ترتیب از ماده عالم او عروج میکند یکبار و از جماد بسوی نبات و از نبات بسوی
حیوان و از حیوان بسوی انسان و از انسان بسوی انسان کامل که مظهر کلی است
با عقل کل متحد است عقل کل منتهی بمبدأ پس دائره تنزل و عروج تمام میشود
و انه مبدء و الیه یعود پس خطاب میشود از این روی حق است یا ایتها
النفس المطمئنة ارجعی الی ربک راضیة مرضیة انا لله
وانا الیه راجعون از جمادی مردم و نامی شدم وز نما مردم
ز حیوان سر زدم مردم از حیوانی و آدم شدم پس چه ترسم کی ز مردن کم شدم
حمله دیگر بمیرم از بشر تا برآرم از ملایک بال و پر بار دیگر باید جستن ز جو
کل شیء هالک الا وجهه بار دیگر از ملک قربان شوم آنچه اندر وهم
ناید آن شوم پس عدم گردم عدم چون ارغنون گویدم کانا الیه راجعون
پس منکشف شد از عالم بگذرد بعقل نمیرسد مراد از عالم گذشتن خلاص نفس است
از خواهش و علایق دنیا و ما فیها لهذا ناظم از عالم امکان تعبیر بدریا فرمود که غرق
فرو رفتن در علایق است که طبیعة گرداب عالم امکان است پس مراد بدریا عالم امکان
و مراد بساحل وجوب بالذات است چنانچه ناظم فرمود و این ره همه بنقوش

ساحل احد

ساحل احد کجا امکان را وجوب گفته اند زین بحر ما کی یابیم الا حتی این راه
وطی این مسافه بدون پیر کامل و مرشد حقیقی که انبیا و اوصیا علیهم الصلوة و السلام
ممکن نیست چه عقبات نفس بسیار است آنانکه بوصال اعلا رسیدند لب تشنه
بمردند و زار با مار نرسیدند آیا ره نگشت همره رهروی در خاک فرو رفت و
بدریا نرسید نفس را چندین بندها گسست باید تا بعقل چون آن به پا
بنهار رسد بند دیگر بر پا بست چنین مکرر میگردد که نفس بالذات عقل است
و بالعرض اشتیاق که آرزو ها باشد پس آرزوها علایق و بندهای نفس اند و نفس را
در مرتبه طبیعة حبس نموده اند هر گاه این بندها از نفس برداشته شود نفس عقل
میشود چه نفس با این اشتیاق و آرزو ها ممتاز گردیده از عقل پس صورة شوق چون از
نفس برداشته شود عقل میشود پس ناظم میفرماید نفس را چندین بندها گسست باید تا عقل
یعنی آرزو ها و علایق که هر جا دارد از نفس برداشته میشود تا بعقل میشود تا عقل میگردد
وعین از بیت سابق چنین مفهوم شده حق ترک ساحل است یعنی بنده اهل این
راه را گرد و از غرق دریا خلاصی یافت البته بساحل میرسد پس حق تام سر
متصل میشود بلکه او میشود او را باز یافت بخود انیمایست باعتبار هکذا فقط

ماهیت ممتنع است که ممکن واجب گردد و هرگز نمیشود و لهذا میفرماید که از نفس بیدار گردد
بر داشته شود و عقل بیشعور لیکن بیند دیگر آنکه جنبه امکان است از جنبه عقل نفس
لا عقل ام ممکن است پس مرتبه عقل غایة ترقی نفس انسانی است چنین عقل مرتبه
علم تمام نیست و عاقل و عقل و معقول متحد نه چنانکه سابقا مذکور شد این قسم را
احکام لازم نه دارد انقلاب ماهیت را که ممکن واجب نخواهد پس حال بعض حج
اشیا را خطا نیست معلوم است حال غیر را باشد پس واجب غیر ممکن است و مشهور است
در حضرت ادریس علی نبینا و علیه السلام که ریاضات نموده عقل محض شده بود و از ده
چیز نخورده بود و مشاهده کامل به ارواح و اجسام سماوی بهم رسانیده بود و کسب
علوم نجوم و ریاضی از ایشان کرده بجهت همین ادریس شده بود از راه کثرت
درس او این علوم را   گفت ذات نفس ما را بعد ما حشر است و نشر
هر عمل کامروز کرد او را جزا خواهد داشتن   ناظم رحمه شروع کرده است در بیان
اختلاف ارباب عقول در باب نفس ناطقه کرده و مسئله نفس امری است مشکل
فهم اکثر علما گفته اند که هر کس از روی وهم چیزی گفته از اینها کم از ان مطابق
واقع نیست و آنچه در این بیت فرموده موافق شرع مقدس است که هر نفس

بعد از

بعد از مفارقت از این بدن جسمانی مبعوث میشود در صور اعمال خود این جزای خود را
و قول نیش هر عمل کامروز کرد او را جزا خواهد داشتن مطابق حدیث نبوی است که الدنیا
مزرعة الآخرة   نفس را نتوان ستودن او را ستودن مشکل است
نفس بنده عاشق و معشوق او مولا کیش   اشاره است بقول جامی که نفس
را معبود و معشوق امید ندارد و المحکم است بر این نفس عاشق نیست معشوق
او مولا است که او لا تصرف در امور نفس است که ان مولا عقل است چه عقل علت
و فاعل نفس است چه هر معلول عاشق و بنده علت است چه عاشق و بنده ذاتا
روی توجه و نیاز و اخلاص بمبدء و عاشق معشوق حقیقی است و عقل معلول مبدء است
پس معلول او را هم واسطه گی است خلاف عقل و نفس است   گفت ذات ما

معبود هم

نفس ما را جدا باشد وجود   در جزا و در عمل ابدا و هم است   در بعض
نسخ یکجا و بهم است بعض از ذات ما ان گفته اند که نفس بعد از فنا بدن بعد از
حشر و نشر و ثواب و عقاب بذات خود باقی که مخصوص بروحانی است نه جسمانی
چنانکه رای مشائی است و بانفس ایشان در معاد روحانی قائلند   گفت ذات ما
نفس را آغاز و انجام نیست   گفت ذات نفس بی انجام و بی مبدا است   مصرع اول
اشاره است بقول جامی که نفس را حادث میدانند و عبارت از مزاج خوب یا [illegible]

حادث میشود بحدوث بدن فانی میشود بفناء بدن یا مبنا بر مذهب شیخ
است که نفس را حادث بحدوث بدن میدانند اما فانی نمیدانند بفناء بدن
اما قولش لازم دارد فنا را نیز و شیخ از این معنی نیز غافل چه حدوث منافی بقا است
و مصرع ثانی اشاره است بقول کسی که نفس را قدیم میدانند و هرچه قدیم است
اول و آخر ندارد کلما ثبت قدمه امتنع عدمه لکن تعلقات را حادث میدانند
چه میگویند که نفس در حالت بوحدة و باقی است ببقاء علة و قدیم بقدم
علة چه تخلف معلول از علة تامة محال است اما کثیر است بکثرة ابدان بالعرض
چنانچه مذکور شد   کشف دانا نفس اما حی و حال است سیس
آتش و آب و هواء و اسفلک الکلامی بعضی میگویند نفس
مرکب از عناصر اربعه است در تحت زمان است مثل آنکه نفس را جسم
لطیف بخاری میدانند چنانچه این مذهب منسوب است به جالینوس
یا خون است چنانچه بعضی نفس را خون میدانند آتش و آب و هواء

